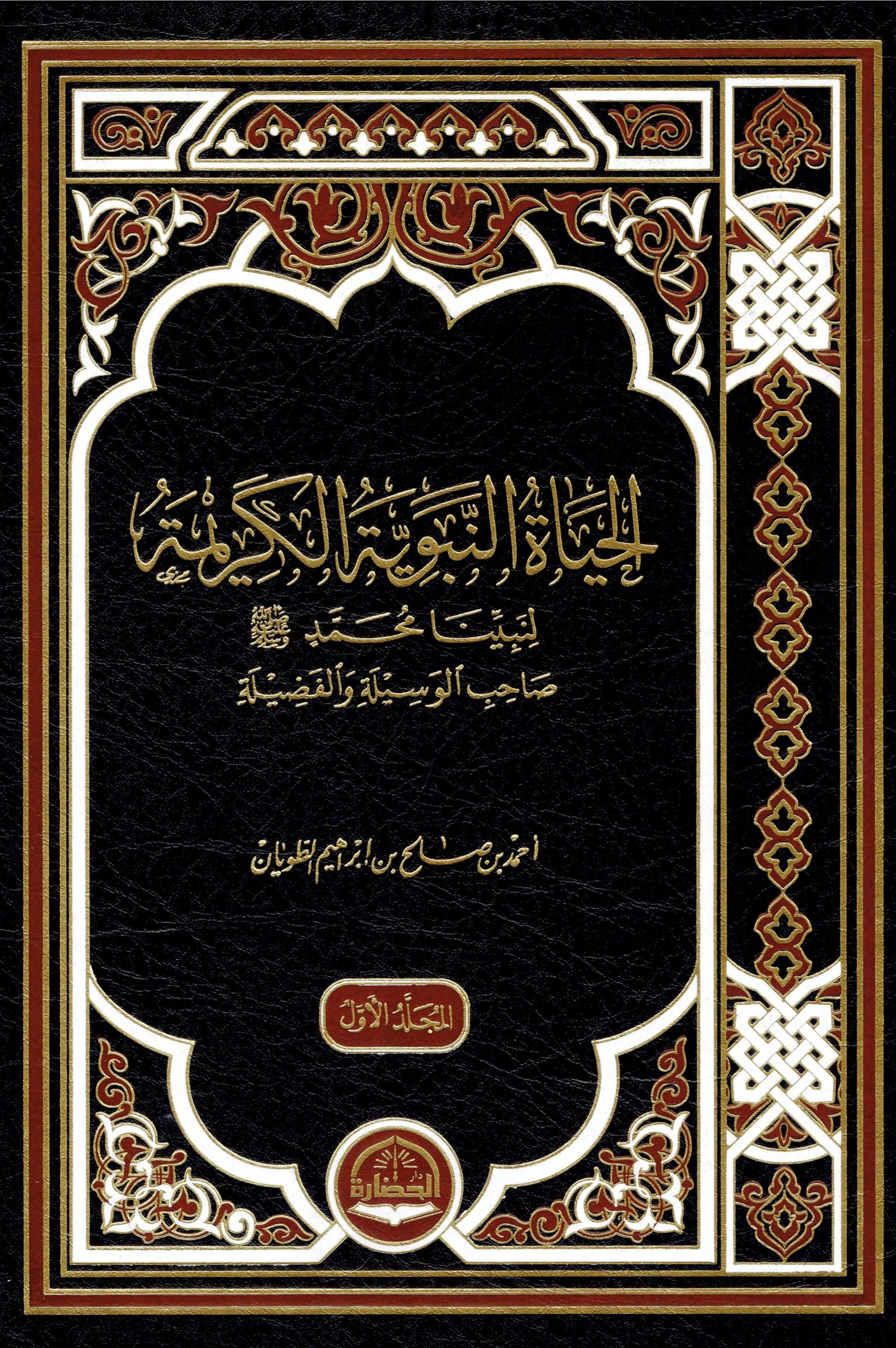

الحياة النبوية الكريمة
لنبينا محمد ﷺ
صاحب الوسيلة والفضيلة
أحمد بن صالح بن ابراهيم الطويان
المجلد الأول
دار الحضارة


الحياة النبوية الكريمة
١

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الطويان، أحمد بن صالح بن إبراهيم
الحياة النبوية الكريمة (لنبينا محمد ﷺ)/ أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان- ط١-الرياض ١٤٤١هـ
ص ؛ ٠٠×٠٠ سم
ردمك: ١-٣٦-٨٢٩٠-٦٠٣-٩٧٨
١-السيرة النبوية أ- العنوان
ديوي ٢٣٩ ١٤٤١/٣٦٠٤

رقم الإيداع: ١٤٤١/٣٦٠٤
ردمك: ١-٣٦-٨٢٩٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ - ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

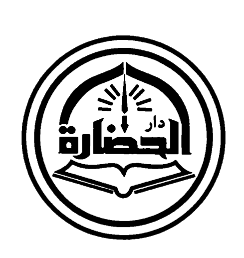
الحياة النبوية الكريمة

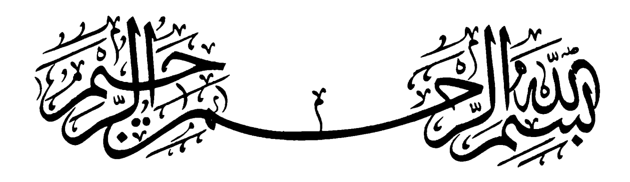
لنبينا محمد ﷺ
صاحب الوسيلة والفضيلة

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

المجلد الأول

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليكون للعالمين نذيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسله رحمة للعالمين وختمهم بسيد الأولين والآخرين وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله و مصطفاه من خلقه بَعَثَه فِي الْأُمِّيِّينَ رسولًا يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فهو رحمته للبشرية وحجته على الإنسانية

فتح الله به عيونًا عميًا وأسمع به آذانًا صمًا وأحيى به قلوبًا غلفًا صلّى الله وسلّم عليه، وعلى آله وأصحابه الأئمّة، وأتباعه.

أمّا بعد: فإنّ خير الهدي هدي محمّد ﷺ، وخير الحياة حياته الكريمة، وخير السير سيرته العطرة، وخير الطّرق الموصلة إلى الله تعالى طريقته النيرة.

ولهذا قال الله تعالى ترغيبًا لأمته: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ (الأحزاب، الآية: ٢١). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران، الآية: ٣١). وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور، الآية: ٦٣).

فرغّب سبحانه في إتباع سنّته السّنيّة، وتعلم سيرته الرضية، ومعرفة حياته

الكريمة. وقد صنّف العلماء- رحمهم الله تعالى- في سيرته ﷺ المطوّل والمختصر، وألّفوا فيها المجمل والمفصّل. فانتقيت من جميع ما صنّفوه، واصطفيت مما ألّفوه؛ حياته الكريمة، لخّصتها من الأحاديث والأخبار، وما اشتهر بين علماء الآثار، ممّا في الصّحيحين، والسّنن الأربعة، لأبي داود والتّرمذيّ، والنّسائيّ، وابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، وما في المسانيد والصحاح والمعاجم وغيرها من كتب السنة، وكتب السيرة، والتأريخ.

وقد حرصت على عرض حياته ﷺ من جميع جوانبها، ليكمل الاهتداء والاقتداء، وكان التركيز في العهد المكي على نزول القرآن على النبي ﷺ لتكتمل صورة الحياة في العهد المكي ففي آيات القرآن بيان دعوته، والحوار مع الكفار في إثبات التوحيد والبعث بعد الموت، وبيان فساد عقيدة الكفار، وحال الكفار في صد الدعوة ومحاربتها، وتوجيهات القرآن للنبي ﷺ في مواجهة صدود الكفار واستكبارهم، وما نزل من الآيات التي تذكر بمصارع الغابرين من الأمم تسلية للنبي ﷺ، ووعدًا له بالنصر والتمكين، ووعدًا للمؤمنين بحسن العاقبة.

وفي العهد المكي تظهر صور الصبر، و المصابرة، والأمل، والتفاؤل، وحسن الظن بالله، والتسلح بالتوحيد، والعمل الصالح في مواجهة عداوة الكافرين، مما يرسم منهجًا للأمة بعدم الاستعجال، في الدعوة، والاهتمام بنشر العقيدة الصحيحة وتعاليم الإسلام.

وفي العهد المدني منذ السنة الأولى من الهجرة، والتي كانت بعد العقبة

الثانية، كان التركيز على الوقائع والأحداث التي تقع في كل سنة من السنوات بعد الهجرة، متوخيًا ترتيب الأحداث حسب وقوعها في اجتهاد في تحري الزمن، من حيث الرواي، وتاريخ إسلامه، والتقائه بالنبي ﷺ، أو استشهاده في زمن معين، وقد يكون الخبر من مرسل الصحابي وكذا أمهات المؤمنين من حيث الزواج بها، وكذلك معرفة الزمن ببعض الأحداث كتحريم الخمر، ونزول الحجاب ووفود القبائل وغيرها، أو إشارة في بعض روايات الحديث تحدد الزمن كما في حديث حذيفة.. (قال: أتيت النبي ﷺ في ليلة من رمضان، فقام يصلي، فلما كبر قال: «**الله أكبر ذو الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة**»، ثم قرأ البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران... الحديث) و كما في حديث سهل (أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها أتدرون ما البردة....الحديث) قال الحافظ ابن حجر أفاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح أن النبي ﷺ أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن تفرغ مما حدد لنا زمن هذه القصة، والأمثلة كثيرة، كل ذلك محاولة في وصف كل حدث في زمنه حسب الإمكان والطاقة، وقد اجتهدت فخالفت في بعض المواضع المشهور في السيرة، ولي في ذلك سابقة من أهل العلم، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله منه.

وقد حرصت على انتقاء الصحيح من الأحاديث وقد أورد خبرًا ضعيفًا لوجود ما يشهد له، أو له أصل يستند عليه، فقد يكون في الحديث الضعيف زيادة، كتفصيل مجمل أو تعيين مبهم أو تحديد زمن أو نحو ذلك، فأذكره مع بيان ضعفه، وأسوقه من باب الاستئناس به.

وقد أورد خبرًا من كتب السير والمغازي متابعة واستشهادًا، لأن بعض أهل العلم يتساهلون في باب الأخبار والسير قال عبدالرحمن بن مهدي "إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال" (١).

وقال أحمد بن حنبل في محمد بن إسحاق: "هو رجل نكتب عنه هذه الأحاديث يعني المغازي ونحوها، فأما إذا جاءك الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا، وقبض الراوي عن أحمد بن حنبل أصابع يده الأربع من كل يد ولم يضم الإبهام" (٢).

ومن الكتب المهمة التي لا يستغني عنها كل من كتب في السيرة، كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، والسيرة النبوية للذهبي، والسيرة النبوية لابن كثير يرحمهم الله، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة وفتح الباري بشرح صحيح البخاري" للحافظ ابن حجر، ففي كتابي ابن حجر من الفوائد والتحقيقات في السيرة النبوية ما ليس في غيرهما، لكثرة المصادر التي اعتمد عليها الحافظ ابن حجر واستيعابه لكثير من الروايات، وظهور شخصية الحافظ في الترجيح والتحقيق وحكمه على كثير من الروايات.

وكذلك من كتب من المعاصرين في التحقيق والتعليق على مواضع من السيرة كالعلامة الألباني وغيره من أهل العلم بالحديث والسير.

---

(١) دلائل النبوة (١/ ٣٤). والمستدرك: (١/ ٤٩٠ بعد رقم: ١٨٠١) والمدخل إلى كتاب الإكليل: (ص٢٩).

(٢) تاريخ يحيى بن مَعين: (النص: ٢٣١) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ٣٧-٣٨، وقبض الأصابع بهذه الهيئة يدل على التزكية.

وقد اجتهدت في عرض السيرة بأسلوب سهل ليفهم المقصود من حياته عليه الصلاة والسلام، مبتعدًا عن التطويل، وكثرة التعليق، فيكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، وكل سيرته عليه الصلاة والسلام جواهر ودرر، ودروس وعبر، وبشائر ونذر، وحِكم للمُدكر، وقد عرضت لحياته ﷺ في البرزخ، وفي الآخرة مما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام، وسميت كتابي **الحياة النبوية الكريمة لنبينا محمد ﷺ صاحب الوسيلة والفضيلة**، وألحقت بعد ذلك الأعمال النبوية اليومية والأسبوعية، وأدوار النبي عليه الصلاة والسلام في الحياة، وأحواله، وصفاته الخلقية، ومع أقاربه، وختمت الكتاب بخاتمة تلخص الحياة النبوية، كتبت ذلك لنفسي ولإخواني المسلمين، سائلا المولى عز وجل أن ينفعني بها والمسلمين وأن تكون من العلم النافع الذي ينفعني الله به في حياتي وبعد مماتي، كما أسأل الله تعالى أن يغفر لي، وأن لا يحرمني شفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام ووالديَّ، وزوجتي، وذريتي والمسلمين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة – قبالة الكعبة المشرفة

٥/ ١٠/ ١٤٤٠هـ

العهـــد المكـــي

العهد المكي

الأصل والمنشأ:

جاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وبابنها إسماعيل عليه السلام وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم عليه السلام منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له ألله الذي أمرك بهذا؟!!

قال نعم قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه، فقال رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل عليه السلام وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات، (قال ابن عباس قال النبي ﷺ

فذلك سعي الناس بينهما) فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضًا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعد ما تغرف (قال ابن عباس قال النبي ﷺ يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا) فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرًا عائفًا، فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جريًا أو جريين، فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا قال وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك، فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا نعم فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته فوجد إسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال وأعينك، قال فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي

بالحجارة وإبراهيم يبني وضعف الشيخ عن نقل الحجارة، فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان «**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**» [١].

ولما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج، قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعلي البلاغ. قال فنادى إبراهيم: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من بين السماء والأرض، فالناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون [٢]، فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال، وأرحام النساء. وأول من أجابه أهل اليمن، فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم يومئذ "[٣].

وحج الأنبياء قبل إبراهيم وبعد إبراهيم هذا البيت قال رسول الله ﷺ لما مر بوادي عسفان حين حج قال لقد مر به، هود وصالح على بكرات خطهما الليف، أزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق [٤].

و قال رسول الله ﷺ لقد مر بالروحاء سبعون نبيًا فيهم نبي الله موسى عليه السلام حفاة عليهم العباء يؤمون بيت الله العتيق [٥].

و قال رسول الله ﷺ صلى في مسجد الخيف سبعون نبيًا، منهم موسى ﷺ كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان وهو محرم على بعير من إبل شنوءة مخطوم بخطام ليف له ضفيرتان [٦].

---

(١) صحيح البخاري٣٣٦٥

(٢) المستدرك (٢/ ٤٢١) ٣٤٦٤ وتفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٦/ ٥١٥)

(٣) شعب الإيمان (٥/ ٤٧١) ٣٧٣٤ وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٨٧) ١٣٨٧٨ وهو صحيح؟

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ٤٩٥) ٢٠٦٧ وفيه ضعف ويشهد له ما بعده.

(٥) مسند ابي يعلى (١٣/ ١٦٣) ٧٢٣١ وحسنه الألباني.

(٦) المستدرك (٢/ ٦٥٣) ٤١٦٩ المعجم الأوسط (٥/ ٣١٢) ٥٤٠٧والمعجم الكبير للطبراني (١١/ ٤٠٣) ١٣٤٩٠وحسنه الألباني.

وقال كأني أنظر إلى موسى ﷺ واضعًا إصبعه في أذنه، له جؤار إلى الله بالتلبية مارًا بهذا الوادي، وقال كأني أنظر إلى يونس ﷺ على ناقة حمراء عليه جبة صوف، وخطام ناقته خلبة مارًا بهذا الوادي ملبيًا[1].

النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام:

أكرم الله إبراهيم عليه السلام: أن الله جعل النبوة في ذريته فلم يبعث بعده نبيًا إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ﴾(العنكبوت، الآية: ٢٧).

وكل الأنبياء والرسل من ذرية إسحاق. وأما إسماعيل: فلم يبعث من ذريته إلا نبينا محمد ﷺ، بعثه الله إلى العالمين كافة، وقد دعا إبراهيم وإسماعيل ببعثة محمد من أرض مكة، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (البقر، الآية: ١٢٩) وقال ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام..** »[2].

ولاية البيت الحرام:

وصارت ولاية البيت ومكة لإسماعيل، ثم لذريته من بعده، وانتشرت ذريته في الحجاز وكثروا، وكانوا على الإسلام دين إبراهيم وإسماعيل قرونًا كثيرة.

---

(١) صحيح مسلم٤٣٩.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٥٩٥) ٢٢٢٦١ وهو صحيح.

وغلبت جرهم على ولاية البيت حتى ظلموا واستحلوا البيت، فغلبتهم على ذلك خزاعة، ولم يزالوا على ذلك و كان في آخرهم عمرو بن لُحَي الخزاعي. فابتدع الشرك، وغَيّر دين إبراهيم .

وكان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، وأول من حمل العرب على عبادة الأصنام[(١)] وكانت الجاهلية على ذلك، وفيهم بقايًا من دين إبراهيم لم يتركوه كله. وكانوا يظنون أن ما هم عليه، وأن ما أحدثه عمروبن لحي الخزاعي بدعة حسنة، لا تغير دين إبراهيم. ومن بقايا دين إبراهيم، تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف بعرفة ومزدلفة، وإهداء البُدْن.

وقد كان لعمرو بن لحي رئي من الجن، فأتاه فذكر له شعرًا يأمره فيه، بإخراج الأصنام من ساحل جدة، فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها ودًا، وسواعًا، ويغوث، ويعوق، ونسرًا، وهي الأصنام التي عبدت زمن نوح عليه السلام، ثم إن الطوفان طرحها هناك، فسفى عليها الرمل، فاستخرجها عمرو وخرج بها إلى تهامة، وحضر الموسم فدعا إلى عبادتها فأجيب. وانتشرت عبادة الأصنام في العرب، وكان حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا.[(٢)]

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٧/ ٢٩٢) ٤٢٥٨صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (١٦/ ٥٣٥) ٧٤٩٠ومسند البزار (١٥/ ٣٨٤) ٨٩٩١ وهو صحيح وانظر صحيح البخاري ـ (٦/ ٦٩) ٤٦٢٤صحيح مسلم (٣/ ٢٨) ٢١٢٨.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٠٧).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[١].

قصي بن كلاب:

وكانت قريش بيوت متفرقة، حتى غلب قصي بن كلاب على البيت وأخرج خزاعة منه، واستقل هو بولاية البيت، وأما اشتقاق قريش فقيل من التقرش وهو التجمع بعد التفرق، وذلك في زمن قصي بن كلاب، فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم، فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية والرفادة، والندوة، واللواء[٢].

وقَطّع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم منهم منازلهم، وكان أمره في حياته - وبعد موته - عندهم كالدين المتبع، واتخذ لنفسه دار الندوة[٣].

فلما كبر قصي ورقَّ عظمه، وكان عبد الدار بِكْره، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وعبد العزى، وعبد، فقال قصي لعبد الدار: لأُلْحِقَنّك بالقوم وإن شرفوا عليك.

---

(١) صحيح البخاري - ٦/ ١٩٩) ٤٩٢٠.

(٢) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ٨٦).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٩٨).

فأعطاه دار الندوة، والحجابة، واللواء، والسقاية والرفادة، فلما هلك قصي، أقام بنوه أمره لا نزاع بينهم. ثم إن بني عبد مناف أرادوا أخذ ما بيد عبد الدار، ورأوا أنهم أولى بذلك، فتفرقت قريش: بعضهم معهم، وبعضهم مع عبد الدار. فكان صاحب أمر عبد مناف، عبد شمس؛ لأنه أسنهم، وصاحب أمر بني عبد الدار عامرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. فعقد كل قوم حلفًا مؤكدًا. فأخرج بنو عبد مناف جَفْنة مملوءة طيبًا، فغمسوا أيديهم فيها، ومسحوا بها الكعبة. فسموا " المطيبين " وتعاقد بنو عبد الدار وحلفاؤهم فسموا " الأحلاف " ثم تداعوا إلى الصلح، على أن لعبدمناف السقاية والرفادة، وأن الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، فرضوا. وثبت كل قوم مع من حالفوا، حتى جاء الله بالإسلام[1].

قال ﷺ: «**كل حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة**»[2].

فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف، لأن عبد شمس، كان كثير الأسفار، لا يقيم بمكة. وكان مُقلا ذا ولد، وكان هاشم موسرًا، وهو أول من سن الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف. وأول من أطعم الثريد بمكة، ولما مات هاشم ولي ذلك المطلب بن عبد مناف. فكان ذا شرف فيهم، يسمونه الفياض لسماحته[3].

وكان هاشم قدم المدينة، في تجارته إلى الشام، فنزل على عمرو بن زيد بن

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٠٠).

(٢) صحيح مسلم ٦٦٢٨ (وفي رواية وما يسرني أن لي حُمْرَ النعَمِ، وإني نقضتُ الحلفَ الذي كان في دار النَدْوة) المعجم الكبير (١١/ ٢٩٣)١١٧٧٨ وهذا سند قوي، رجاله رجال الصحيح..

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٧٥) وسيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ١٢٦) والروض الأنف ت الوكيل (٢/ ٦٥).

لبيد بن حرام بن خداش بن خندف بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري، وكان سيد قومه، فأعجبته ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها، فزوجها منه، واشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة، فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى، فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة[1].

عبدالمطلب جد النبي الكريم:

وضعت سلمى ولدها فسمته شيبة، فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين.

ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف، ليأتي به، فأبت أمه. فقال: إنه يلي مُلك أبيه.

فأذنت له، فرحل به، وسلم إليه ملك أبيه.

فولي عبد المطلب ما كان أبوه يلي، وأقام لقومه ما أقام آباؤه، وشَرف فيهم شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبوه وعظُم خطره فيهم[2].

وأبناؤه ثلاثة عشر (أعمام النبي ﷺ):

الحارث، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، وعبد الله أبو رسول الله، وحمزة، والعباس، والمقوم، وحجل واسمه المغيرة، وضرار وقثم، وأبو لهب، والغيداق، وبناته ست:البيضاء، وأروى، و برة، وعاتكة، وصفية، وأميمة[3].

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل (٢/ ٦٦).

(٢) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ١٣١).

(٣) الروض الأنف ت الوكيل (١/ ٤٣٧).

نسب النبي ﷺ:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(١).

إلى هنا معلوم الصحة. وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل.(٢) وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب(٣).

قال ﷺ: **«نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا»** (٤).

وعن واثلة بن الاسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى هاشمًا من قريش، واصطفاني من بني هاشم»**(٥).

وقال: **«أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ألا إن الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ثم فرقهم فرقتين، فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل، فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا، فجعلني من خيرهم بيتًا، وأنا خيركم بيتًا، وخيركم نفسًا»** ﷺ (٦).

وقال ﷺ: **«أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبدالمطلب»** (٧).

---

(١) صحيح البخاري باب ٢٨مبعث النبي ﷺ.

(٢) خلاصة سير سيد البشر (ص: ٢١).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ـ (١/ ٧٠).

(٤) مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ١٦٠) ٢١٨٣٩ وسنن ابن ماجه (٢/ ٨٧١) ٢٦١٢والمعجم الكبير للطبراني (٢/ ٤١٤)٢١٤٦وهو حسن.

(٥) صحيح مسلم ٦٠٧٧ ومسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٩٣) ١٦٩٨٦.

(٦) مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٥٨) ١٧٥١٧والمعجم الكبير للطبراني (١٥/ ٢٢١) ١٧٠٦٦ وهو حسن لغيره.

(٧) صحيح البخاري٢٨٦٤وصحيح مسلم ١٧٧٦.

عبدالله بن عبدالمطلب:

عبدالله بن عبدالمطلب وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

وكان عبد المطلب بن هاشم نذر إن توافى له عشرة رهط، أن ينحر أحدهم، فلما توافى له عشرة، أقرع بينهم، أيهم يُنحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت القرعة على المائة من الإبل(١).

وأما حديث «**أنا ابن الذبيحين**» فلا يصح(٢) مع ثبوت أنه من ولد إسماعيل وعبدالله (٣).

زواج عبدالله بن عبدالمطلب:

لما بلغ عبدالله خمسًا وعشرين، خرج عبدالمطلب بابنه عبدالله، وكان عبدالله أحسن رجل رؤي في قريش قط، حتى أتى به وهيب بن عبد مناف ابن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة سنًا وشرفًا، فزوجه آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا (٤).

وهي آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، (٢/ ٢٣٩)و مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣١٣) ٩٧١٨واسناده صحيح وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١١٢) ١٨٠٢.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمة (١/ ٥٠٠).

(٣) المستدرك ٤٠٥ (٢/ ٥٥٩).

(٤) دلائل النبوة للبيهقي(١/ ١٠٢).

وأمها برة بنت عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي[١].

فهو أشرف ولد آدم حسبًا وأفضلهم نسبًا، من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقد كان النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها، ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات، تكون علمًا فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم)[٢].

قال رسول الله ﷺ: **«ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، وما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام»**[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ١٤٤).

(٢) صحيح البخاري - (٧/ ١٩) ٥١٢٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٢٠٧) ١٠٦٥٩ وهو حسن.

موت عبدالله والد النبي الكريم:

خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في عير من عير قريش، يحملون تجارة، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة، وعبد الله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار.

فأقام عندهم مريضًا شهرًا، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار مريضًا، فبعث عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجدًا شديدًا.

ورسول الله ﷺ حمل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة[1].

وقد روى مسلم عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي قال في النار فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار[2].

فمن مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وهذا رسول الله ﷺ لم ينفع أباه، ولعله قد بلغته دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم. أو أنه يمتحن يوم القيامة كما يمتحن أهل الفترة فلا يجيب.

وحزنت عليه زوجته آمنة أم رسول الله ﷺ وقالت ترثي زوجها.

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم ... وجاور لحداً خارجاً في الغمام

دعته المنايا بغتة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٠٥).

(٢) صحيح مسلم ٥٢١

عشــية راحــوا يحملــون سريــره ... يعــاوره أصــحابه في التــزاحم

فــإن يــك غالتــه المنايــا وريبهــا ... فقــد كــان معطــاء كثــير الــتراحم

وقالت أيضا:

أضـحى ابـن هاشـم في مهـماء مظلمـة ... في حفـرة بـين أحجـار لـدى الحـصر

سـقى جوانـب قـبر أنـت سـاكنه ... غيـث أحـم الـذرى مـلآن ذو درر [1]

وترك عبد الله، أم أيمن، وخمسة من الإبل، وقطعة من غنم، فورث ذلك رسول الله ﷺ من أبيه [2].

ولادة النبي الكريم:

حملت آمنة بنت وهب حزنها مع جنينها، فقد أصبحت أيمًا، وفي بطنها جنينًا، لا تدري ما يفعل به، وما كانت تدري أن جنينها سيد العالمين رسول رب العالمين، أفضل خلق الله أجمعين.

وجاءت حادثة الفيل، لتستيقظ مكة كلها على حدث عظيم، جيش جرار، يريد اقتلاع البيت، وأهله.

وحبس الله عن مكة الفيل، وجعل كيدهم في تضليل، وأرسل الله عليهم طيرًا كثيرة، ترميهم بحجارة من النار.

فجعلهم الله كعصف مأكول، ولم ينجوا منهم أحد إلا قائد الفيل وسائسه،

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٣٣٢) وأنساب الأشراف (١/ ٣٩) والطبقات الكبرى، ط دار صادر: (١/ ١٠٠).

(٢) السيرة الحلبية - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٧٧) والطبقات الكبرى، ط دار صادر (١/ ١٠٠).

فقد رأتهما أم المؤمنين عائشة بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس[١].

في ذلك العام[٢] وآمنة بنت وهب تنتظر وليدها، وفي يوم الاثنين[٣] من شهر ربيع الأول وفي اليوم الثامن منه ليلة التاسع وقيل التاسع[٤] ولد رسول الله ﷺ، ورأت حين خرج منها نورًا أضاءت منه قصور الشام، وكانت قابلتها التي ولدتها الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، أم عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وعنه، أسلمت، وكانت من المهاجرات و ماتت في حياة النبي ﷺ.

وفي خروج هذا النور معه ﷺ حين وضعته إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزال به ظلمة الشرك منها.

كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥

---

(١) مسند البزار (١٨/ ٢٥٧) ٣٠٠ ودلائل النبوة ـ للبيهقي (١/ ١٢٥) وهو صحيح.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ولد رسول الله ﷺ عام الفيل) رواه الطبراني في الكبير: ١٢٤٣٢، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ١٠.

ولحديث قباث بن أشيم الكناني: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل رواه: الحاكم ٣ - ٧٢٤ والطبرانيُّ في الكبير (١٩ - ٣٧) وهو حسن بشواهده.

(٣) ففي صحيح مسلم (٣/ ١٦٧) ٢٨٠٤وسئل عن صوم يوم الاثنين قال « ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل على فيه ».

(٤) قال الفلكي الأستاذ عبد الله بن إبراهيم بن محمَّد السليم في كتابه: (تقويم الأزمان) في تحقيق مولد النبي ﷺ ما نصه) لقد جاء في كتب التاريخ والسيرة أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول وقيل لثمان خلون منه وقيل لثنتي عشرة منه وأخذ بذلك جمهور العلماء. وقد ثبت بما لا يّحتمل الشك من النقل الصحيح أن ولادته ﷺ كانت في٢٠ نيسان إبريل سنة ٥٧١ هـ عام الفيل... كما ثبت من طريق النقل الصحيح أنه وفاته ﷺ كانت في ١٣ ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة وأنه يوافق ٨ حزيران سنة ٦٣٢. وما دامت هذه التواريخ ثابتة ومعروفة فبالإمكان معرفة يوم ولادته ويوم وفاته ﷺ بالدقة، وكذلك مقدار عمره. وبتحويل السنين الرومية إلى أيام فإنها تكون ٢٢٣٣٠ وبتحويل هذه الأيام إلى سنين قمرية كل سنة ١١/ ٢٠ (٣٥٤) فإنه يكون عمره ﷺ ٦٣ سنة وحوالي ٣ أيام ويتفق هذا مع قول الجمهور على أن مبدأ التاريخ الهجري ١٦ تموز حسب الرؤية، وبالحساب ١٥ تموز يتفق مع ١/ ١/١ هـ مع اليوم الأول من شهر محرم أول سنة أرِّخ فيها التاريخ الهجري وعلى هذا فتكون ولادته ﷺ يوم الاثنين الموافق ٩ ربيع الأول سنة ٥٣ قبل الهجرة، ويوافق ٢٠ نيسان إبريل سنة ٥٧١ هـ نقلًا وحسابًا). تقويم الأزمان، ص ١٤٣.

يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١).

والنور الذي ظهر وقت ولادته ﷺ قد اشتهر في قريش وكثر ذكره فيهم، قال عمه العباس رضي الله تعالى عنه

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النـ ... ـور وسبل الرشاد نخترق (٢)

وفي الحديث «رأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» (٣).

وعن العرباض بن سارية، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني عبد الله لخاتم النبيين، وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين ترين**».

وفي رواية إني عبد الله خاتم النبيين «فذكر مثله. وزاد فيه: إن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاءت منه قصور الشام(٤).

ومما ظهر بعد ولادته أنه وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه، ورفع رأسه إلى السماء(٥).

و كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يكفأن

---

(١) المائدة، الأيتان: ١٥، ١٦.

(٢) المسند (٣/ ٣٦٩) ٥٤١٧ المعجم الكبير (٤/ ٢١٣)، ٤١٦٧.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ٣٩٥) ١٧١٦٣ المستدرك (٢/ ٦٥٦) ٤١٧٥ وهو حديث حسن انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٨) وبعض التاسع (٤/ ١١٩) رقم١٥٤٥.

(٤) المسند رقم ١٧١٥٠-١٧١٥١وهو صحيح.

(٥) صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (١٤/ ٢٤٣) ٦٣٣٥وسند منقطع.

عليه برمة، فلما ولد رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفأن عليه برمة، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين، ووجدنه مفتوح العينين شاخصًا ببصره إلى السماء، فأتاهن عبد المطلب فقلن له: ما رأينا مولودًا مثله، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحًا عينيه شاخصًا ببصره إلى السماء، فقال: احفظنه فإني أرجو أن يكون له شأن، أو أن يصيب خيرًا، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشًا، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب، أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، ما سميته؟ قال: سميته محمدًا، قالوا: فما رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض[١] .

فألهمهم الله عز وجل أن يسموه محمدًا لما فيه من الصفات الحميدة، ليلتقي الاسم والفعل، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى، كما قال حسان:

وشق له من إسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد [٢]

وختنه جده على عادة العرب في ختان أبنائهم، وأطعم يوم ختانه[٣].

و كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس قريش: «**يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود**»؟ فقال القوم: والله ما نعلمه، فقال: «**الله أكبر، أما إذا أخطأكم فلا بأس، انظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها**

(١) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١١٣).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٦٠).

(٣) ماورد أنه ولد مختونا لا يصح ومن ولد مختونا لا مزية له انظر زاد المعاد (١/ ٨٠).

شعرات متواترات كأنهن عرف فرس، لا يرضع ليلتين، وذلك أن عفريتًا من الجن أدخل أصبعه في فمه فمنعه الرضاع»، فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون، من قوله وحديثه، فلما صاروا إلى منازلهم، أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا: قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدًا، فالتقى القوم فقالوا: هل سمعتم حديث اليهودي، وهل بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانطلقوا حتى جاءوا اليهودي فأخبروه الخبر، قال فاذهبوا معي حتى أنظر إليه، فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة فقالوا: أخرجي إلينا ابنك، فأخرجته وكشفوا له عن ظهره.

فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودي مغشيًا عليه، فلما أفاق قالوا له: مالك ويلك؟ قال: قد ذهبت النبوة من بني إسرائيل، فرحتم بها يا معشر قريش، والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب. رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

وكان يهودي في يثرب صرخ في ليلة مولده يا معشر يهود، فاجتمعوا إليه فقالوا ويلك مالك؟ قال: قد طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة[2].

وأما الاحتفال بمناسبة المولد النبوي في ربيع الأول، فهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل بعض المسلمين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد ﷺ.

---

(١) المستدرك (٢/ ٦٥٧) ٤١٧ والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٦٣) ودلائل النبوة للبيهقي م (١/ ١٠٨)قال الحافظ في فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة (٦/ ٥٨٣)ورواه يعقوب بن سفيان بإسناد حسن.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١١٠) والمستدرك (٢/ ٦٥٧) وذكره البوصيري في الإتحاف ٦٣١٥ وقال: رواه إسحاق بن راهويه بسند فيه راو لم يسم وهو ضعيف لجهلة في أحد رواته.

وهذا الاحتفال بدعة وتشبهًا بالنصارى، ولا يخلو من وجود الشركيات والمنكرات، كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول ﷺ إلى درجة دعائه من دون الله، والاستغاثة به، وبعضهم يعتقدون أن الرسول ﷺ يحضر احتفالاتهم، ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات الأناشيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول، وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، وقد يكون فيها اختلاط بين الرجال والنساء، مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش، وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير، واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام وإظهار الفرح، فهو بدعة محدثة «وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ». لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة، وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا في القرن السابع الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة، ولم ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، ولو كان هذا خيرًا، لفعله رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم فهم أحق به مَنا. فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كان محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته وإتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

فليس للزمان الذي ولد فيه فضيلة، إلا ما ورد في استحباب صيام يوم الاثنين، وليس للمكان الذي ولد فيه فضيلة، فإنه لم يرد عن النبي ﷺ شيء، ولم يرد أنه كان يزوره أو يخصه بشي، وهو أعلم الناس بمكان مولده.

رضاعـــه:

مرضعاته ﷺ أربع:

أرضعته أمه سبعة أيام، ثم أرضعته ثويبة مولاة عمه أبولهب بلبن ابنها مسروح، وقد أرضعت قبله عمه حمزة وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد، [١] وكان رسول الله ﷺ يُكرم ثويبة، وكانت تدخل على رسول الله ﷺ بعد أن تزوج خديجة وكانت خديجة تكرمها، وأعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر فبلغت وفاتها النبي ﷺ فسأل عن ابنها مسروح، فقيل له قد مات فسأل عن قرابتها فقيل له لم يبق منهم أحد، وهذا من وفائه ﷺ، وقد اختلف في إسلامها وإسلام ابنها[٢].

ولما مات أبو لهب رآه العباس في منامه بعد حول في شر حال فقال: ما لقيت بعدكم راحة، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين، وسقيت بعتاقتي ثويبة لأن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين، وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده[٣].

وأرضعته حليمة السعدية في بادية بني سعد، وأرضعته في بادية بني سعد مرضعة عمه حمزة رضي الله عنه[٤].

---

(١) صحيح البخاري،: ٥١٠١.

(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٦٥) والطبقات (١: ١٠٩)والروض الأنف ت الوكيل (٢/ ١٦٤) والشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٦١).

(٣) صحيح البخاري ٥١٠١.

(٤) زاد المعاد (١/ ٨١) والطبقات (١: ١٠٩).

حياته ﷺ في بادية بني سعد:

قال ﷺ: «واسترضعت في بني سعد بن بكر»[(١)].

وبادية بني سعد تقع مابين مكة والطائف على بعد ليلتين من مكة وهي مابين أوطاس والسيل الكبير[(٢)].

وكانت قريش وغيرهم من أشراف العرب يدفعون بأولادهم إلى المراضع لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه وأقدر على تحمل مصاعب الحياة ولذلك كان رسول الله ﷺ أفصح الناس، وليعشوا فيها على الحياة الرحبة الطبيعة، فطبيعة بادية بني سعد اعتدال المناخ، وطيبة الأرض والهواء، ولصفاء البادية من الأوبئة التي تنتشر في المدن، فهذا الذي كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات.

وأمه من الرضاعة من بني سعد هي حليمة ابنة أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب عبدالله بن الحارث بن شجنة بن جابر.

واسم أبيه الذي أرضعه ﷺ الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٥٠)و السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٢٩) قال ابن كثير وهذا إسناد جيد قوي قال الألباني خرجه الحافظ بن كثير في) البداية وصححه.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار للحِميري (ص: ٣٤٥) ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٣/ ٨١٠)ومعجم البلدان (٣/ ١٠٧) ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٤/ ٨٦) والأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه (ص: ٧١٣) والمناسك ٣٤٧ والمغازي ٢-٨٦٩ وانظر إلى كتاب ديار بني سعد بن بكر د عبدالله الثمالي. وهذا الموضع غير الموضع الذي جنوب الطائف فليعلم !!

فقد أخبرت حليمة أم رسول الله ﷺ السعدية التي أرضعته قالت: خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة على أتان لي قمراء، في سنة شهباء لم تبق شيئًا، ومعي زوجي، ومعنا شارف لنا، والله ما إن تبض علينا بقطرة من لبن، ومعي صبي لي إن ننام ليلتنا من بكائه ما في ثديي ما يغنيه، فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود، وكان يتيمًا، وكنا نقول: يتيمًا ما عسى أن تصنع أمه به، حتى لم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبيًا غيري، فكرهت أن أرجع ولم أجد شيئًا وقد أخذ صواحبي، فقلت لزوجي: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فأتيته، فأخذته ورجعت إلى رحلي. فقال زوجي: قد أخذتيه؟ فقلت: نعم والله، وذاك أني لم أجد غيره، فقال: قد أصبت، فعسى الله أن يجعل فيه خيرًا. قالت: فو الله ما هو إلا أن جعلته في حجري أقبل عليه ثديي بما شاء الله من اللبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه - يعني ابنها - حتى روي، وقام زوجي إلى شارفنا من الليل، فإذا بها حافل فحلبها من اللبن ما شئنا، وشرب حتى روي، وشربت حتى رويت، وبتنا ليلتنا تلك شباعًا رواء، وقد نام صبياننا، يقول أبوه يعني زوجها: والله يا حليمة ما أراك إلا قد أصبت نسمة مباركة، قد نام صبينا، وروي. قالت: ثم خرجنا، فوالله لخرجت أتاني أمام الركب، حتى إنهم ليقولون: ويحك كفي عنا، أليست هذه بأتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله، وهي قدامنا حتى قدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر، فقدمنا على أجدب أرض الله، فو الذي نفس

حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، ويسرح راعي غنمي فتروح بطانًا لبنًا حفلا، وتروح أغنامهم جياعًا هالكة، ما لها من لبن. قالت: فنشرب ما شئنا من اللبن، وما من الحاضر أحد يحلب قطرة ولا يجدها، فيقولون لرعائهم: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة، فيسرحون في الشعب الذي تسرح فيه، فتروح أغنامهم جياعًا ما بها من لبن، وتروح غنمي لبنًا حفلا[1].

وإخوته ﷺ من الرضاعة من بني سعد، عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وجذامة بنت الحارث، الملقبة بالشيماء، وكانت تحضن رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب عمه ﷺ أخو النبي من الرضاعة من وجهين، من جهة ثويبة، ومن جهة السعدية، فقد أرضعتهما امرأة من العرب، فقد كان حمزة مسترضعًا له عند قوم من بني سعد بن بكر، فجاءت أم حمزة فأرضعت رسول الله ﷺ يومًا وهو عند أمه حليمة[2].

وكانت حليمة ترقص النبي ﷺ:

يـــا رب إذ أعطيتـــه فأبقـــه   وأعلـــه إلى العـــلى وأرقـــه [3]

(١) صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (١٤/ ٢٤٣) ٦٣٣٥ والمعجم الكبير (٢٤/ ٢١٢) ٥٤٥ومسند أبي يعلى (١٣/ ٧٤) ٧١٦٣ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٥٥) ٩٤ وفي سنده انقطاع وجود الذهبي الحديث في السيرة ص ٤٨وقال هذا حديث جيد الإسناد، وله شواهد يثبت بها استرضاعه في بني سعد.

(٢) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ٥٤)وشرف المصطفى (٢/ ٤٩) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٣٩) أسد الغابة ط الفكر (٥/ ١٤٤).

(٣) الخصائص الكبرى (١/ ١٠٠) وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٢٧٤) والسيرة للذهبي، ص٤٧.

وكان ﷺ يشب في اليوم شباب الصبي في شهر، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة، فلما بلغ سنتين، قدمت به حليمة على أمه، فقالت لها، وقال لها أبوه: ردي علينا ابني، فلنرجع به، فإنا نخشى عليه وباء مكة، وهم أحرص الناس إلى أن يرجع معهم مما رأوا من بركته، فلم يزالوا بأمه حتى قالت: ارجعا به، فرجعا به(١).

رجع النبي ﷺ، مع أمه وأبيه من الرضاعة إلى بادية بني سعد حيث كان يلعب مع أقرانه، وحيث كانت أخته الشيماء تحضنه وكانت ترقصه:

هذا أخ لي لم تلده أمي ... وليس من نسل أبي وعمي

فديته من مخول معمي ... فأنمه اللهم فيما تنمي(٢)

وأخوه عبدالله بن الحارث، وكان يرعى الغنم معه، ويلعب كما يلعب الصبيان ببعر الإبل، يترامون فيه، ويحملون زادهم معهم في رعي الغنم.

ولقد كان لطفولة الرسول ﷺ في بادية بني سعد أثرها عليه، وعلى بنيته الجسدية، فقد استكمل فيها قوة الجسم، وشب فوق ما يشب أقرانه، وكان لعيشه في البادية أثر في شخصيته في اعتماده على نفسه، وتحمل المشاق، وكانت طبيعة البادية تقوده للتأمل وصفاء الذهن، وطلاقة اللسان وفصاحته، وتعلم الأخلاق والآداب(٣).

---

(١) صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط - ٦٣٣٥.

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٢٧٤).

(٣) قصة رضاعة صلى الله علية وسلم في بادية بني سعد ثابتة وانما الخلاف في تفاصيل بعض أخبارها فقد رواها ابن حبان

حادثة شق الصدر:

لما كان في يوم الأيام التي يرعى فيها صغار الغنم وراء بيتهم، مع أخيه عبدالله بن الحارث، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجًا، فأضجعاه فشقا بطنه، ثم استخرجا قلبه فشقاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها، ثم غسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج، حتى إذا أنقياه رداه كما كان، فخاطه وختم على قلبه بخاتم النبوة، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته، فوزنه بعشرة، ثم قال: زنه بمائة من أمته فوزنه بمائة، ثم قال زنه بألف من أمته، فوزنه بألف، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم.

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون[1].

فقال أبوه يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فاحتملاه فقدما به على أمه فقالت ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ فقالت: أديت أمانتي وذمتي، وقضيت الذي علي، وتخوفت الأحداث عليه فأديته إليك كما تحبين.

قالت ما هذا شأنك، فأصدقيني خبرك. أفتخوفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم قالت كلا. والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لابني لشأنًا، أفلا أخبرك خبره. قالت بلى. قالت رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام[2].

والطبراني والبيهقي وحكم بعض العلماء بانقطاع سندها لعدم سماع عبدالله بن جعفر من حليمة وقد أثبته الحافظ ابن حجر في الإصابة.

(١) قصة شق صدره في بادية بني سعد رواها مسلم من حديث أنس برقم ٤٣١

(٢) المسند برقم ١٧٦٤٨ والمستدرك برقم ٤٢٣٠ وصححه الذهبي وقال ابن كثير إسناده جيد قوي.

وكان رد حليمة له وعمره يقارب الأربع سنوات[١].

وفي شق صدره وتطهيره في حال الطفولة لينقى قلبه من مغمز الشيطان وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد، وبنزعها نشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، وتلك كرامة ربانية تدل على الرفعة والمكانة والكرامة.

حياته ﷺ مع أمه:

بعد رجوع النبي ﷺ من بادية بني سعد كفلته أمه، وحضنته، هي وأم أيمن، وكانت أمه تحرص عليه فلا يفارقها، إلا لجده، أو أعمامه، وكان النبي ﷺ يتيم بني هاشم يتنقل بين أمه وجده وأعمامه، في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتًا حسنًا، لما يريد به من كرامته، فهو الذي سبحانه عطف عليه قلب جده، وأعمامه، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، وكان رسول الله ﷺ يأتي، وهو غلام حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا ابني، فو الله إن له لشأنًا، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١١٢) وهو اختيار الحافظ العراقي في الألفية وتلميذه ابن حجر.

(٢) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ١٥٦) والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٤٠) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢١)، والطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١١٧).

زيارة أمه للمدينة ووفاتها في طريقها:

كانت أم عبد المطلب بن هاشم: سلمى بنت عمرو النجارية فكان لبني النجار خؤولة لرسول الله ﷺ.

ولما بلغ لرسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بني عدي بن النجار تزورهم به، ومعه أم أيمن رضي الله تعالى عنها تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهرًا، وهي الدار التي دفن فيها والد الرسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يذكر أمورًا كانت في مقامه ذلك، ولما نظر أطم بني عدي بن النجار عرفه فقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع الغلمان من أخوالي نطير طائرًا كان يقع عليه.

ونظر إلى الدار فقال: هاهنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار.

وكان قوم من اليهود يختلفون إليه ينظرون إليه. ثم راحوا إلى أخواله فأخبروهم فأخبروا أمه فخافت عليه فخرجت به من المدينة[١].

وكانت أم أيمن تحدث تقول: أتاني رجلان من يهود يومًا نصف النهار بالمدينة، فقالا أخرجي لنا أحمد، فأخرجته فنظر إليه وقبلاه مليًا ثم قال أحدهما لصاحبه: هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمر عظيم، قالت أم أيمن: فوعيت ذلك منه[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١١٦).

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٦٤) وشرف المصطفى (١/ ٣٨٧) والخصائص الكبرى (١/ ١٣٥).

ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانت بالأبواء، وهو موضع معروف بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب [١].

توفيت أمه آمنة بنت وهب، فقبرها هناك، وكان عمرها عشرين سنة، فرجعت به أم أيمن إلى مكة وكانت تحضنه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى، وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) [٢].

وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب [٣]، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة.أو تكون قد بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السلام.

كفالة جده عبدالمطلب:

لما توفيت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، ضمه إليه جده عبد المطلب ورق عليه رقة لم يرقها على ولده.

وكان عبد المطلب كان إذا أتي بالطعام أجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه وربما

---

(١) الأبواء واد من أودية الحجاز التهامية، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه واديا الفرع والقاحة فيتكون من التقائهما وادي الأبواء ويسمى اليوم «وادي الخريبة» غير أن اسم الأبواء معروف(معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٤).

(٢) صحيح مسلم٢٣٠٤.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٦/ ٢٢٨) ١٦٣٠١ومسند ابن الجعد (ص: ٣٠٠) ٢٠٣٨والمعجم الكبير للطبراني (١/ ٣٦٠) ٨٣٩وصحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (١٦/ ٣٥٦) ٧٣٥٧ وصححه الألباني.

أقعده على فخذه فيؤثره بأطيب طعامه، وكان رقيقًا عليه برًا به، فربما أتي بالطعام وليس رسول الله ﷺ حاضرًا فلا يمس شيئًا منه حتى يؤتى به.

وكان يقربه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام[١].

وكان يقول عبد المطلب إن ابني يؤسس ملكًا.

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به، فإنا لم نر قدمًا أشبه بالقدم الذي في المقام منه. وقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به[٢].

عن ابن عباس أن قريشًا أتوا امرأة كاهنة. فقالوا لها أخبرينا أشبهنا أثرًا بصاحب المقام. فقالت إن أنتم جررتم كساء على هذه السهلة ثم مشيتم عليها أنبأتكم. قال فجروا كساء. ثم مشى الناس عليها. فأبصرت أثر رسول الله. فقالت هذا أقربكم إليه شبهًا. ثم مكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو ماشاء الله ثم بعث الله محمدًا[٣].

وكان ﷺ أشبه الناس بأبيه إبراهيم عليه السلام.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وأنا أشبه ولد إبراهيم ﷺ به»[٤].

وفي رواية: «أن رسول الله ﷺ قال ليلة أسري بي، وعرض علي إبراهيم قال فإذا أقرب الناس شبهًا بصاحبكم.. »[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١١٨).

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١١٨).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ١٩٦) ٣٠٧٢ وسنن ابن ماجه ٢٣٥٠ وصححه البوصيري وأحمد شاكر.

(٤) صحيح البخاري ٣٣٩٤.

(٥) مسند أحمد ط الرسالة (١٦/ ٤٨٤) ١٠٨٣٠ وسنده حسن.

استسقاء عبدالمطلب بالنبي ﷺ:

تتابعت على قريش سنون مجدبة أقحلت الجلد، وأدقت العظم، فخرج عبدالمطلب ومعه رسول الله ﷺ وهو يومئذ غلام، فقام عبد المطلب فقال: اللهم ساد الخلة، وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم، ومسؤول غير مبخل، وهذه عبادك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم التي قد أقحلت الظلف والخف فأمطرنا اللهم غيثًا مريعًا مغدقًا، فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيجه[1].

قال أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بكفه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواصل [2]

وتوفي عبد المطلب، وسن رسول الله ﷺ له ثمان سنين.

وعمر عبد المطلب عشر ومائة سنة[3].

وبكاه رسول الله ﷺ، وكان يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون.

و قيل لرسول الله ﷺ: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٧) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/ ١٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٣٣).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ٨٢)والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٠٦).

وأوصى عبدالمطلب أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته والقيام عليه، وأوصى به إلى أبي طالب خاصة، لأن عبد الله وأبا طالب كانا لأم واحدة[1].

وكان عبدالمطلب ساد في قريش سيادة عظيمة، وذهب بشرفهم ورئاستهم، فكان جماع أمرهم عليه، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب، وهو الذي جدد حفر زمزم، بعد ما كانت مطمومة من عهد جرهم، وهو أول من طلى الكعبة بذهب في أبوابها، من الغزالتين اللاتي من ذهب حين وجدهما في زمزم مع أسياف.

وإخوة عبد المطلب، أسد بن هاشم، ونضلة بن هاشم، وأبو صيفي بن هاشم

وأخواته حية، وخالدة، ورقية، والشفاء، وضعيفة.

كلهم أولاد هاشم، واسم هاشم عمرو، وإنما سمى هاشمًا لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سني المحل، وهو توأم أخيه عبد شمس، وقد خرج هاشم ورجله ملتصقة برأس عبد شمس، فما تخلصت حتى سال بينهما دم، وشقيقهم الثالث المطلب، وكان المطلب أصغر ولد أبيه، وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال.

ورابعهم نوفل من أم أخرى، وهي واقدة بنت عمرو المازنية، وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت إليهم الرياسة، وكان يقال لهم الـمُجيرون.

وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم، ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٢).

وكان إلى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه، وإليه وإلى أخيه المطلب نسب ذوي القربى، آل بيت رسول الله ﷺ.

وقد كانوا شيئًا واحدًا في حالتي الجاهلية والإسلام لم يفترقوا، ودخلوا معهم في الشعب، و انخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل.

ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته:

جـزى الله عنـا عبـد شـمس ونـوفلا عقوبـة شر عـاجلاً غـير آجـل

قال ﷺ: «**إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام، وإنما هم بنو هاشم وبنو المطلب شيئًا واحدًا**» قال: ثم شبك بين أصابعه[١].

ولا يعرف بنو أب، تباينوا في الوفاة مثلهم، فإن هاشمًا مات بغزة من أرض الشام.

وعبد شمس مات بمكة، ونوفل مات بسلمان من أرض العراق، ومات المطلب بردمان من طريق اليمن، وكان يقال له القمر لحسنه[٢].

---

(١) المسند ١٦٧٤١ وهو حسن.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٨٦).

كفالة عمه أبوطالب:

لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ، وكان عبد الله أبو رسول الله ﷺ وأبو طالب أخوان لأب وأم، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم(١).

واستمرت رعاية أبي طالب لرسول ﷺ إلى وفاة أبي طالب، فمع كبر النبي ﷺ، إلا أنه يحوطه ويمنعه، بعد النبوة، ولم تنل منه قريش إلا بعد وفاة أبي طالب، وقد استمرت تلك الرعاية مدة اثنين وأربعين عامًا يعز جانبه ويبسط عليه حمايته، ويناضل الخصوم من أجله.

وكان أبوطالب يحبه حبًا شديدًا، لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه وصب به صبابة لم يصب مثلها قط، وكان يخصه بالطعام وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعًا أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا.
وكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يحضر ابني.

فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعهم، وإن كان لبنًا شرب أولهم، ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبًا وحده فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

---

(١) أسد الغابة (ج١ ص: ٨).

وكان الصبيان يصبحون رمصًا شعثًا ويصبح رسول الله ﷺ دهينًا كحيلا[١].

وكانت زوجة أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، تطعمه وتكسوه، وتحوطه، وقد أسلمت، وهاجرت مع ابنها، [٢] ولما ماتت دَخَل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلامًا أسود؛ يحفرون قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ فأخرج ترابه، ثم لما فرغ اضطجع فيه، ثم قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، فإنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعًا، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق، فلما سوى عليها التراب قيل: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئًا لم نرك صنعته لأحد، فقال: إني ألبستها قميصي؛ لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت في قبرها؛ لأخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله إلي صنعًا بعد أبي طالب[٣].

وهذا من وفائه عليه الصلاة والسلام لتلك المرأة التي كانت ترعاه وتحوطه، وتحسن إليه.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ٨٦) والطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١٢٠).

(٢) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة (ص: ٢٠٤) والرياض النضرة في مناقب العشرة (ص: ٢٤٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم ١٨٩-٦٩٣٥ والكبير برقم٢٠٣٢٤ وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢١) وفيه ضعف.

رعيه للغنم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[1].

فقد رعى الغنم بالأجرة، كل شاة بقيراط ليقوم بمساعدة عمه، كان يرعاها بأجياد، وقد رعاها في بادية بني سعد.

فقد كان ﷺ يتحمل المسئولية فلم يكن عالة على غيره، يقضي وقته بالرعي ليتعود على مصاعب الحياة، وليتأمل الكون، ويتفكر في مخلوقات الله.

والحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة، أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم من الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة، ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل، مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدرج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر، لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها.

---

(١) صحيح البخاري ٢٢٦٢.

ومن الحكم في رعاية الأنبياء الغنم أنْ يأخذوا أنفسهم بالتواضع، ويعتادوا الخلوة ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم، والإشارة إلى أنّ الله لم يضع النبوة في أبناء الدنيا والمترفين.

ومع رعي الغنم كان محافظًا على الخلق الحسن، والأدب ومعالي الأمور.

رعيه للإبل:

كان عليه الصلاة والسلام يرعى الإبل مع شريك له، قد أكترتهما أخت خديجة، فلما قضوا السفر بقي عليهما شيء فجعل شريكه يأتيهم فيتقاضاهم، ويقول لمحمد انطلق فيقول: «اذهب أنت فإني أستحي» فقالت له مرة: فأين محمد لا يجيء معك؟ قال:قد قلت له فذكر أنه يستحي قال: فذكرت ذلك لأختها خديجة فقالت ما رأيت أحدًا قط أشد حياء ولا أعف من محمد ﷺ [١].

استسقاء عمه أبي طالب به:

في إحدى السنوات أصاب مكة قحطًا شديدًا، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلم فاستعد !

فخرج أبو طالب، ومعه رسول الله ﷺ، كأنه شمس دجن، تجلت عنه سحابة قتماء، وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب، فألصق ظهره بالكعبة، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدق واغدودق، وانفجر الوادي، وأخصب النادي والبادي[٢].

---

(١) المعجم الكبير (٢/ ٢٠٩) ١٨٥٨ مسند البزار (١٠/ ٢٠٤) ٤٢٩٣ وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة و إسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق انظر مختصر تاريخ دمشق (٢/ ١٦٢).

قال أبو طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدلٍ لا يخيس شعيرةً ووزان صدقٍ وزنه غير عائل [1]

حفظ الله لنبيه ﷺ:

شب رسول الله ﷺ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته فكان رسول الله ﷺ يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى، وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر، إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة، ثم قال شد عليك إزارك ؛ قال فأخذته وشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي من بين أصحابي»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أبو طالب يعالج زمزم، و كان النبي ﷺ ممن ينقل الحجارة وهو يومئذ غلام، فأخذ النبي ﷺ إزاره، فتعرى، واتقى به الحجر، فغشي عليه، فقيل لأبي طالب: أدرك ابنك، فقد غشي عليه، فلما أفاق النبي

(١) انظر البخاري رقم ١٠٠٩.

(٢) أخرجه ابن اسحاق في السيرة (السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٥٠) السيرة النبوية (١/ ٣٢٣) وسنده منقطع ويكفي فيه حديث ابن عباس في البخاري في قصة بناء الكعبة].

ﷺ من غشيته سأله أبو طالب عن غشيته؟ فقال: «**أتاني آت عليه ثياب بيض، فقال لي: استتر**». فقال ابن عباس: فكان ذلك أول ما رآه النبي ﷺ من النبوة أن قيل له استتر، فما رؤيت عورته من يومئذ»[1].

وبلغ مبلغ الرجال، وهو أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا، حتى سماه قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، وعرف بالصدق في الحديث والصدق في العمل.

لم يسجد لصنم، وأبغض عبادة الأصنام، ولم يشرب خمرًا ولم يأكل ميتة ولم يقل شعرًا، وكان يصل الرحم ويحمل الكل ويغيث الملهوف ويعين على نوائب الدهر.

قال رسول الله ﷺ: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء، إلا ليلتين كلتيهما عصمني الله تعالى فيهما ؛ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال: بلى. قال: فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير، فقلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة فجلست أنظر، وضرب الله تعالى على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مس

---

(١) المستدرك (٤/ ١٩٨) ٧٣٥٦ قال الحاكم: «صحيح الإسناد» وهو ضعيف ويشهد له حديث ابن عباس في بناء الكعبة.

الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئًا، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فسألت، فقيل فلان نكح فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر، فو الله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته »[١].

إنه حفظ الله لنبيه وهدايته له في شبابه، فلم يتدنس بأوحال الجاهلية ولم يتلطخ برذائلها

قال الإمام الذهبي رحمه الله:

كان معصومًا قبل الوحي وبعده، وقبل التشريع من الزنا قطعًا، ومن الخيانة، والغدر، والكذب، والسكر، والسجود لوثن، والاستقسام بالأزلام، ومن الرذائل، والسفه، وبذاءة اللسان، وكشف العورة، فلم يكن يطوف عريانًا، ولا كان يقف يوم عرفة مع قومه بمزدلفة، بل كان يقف بعرفة.

وبكل حال، لو بدا منه شيء من ذلك، لما كان عليه تبعة، لأنه كان لا يعرف، ولكن رتبة الكمال تأبى وقوع ذلك منه ﷺ تسليمًا[٢].

---

(١) صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط - (١٤/ ١٦٩) ٦٢٧٢ المستدرك (٤/ ٢٧٣) ٧٦١٩ وهوحسن.

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١/ ١٣١).

خروج عمه أبي طالب إلى الشام وقصة بحيرى:

لما كان عمر النبي ﷺ اثنتا عشرة سنة، خرج أبو طالب في ركب تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير حزن رسول الله ﷺ، لفراقه، فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا أفارقه ولا يفارقني أبدًا، فخرج به.

فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له.

وكان إليه علم أهل النصرانية، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى - وكانوا كثيراً ما يمرون به فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، نزلوا قريبًا من صومعته صنع لهم طعامًا كثيرًا، لما رأى رسول الله ﷺ في الركب حين أقبل وغمامة تظلله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبًا منه.

فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها.

فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ودعاهم إلى الطعام وقال: إني صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، كبيركم وصغيركم، عبدكم وحركم.

فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرًا فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت قد كان ما

تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلون منه كلكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة فلما رآهم بحيرى لم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي.

قالوا: يا بحيرى ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدثنا سنًا فتخلف في رحالنا.قال: لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا.ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى وقال له: يا غلام: أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه.

وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما.

فقال له رسول الله ﷺ: «**لا تسألني باللات والعزى شيئًا، فو الله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما**».

فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه؟ فقال له: «**سلني عما بدا لك**».

فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره.

فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته.ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه من صفته التي عنده.فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني.

قال بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا.

قال: فإنه ابن أخي.قال فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به.

قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده.فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٦/ ١٩) ٣٦٢٠ والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٢) ٤٢٢٩ و إسناده صحيح]الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٥٥) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٤٥) وقال ابن حجر:في الإصابة١/ ٣٥٢- ١٢٢ هذه القصة بإسناد رجاله ثقات، من حديث أبي موسى الأشعري أخرجها الترمذي وغيره، ولم يسم فيها الراهب، وزاد فيها لفظة منكرة وهي قوله:واتبعه أبو بكر بلالا.وسبب نكارتها: أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلا، ولا اشترى يومئذ بلالا، إلا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة مقتطعة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث.

شهوده حرب الفجار:

لما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة - أو خمس عشرة سنة، هاجت حرب الفجار وسميت بذلك، لأنهم استحلوا فيها المحارم بينهم، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان، وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم.

وقال رسول الله ﷺ: «**كنت أنبل على أعمامي**» أي أرد عليهم نبل عدوهم إدا رموهم بها.

وكان عمره - عليه الصلاة والسلام - في الرابعة عشرة من عمره.

وكان القتال فيه في أربعة أيام، يوم شمطة، ويوم العبلاء، وهما عند عكاظ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يومًا - وهو الذي حضره رسول الله ﷺ [1] ويوم الحريرة عند نخلة.

---

(١) شهود النبي ﷺ الفجار وارد في السيرة وأما الحديث فلا يثبت انظر الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٧٨). والطبقات لابن سعد ١/ ١٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٥٦) وسيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ١٧٠).

شهوده حلف الفضول[(١)]:

قال رسول الله ﷺ: «**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا لو دعيت به في الإسلام لأجبت**»[(٢)].

تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلومًا». سموا ذلك الحلف حلف الفضول تشبيهًا له بحلف كان بمكة أيام جرهم على التناصف والأخذ للضعيف من القوي، وللغريب من القاطن، قام به رجال من جرهم يقال لهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة فقيل حلف الفضول جمعًا لأسماء هؤلاء[(٣)].

وسماه النبي عليه الصلاة والسلام بحلف المطيبين تشبيهًا له بحلف المطيبين الذي لم يدركه.

قال النبي ﷺ قال: «**شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه**»[(٤)].

قال ابن الأثير «اجتمع بنو هاشم وبنو زهرة وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيبًا في جفنة وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، فسموا المطيبين[(٥)].

---

(١) حضور النبي ﷺ هذا الحلف ثابت من وجوه متعددة وروايات مختلفة وثناؤه على هذا الحلف.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٦٧ برقم ١٢٨٥٩ ومعرفة السنن والآثار و (٩/ ٣٠٤) ٤٢٠٧ وهو صحيح بالشواهد).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٥٨) والسنن الكبرى ت:محمد عبد القادر عطا (٦/ ٣٦٧).

(٤) المسند برقم ١٦٥٥ وإسناده صحيح.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٤٩).

وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب.

وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف عبد الدار، ومخزومًا، وجمحًا، وسهمًا، وعدى بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل، و انتهروه فلما رأى الزبيدى الشر، أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يـــا آل فهـــر لمظلـــوم بضـــاعته	بـــبطن مكـــة نـــائي الـــدار والنفـــر
ومحـــرم أشـــعث لم يقـــض عمرتـــه	يـــا للرجـــال وبـــين الحجـــر والحجـــر
إن الحـــرام لمـــن تمـــت كرامتـــه	ولا حـــرام لثـــوب الفـــاجر الغـــدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك.

فاجتمعت بنو هاشم، وزهرة، وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعامًا، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه.

فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، و قالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر.

ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

وقال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفضـــول تحـــالفوا، وتعاقـــدوا ... ألا يقـــيم بـــبطن مكـــة ظـــالم

أمـــر عليـــه تعاهـــدوا، وتواثقـــوا ... فالجـــار والمعـــتر فـــيهم ســـالم [1]

وعبدالله بن جدعان من بني تيم كان من أشراف قريش قالت عائشة قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه قال: «**لا ينفعه إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[2].

فلا ينفع مع الكفر طاعة ولا كرامة والكافر يثاب على حسناته في الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لايظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة. وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**» [3].

وسميت حسنة ؛ لأنها تشبه صورة حسنة المؤمن ظاهرًا[4].

اشتغاله بالتجارة:

شب رسول الله ﷺ أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقًا، وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا وأمانة، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم من الفحش والأذى، ما رؤي مماريًا ولا ملاحيًا أحدًا، ولا مخادعًا ولا خائنًا حتى سماه قومه الأمين.

---

(١) الروض الأنف (١/ ٢٤١).

(٢) صحيح مسلم ٥٤٠.

(٣) صحيح مسلم ٧٢٦٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٠٦).

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، وكانت تبعث الرجال بمالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا ؛ فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها، فخرج إلى سوق حُباشة، وهو سوق بتهامة واستأجرت معه رجلا آخر من قريش فقال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها ما رأيت من صاحبة لأجير خيرًا من خديجة ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا(١).

عن جابر رضي الله عنه قال: استأجرت خديجة رضوان الله عليها رسول الله ﷺ سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص (٢).

وشارك رسول الله ﷺ السائب بن أبي السائب، ولما قدم عليه شريكه قال: أما تعرفني؟ قال أما كنت شريكي؟ فنعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري. (٣)

قال السائب أتيت النبي ﷺ فجعلوا يثنون علي ويذكروني فقال رسول الله ﷺ: «**أنا أعلمكم**» يعني به قلت: صدقت بأبي أنت وأمي كنت شريكي فنعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري (٤).

وكان يبايع الناس ويصدق في بيعه، فعن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣١٣) ٩٧١٨ ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٩٠) عيون الأثر (١/ ٦٤).

(٢) المستدرك (٣/ ٢٠٠) ٤٨٣٤والسنن الكبرى ت:محمد عبد القادر عطا (٦/ ١١٨) ١١٤٢٢ وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

(٣) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٤/ ١٢) ٣٧١.

(٤) سنن أبي داود ٤٨٣٦ وهو صحيح.

النبي ﷺ قبل أن يبعث ببيع فبقي له علي شيء فوعدته أن آتيه في مكانه فذهبت فنسيت ذلك اليوم والغد فأتيته في اليوم الثالث فوجدته في مكانه ذلك فقال لي لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث انتظرك[1].

وكان يعطي ماله من يخرج يتاجر له به.

قال أبو سفيان: جئت اليمن تاجرًا فكنت بها خمسة أشهر، ثم قدمت مكة.

فبينا أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون علي ويسألون عن بضائعهم، حتى جاءني محمد بن عبد الله وهند عندي تلاعب صبيانها، فسلم علي ورحب بي، وسألني عن سفري ومقامي ولم يسألني عن بضاعته، ثم قام.

فقلت لهند: والله إن هذا ليعجبني، ما من أحد من قريش له معي بضاعة، إلا وقد سألني عنها، وما سألني هذا عن بضاعته.

قال: وخرجت، فبينا أنا أطوف بالبيت إذ بي قد لقيته، فقلت له: إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا وكان فيها خير، فأرسل من يأخذها ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي.

فأبى عليَّ وقال: إذن لا آخذها.

قلت: فأرسل فخذها وأنا آخذ منك مثل ما آخذ من قومي.

فأرسل إلى بضاعته فأخذها وأخذت منه ما كنت آخذ من غيره[2].

---

(١) سنن أبي داود (٢/ ١٦٣) ٢٠٣١ والأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٣/ ٤٥٨) ٢٢٥ والسنن الكبرى ت:محمد عبد القادر عطا (١٠/ ١٩٨) ٢٠٦٢٤ وفيه ضعف.

(٢) دلائل النبوة للأصبهاني (ص: ١٧٦) ٢٢٦ وانظر السيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٢٧)والوفا بتعريف فضائل المصطفى (١/ ١٩).

خطبته لأم هاني بنت أبي طالب:

خطب النبي ﷺ أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية إلى أبي طالب، وخطبها منه هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمر بن عمران بن مخزوم المخزومي فزوج هبيرة فعاتبه النبي ﷺ فقال أبو طالب: يا ابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم والكريم يكافيء الكريم، ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وبين هبيرة، فخطبها النبي ﷺ فقالت: والله أني كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مصبية فأكره أن يؤذوك فقال: «**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد**»[1].

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن الشعبي قال خطب النبي ﷺ أم هانئ فقالت: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج[2].

فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه، فقال أما الآن فلا، لأن الله أنزل عليه في قوله: ﴿ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ ولم تكن من المهاجرات.

وعن ابن عباس عن أم هانئ: خطبني ﷺ، فاعتذرت إليه، فعذرني، فأنزل

---

(١) مسند أحمد برقم٧٦٥٠ وهو صحيح و مختصر الحديث في البخاري و مسلم وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٤٨٦).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٥٢) وصححه الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٣١٧).

الله: ﴿ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ ﴾ إلى قوله ﴿ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾[١] فلم أكن أحل له؛ لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم عنها قالت: نزلت في هذه الآية: ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ ﴾ أراد ﷺ أن يتزوجني فنهى عني إذ لم أهاجر[٣].

زواجه بخديجة بنت خويلد:

كانت خديجة رضي الله عنها امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالا، وكل قومها كان حريصًا على نكاحها لو يقدر عليه.

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية.

وقد كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي.

وكانت عند أبي هالة بن زرارة بن النباش بن عدي أولاً.

وأبو هالة من بني أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار بن قصي[٤].

ثم خلف عليها بعد أبي هالة، عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم خلف عليها رسول الله ﷺ.

---

(١) الأحزاب: ٥٠.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢٠٨) ٣٢١٤ والمستدرك ٤٠٥ (٤/ ٥٣)٦٨٧٢ وهو ضعيف.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٢) ١٧٧٢١.

(٤) نسب قريش (ص: ٢٢).

قصة خطبتها وزواجها:

مشى رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب، وحمزة رضي الله عنه إلى عمها عمرو بن أسد، فخطب أبوطالب خطبة النكاح وكان مما قاله في تلك الخطبة: «أما بعد فإن محمدًا ممن لا يوازن به فتى من قريش، إلا رجح به شرفًا ونبلا وفضلا وعقلا، فإن كان في المال قل، فإنما ظل زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك» فقال عمرو: هو الفحل الذي لا يقدع أنفه فأنكحها منه[١].

وكان النكاح كنكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها[٢].

تزوج النبي ﷺ خديجة وهي بنت ثمان وعشرين سنة، قال محمد بن إسحاق: وكان لها يوم تزوجها ثمان و عشرون سنة[٣].

وبنى بها وله خمس وعشرون سنة.

عن ابن عباس قال كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله ﷺ ابنة ثمان وعشرين سنة ومهرها ثنتي عشرة أوقية وكذلك كانت مهور نسائه[٤].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (المقدمة/ ٢١) والروض الأنف ج٢ ص١٥٥و سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم ٥١٢٧ وقد سبق.

(٣) المستدرك (٣/ ٢٠٠) ٤٨٣٧ وإلى ذلك مال البيهقي في دلائل النبوة وقال أنها ماتت وعمرها خمسين سنة وهو أصح. وذكر الذهبي في السير أن عمرها ثمان وعشرون.

(٤)تاريخ دمشق لابن عساكر (٣/ ١٩٣).

وأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها، وأولم رسول الله ﷺ لزواجه، ونحر جزورًا وقيل جزورين وأطعم الناس وأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف وفرح أبو طالب فرحًا شديدًا وقال الحمد الله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم وهي أول وليمة أولمها رسول الله ﷺ.

ولم يتزوج على خديجة غيرها حتى ماتت.

وكان لها من الأولاد:

هند بن أبي هالة وهو هالة بن النباش بن زرارة بن وقدان.

وهالة بن أبي هالة، وطاهر بن أبي هالة وقيل زينب بنت أبي هالة

وقيل الحارث بن أبي هالة ابنها وقيل ابن لزوجها وقد ربته في حجرها، أسلم وقتل في مكة عند الركن اليماني لما أظهر إسلامه.

وولدت خديجة لعتيق جارية، يقال لها هند، تزوجها صيفي بن أمية بن عابد بن عبد الله، فولدت له محمدًا.

وكل أولاد خديجة أسلموا.

عاش النبي ﷺ في بيت خديجة رضي الله عنها، ومعها أولادها، وأهدت إليه زيد بن حارثة، وكان قد اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل اشتراه رسول الله ﷺ لها، فوهبته لرسول الله ﷺ قبل النبوة[1].

وقدم أبوه حارثة وعمه في فدائه، فقالا للنبي ﷺ: يا ابن سيد قومه، أنتم

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٤٨٠).

أهل حرم الله وجيرانه، تَفُكُّون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عبدك. فأحسن لنا في فدائه. فقال ﷺ: «**فهل غير ذلك**»؟ فقالوا: وما هو؟ قال: «**أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم. وإن اختارني: فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني**» قالوا: قد زدتنا على النّصَف، وأحسنت. فدعاه. فقال: «**هل تعرف هؤلاء**؟ قال: «**نعم أبي وعمي**». قال: فأنا من قد علمت. وقد رأيت صحبتي لك. فاخترني، أو اخترهما. فقال: «ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا. أنت مني مكان أبي وعمي». فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية. وعلى أبيك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئًا، ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك خرج إلى الحِجْر. فقال: «**أشهدكم أن زيدًا ابني، أرثه ويرثني**» فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما. فانصرفا. ودُعِيَ: زيدًا بن محمد، حتى جاء الله بالإسلام فنزلت: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾»[1].

---

(١) أخرج البخاري آخر القصة وأخرج القصة ابن سعد في الطبقات وذكرها ابن هشام والقصة عند الترمذي مختصرة عن جبلة أخو زيد وليس والده ولا عمه وهو حديث حسن انظر سنن الترمذي (٥/ ٦٧٦) ٣٨١٥ والمستدرك (٣/ ٢٣٧) ٤٩٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٤٢) والمعجم الكبير (٢/ ٢٨٦) ٢١٩٢ وصحيح البخاري برقم ٤٧٨٢.

أولاده عليه الصلاة والسلام:

ولد لرسول الله ﷺ لما بلغ تسعًا وعشرين سنة القاسم وبه كان يكنى وعاش عليه السلام حتى مشى وقيل عاش سنتين، وقال مجاهد مكث سبع ليال ثم هلك رحمة الله، وهو أكبر ولده ﷺ (١).

ثم ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ وأدركت الإسلام وأسلمت وهاجرت وكان رسول الله ﷺ محبًا لها.

ثم لما كان عمره ثلاثًا ثلاثين ولدت رقية بنت رسول الله ﷺ.

ثم لما كان عمره خمسًا وثلاثين ولدت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

ثم لما كان عمره سبعًا وثلاثين ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ثم لما كان عمره أربعين سنة ولد عبدالله بن رسول الله ﷺ وهو الطيب الطاهر ولد في الإسلام ومات وهو صغير.

وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب قابلة خديجة في ولادتها، وكانت خديجة تعق عن كل غلام بشاتين، وعن الجارية بشاة، وكانت تسترضع لهم وتعد ذلك قبل ولادتها(٢).

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧١).

(٢) عيون الأثر (٢/ ٣٥٧) وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ١٦) والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٦٠٢) والطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ١٣٤).

من فضائل خديجة رضي الله عنها:

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة**»[١].

و عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعا: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه عز وجل أو جبريل - عليه السلام - أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن

---

(١) أخرجه البخاري برقم٣٤٣٢.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٤٠٩) ٢٦٦٨ والمستدرك (٣/ ٢٠٤) ٨٣٦٤ وسنن النسائي الكبرى (٥/ ٩٤) ٨٣٦٤ وهو صحيح.

(٣) صحيح البخاري ١٧٩٢.

(٤) صحيح البخاري ٣٨١٨.

الثناء، قالت: فغرت يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرًا منها، قال: «**ما أبدلني الله عز وجل خيرًا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء**» (١).

قدوم حليمة السعدية إلى مكة:

قدمت حليمة بنت أبي ذؤيب على رسول الله ﷺ مكة، وقد تزوج خديجة، فشكت جدب البلاد وهلاك الماشية، فكلم رسول الله ﷺ، خديجة فيها فأعطتها أربعين شاة، وبعيرًا للظعينة وانصرفت إلى أهلها(٢).

حياة النبي ﷺ قبل البعثة

عاش حياة حافلة بمكارم الأخلاق وأنبل الصفات، وحفظ الله رسوله الله ﷺ، وعصمه من أعمال الجاهلية ومعائبها، من شرب الخمور، وعبادة الأصنام، ووأد البنات، والظلم، لما يريد الله به من الكرامة والتشريف والرسالة،، وكان أحسن العرب خلقًا ومروءة وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال.

قال ﷺ: «**ما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان**» (٣).

---

(١) مسند أحمد ٢٤٨٦٤ وهو حديث حسن.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١١٣).

(٣) أخرجه أبونعيم وابن عساكر انظر مختصر تاريخ دمشق ص: ٢/ ٨٧).

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

قال زيد بن حارثة قال: كان صنم من نحاس يقال له: إساف، أو نائلة، يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ، فطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال: رسول الله ﷺ: «**لا تمسه**» فقال زيد فطفت، فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون، فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: «**ألم تنه**»؟ قال زيد: فو الذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنمًا حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه»[2].

وعن هشام عن أبيه، قال: حدثني جار، لخديجة بنت خويلد أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: «**أي خديجة، والله لا أعبد اللات، والله لا أعبد العزى أبدًا**» قال: فتقول خديجة: حل اللات، حل العزى[3]، قال: كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون[4].

و في قصة بحيرى الراهب حين حلف باللات والعزى متابعة لقريش، فقال النبي ﷺ: «**لا تسألني باللات والعزى شيئًا، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئًا قط**».

وكانت قريش ومن يدين دينها وهم الحمس يقفون عشية عرفة بالمزدلفة يقولون: نحن قطن البيت وكانت بقية الناس والعرب يقفون بعرفات.

---

(١) الشورى:٥٢.

(٢) سنن النسائي الكبرى ٨١٨٨وسنده قوي و المستدرك (٣/ ٢٣٨برقم٤٩٥٦).

(٣) ومعنى حل اللات اي صف وانعت.

(٤) مسند أحمد ١٧٩٤٧ وإسناده صحيح (ثم يضطجعون) أي قبل أن ينامون.

فعن عائشة رضي الله عنها كانت قريش، ومن دان دينها، يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[1].

قال جبير بن مطعم، لقد رأيت رسول الله ﷺ، وهو على دين قومه، وهو يقف على بعير له، بعرفات، من بين قومه حتى يدفع معهم، توفيقًا من الله عز وجل له »[2].

ومعنى على دين قومه، على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل، في حجهم ومناكحهم وبيوعهم، دون الشرك، فإنه لم يشرك بالله قط، وذلك قبل البعثة.

ولقي النبي ﷺ زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح [3]، قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها، فقدمها النبي ﷺ إلى زيد، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله إنكارًا لذلك وإعظامًا له[4] .

---

(١) صحيح البخاري ٤٥٢٠.

(٢) مسند أحمد ١٦٧٥٧ و صحيح البخاري ١٦٦٤ وصحيح مسلم ٣٠١٥.

(٣) واد غربي مكة من جهة التنعيم ويسمى ودي أم الدود وغير اسمه إلى أم الجود.

(٤) صحيح البخاري ٣٨٢٦.

قال ﷺ: **«ما ذقت شيئًا ذبح على النصب حتى أكرمني الله برسالته»** (١).

قال أبو نعيم رحمه الله: ومما عظم به ﷺ وحرس منه أن لا يتعرى كفعل قومه وأهله وإذا حفظ من التعري فما فوقه أولى أن يعصم منه وينهى عنه(٢).

وعن علي بن أبي طالب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بعدها بشيء حتى أكرمني الله برسالته»** (٣).

وكان يصوم يوم عاشوراء كما كانت قريش تصومه، وكان يومًا تستر فيه الكعبة، كانوا يضعون عليها الستور بعضها فوق بعض (٤).

و صيام قريش لعاشوراء يحتمل أنهم أخذوا ذلك عن أهل الكتاب، وورد في بعض الأخبار أنهم كانوا أصابهم قحط ثم رفع عنهم فصاموه شكرًا.

وكان ﷺ لا يزداد على السن إلا رضًا من قومه حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي، فطفقوا لا ينحرون جزورًا إلا التمسوه فيدعو لهم فيها.

وكان يصل الرحم ويصدق الحديث ويحمل الكل ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق(٥).

---

(١) دلائل النبوة لابي نعيم (ص: ١٨٨)ورقم ١٣١.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٨٨).

(٣) مسند البزار (١/ ١٢٧)برقم ٦٤٠ قال الهيثمي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨٠٧ (٨/ ٢٢٦) رجاله ثقات.

(٤) مسندأحمد ٢٥٢٩٤ وهو صحيح وهو في الصحيح.

(٥) كما في حديث عائشة في وصف خديجة له أخرجه البخاري برقم٤٩٥٣.

بناء الكعبة:

مما تمسكت به قريش من دين إبراهيم عليه السلام تعظيم الحرم، والكعبة، فلما تواهى بنيان الكعبة من الحريق الذي أصابها، لما جمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت، و دخلها السيل وصدع جدرانها، وكانت الكعبة حجارة بعضها فوق بعض ولم يكن لها سقف، فسرق حُلي الكعبة، فأرادت قريش أن يشيدوا بنيانها، وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاءوا، وكانت الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنيانها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيبًا، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس.

وكان أبو وهب خال أبي النبي ﷺ وكان شريفًا ممدحًا.

وكان سن رسول الله ﷺ خمسًا وثلاثين سنة

واجتمعت قريش على ذلك فأعدوا لذلك نفقة وعمالا، ثم غدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمنعهم الله الذي أرادوا.

فكان أول رجل طلعها وهدم منها شيئًا الوليد بن المغيرة، فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس، أساس إبراهيم عليه السلام، أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها بعضًا.

فلما أرادوا أن يأخذوا في بنيانها أحضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي أمامه موضع قدم.

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم، فتحطمت.

فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وجزأت قريش الكعبة.

فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم.

وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم، وكان شق الحِجر وهو الحطيم لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي بن كعب.

ثم بنوها حتى بلغ البناء موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، دون الأخرى.

حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم.

فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا.

وقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكان عامئذ أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه، أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا.

فكان أول داخل دخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد.

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله ﷺ: «**هلموا إلي ثوبًا**» فأتي به وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: «**لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب**».

ثم ارفعوه جميعًا «ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ﷺ، ثم بنى عليه [١].

وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثماني عشرة ذراعًا وكانت تكسى القباطي وقد أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصرت بهم النفقة، فلم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم.

وجعلوا للكعبة بابًا واحدًا من ناحية الشرق، وجعلوه مرتفعًا لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا.

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**إن قومك قصرت بهم النفقة ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا، وأدخلت فيها الحجر**» [٢].

---

(١) أخرج بناء الكعبة الأزرقي في أخبار مكة (١/ ١٧٣)وسنده حسن والطبراني في الكبير (١٣/ ٢٨٥، ١٥٢٦٥وتفاصيلها في سيرة ابن هشام (١/ ١٧٩)وابن كثير (١/ ٢٧٤)وتاريخ الإسلام ١/ ٧٠ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ١٧٦)١١٤ وقصة قضاء رسول الله فيهم أخرجها احمد في المسند ط الرسالة (٢٤/ ٢٦١) ١٥٥٠٤ بسند صحيح والطبراني في الأوسط المعجم الأوسط (٣/ ٥٠) ٢٤٤٢ والحاكم في المستدرك ٤٠٥ (١/ ٤٥٨) ١٦٨٤والطيالسي في مسنده (دار هجر) (١/ ١٠٨) ١١٥ وعبد الرزاق في المصنف (٥/ ١٢٨) ٩١٥٢.

(٢) صحيح البخاري ١٢٦.

وشارك النبي ﷺ قريشًا في بناء الكعبة وكان ينقل الحجارة مع عمه العباس رضي الله عنه، فقال العباس للنبي ﷺ اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، وسقط مغشيًا عليه ثم قام فقال إزاري إزاري، فشد عليه إزاره فما رئي بعد ذلك اليوم عريانًا[1].

إرهاصات النبوة:

حُبب إلى النبي ﷺ الخلوة، لأن فيها فراغ القلب والعقل والروح، وهي معينة على الفكر، وينقطع بها عن مألوفات البشر، ويخشع قلبه، فلطف الله تعالى به في بدء أمره، فحبب إليه الخلوة، وقطعه عن مخالطة البشر، وكان دخوله الخلوة بإلهام من الله تعالى لا من تلقاء نفسه، وكان عليه الصلاة والسلام قبل نبوته هو وسائر الأنبياء منشرح الصدر بالتوحيد والإيمان فإنهم لا يليق بهم الشك في شيء من ذلك، ولا خلاف في عصمتهم من ذلك.

وكان يخلو في جبل حراء، وخصص ﷺ جبل حراء بالخلوة والتعبد فيه دون غيره من جبال مكة، لأن المقيمَ فيه، يمكنه رؤية الكعبة، فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر إلى البيت.

وكان يتحنث في غار حراء، يتأمل في ملكوت الله، وكل هذا يمضي بقدر الله، والغار، يبعث على التأمل والتفكر، تنظر إلى منتهى الطرف فلا ترى إلا جبالاً

---

(١) صحيح البخاري ٣٨٢٩.

كأنها ساجدة لله ومعظمة له تذل وتخشع له، وإلا سماء صافية الأديم.

وقد لجأ النبي ﷺ إلى التأمل والتفكر، حين رأى أن أهل مكة قد أحاطت بهم ظلمات الشرك والضلال، وغرقوا في عبادة الأصنام والأوثان.

وكان يأخذ معه سويقًا وماءً، ويخلوا بنفسه شهر رمضان في كل سنة، فإذا انقضى رجع إلى زوجته خديجة رضي الله عنها.

و لما قارب الأربعين بدأ ما يدل على أن الله جلّ وعلا سيختصه بأمرٍ عظيم، فكان لا يمشي في طرقات مكة إلا ناداه الحجر «السلام عليك يا نبي الله» فيلتفت يمينًا وشمالا فلا يرى شخصًا ولا خيالا فيتعجب ويمضي.

فعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»**[1].

وكان يرى ضوءًا، ويسمع صوتًا، روى مسلم عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئًا وثمان سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشرًا [2] والمقصود أنه قبل سنتين من رسالته يرى ويسمع عليه الصلاة والسلام.

فكان يسمع صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى نور الملائكة، ونور آيات الله تعالى حتى رأى الملك بعينه وشافهه بوحي الله، وخشي أن يكون به جنن،

---

(١) مسند أحمد ٢٠٨٢٨ وصحيح مسلم ٦٠٧٨.

(٢) صحيح مسلم ٦٢٥٠.

وذكر ذلك لزوجته خديجة رضي الله عنها، فقالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله. ثم أتت ورقة بن نوفل، فذكرت ذلك له، فقال: إن يك صادقًا، فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن بعث وأنا حي، فسأعزره، وأنصره، وأومن به[١].

ثم أصبح يرى الرؤيا فتقع كفلق الصبح، وبديء ﷺ بالرؤيا الصالحة ليكون تمهيدًا وتوطئة لليقظة، لئلا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها، فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، أو قال: الرؤيا الصالحة " قالت: «وكان لا يرى رؤيًا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[٢].

والرؤيا جزء من النبوة [٣]، وكان مدة الرؤيا ستة أشهر، حتى أوحي إليه، وكان بدايتها على رأس بلوغه الأربعين في شهر ربيع الأول إلى رمضان[٤].

---

(١) مسند أحمد ٢٨٤٥ وشرطه شرط مسلم.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤٢/ ١١٣) ٢٥٢٠٢ وأخرجه مطولا البخاري (٤٩٥٣ ومسلم (١٦٠) (٢٥٢).

(٣) صحيح البخاري ٦٩٨٩.

(٤) سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي (ص: ١٢٠) وعيون الأثر (١/ ١٠٠).

إخبار الكهان واليهود والنصارى ببعثة النبي ﷺ:

حيل بين الشياطين، وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، قال الله تعالى: ﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾.

وكان اليهود يقرءون في كتبهم وقت خروجه، فجاءوا وسكنوا المدينة رجاء أن يكون منهم نبي آخر الزمان.

وكان هرقل ملك الروم حزاء، ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة، قالوا ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال هم يختتنون، فقال هرقل هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي)[١].

وكان زيد بن عمرو خالف قومه، واتبع ملة إبراهيم وإسماعيل، وما كانا يعبدان وكان يقول، أنا أنتظر نبيًا من بني إسماعيل يبعث، ولا أراني أدركه، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي[٢].

---

(١) صحيح البخاري ٧.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٦١)والبخاري وشرحه فتح الباري ج ٧ ص ١٤٣.

وكان قس بن ساعدة الأيادي يقول أقسم قس قسمًا برًا لا إثم فيه، ما لله على الأرض دين هو أحب إليه من دين أظلكم إبانه، وأدرككم أوانه، طوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن أدركه ففارقه[١].

وقصة إسلام سلمان الفارسي وقول الراهب له يا سلمان، إن الله تعالى، سوف يبعث رسولا اسمه أحمد، يخرج بتهامة وكان رجلا أعجميًا لا يحسن أن يقول تهامة ولا محمدًا. علامته أنه يأكل الهدية. ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم، وهذا زمانه الذي يخرج فيه فقد تقارب، فأما أنا فشيخ كبير ولا أحسبني أدركه، فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه. قلت: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال: وإن أمرك، فإن الحق فيما يجيء به، ورضا الرحمن فيما قال[٢].

وخبر سواد بن قارب عن محمد بن كعب القرظي، قال: "بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعد في المسجد مر رجل في مؤخر المسجد، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أتعرف هذا المار؟ قال: لا فمن هو؟ قال: هذا سواد بن قارب، وهو رجل من أهل اليمن، له فيهم شرف وموضع، وهو الذي أتاه رئيه بظهور رسول الله ﷺ، فقال عمر -رضي الله تعالى عنه: عليَّ به فدعي له به، قال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم، قال: فأنت الذي أتاك رئيك بظهور رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضب غضبًا شديدًا وقال: يا أمير المؤمنين، ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت، فقال عمر: يا سبحان

---

(١) ذكر ابن كثير والبيهقي أخبار قس بن ساعدة وذكروا ضعفها، الا أنهما قالا أن كثرة طرقها تدل على اثبات اخباره بالجملة البداية والنهاية ج٢ / ٢٥١ ودلائل النبوة ٢/ ١٠٢.

(٢) أخرج القصة الإمام أحمد في المسند وغيره برقم ٢٣٧٣٧ وصححها الألباني.

الله، والله ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك، أخبرني بإتيانك رئيك بظهور رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب، فافهم، واعقل، إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجن وتجساسها ... وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما خير الجن كأنجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينيك إلى رأسها

قال: فلم أرفع لقوله رأسًا، وقلت: دعني أنم، فإني أمسيت ناعسًا، فلما أن كانت الليلة الثانية، أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب، قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله عز وجل، وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني، يقول:

عجبت للجن وتطلابها ... وشدها العيس بأقتابها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما صادق الجن ككذابها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ... ليس قداماها كأذنابها

قال: فلم أرفع بقوله رأسًا، فلما أن كان الليلة الثالثة، أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب افهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله عز وجل، وإلى عبادته، ثم أنشأ الجني، يقول:

عجبت للجن وأخبارها وشدها العيس بأكوارها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها

فوقع في نفسي حب الإسلام، ورغبت فيه فلما أصبحت شددت على راحلتي، فانطلقت متوجهًا إلى مكة، فلما كنت ببعض الطريق، أخبرت أن النبي ﷺ قد هاجر إلى المدينة، فأتيت المدينة، فسألت عن النبي ﷺ، فقيل لي: في المسجد فانتهيت إلى المسجد فعقلت ناقتي، وإذا رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: ادنه، ادنه، فلم يزل بي حتى صرت بين يديه، فقال: هات فأخبرني بإتيانك رئيك فقلت:

أتاني نجيي بعد هدوء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب

فشمرت من ذي الإزار ووسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب

فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال: ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بإسلامي فرحًا شديدًا حتى رؤي في وجوههم، قال: فوثب عمر رضي الله تعالى عنه إليه، والتزمه، قال: قد كنت أحب أن أسمع هذا منك»[1].

---

(١) أخرج القصة الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢٠٥٦٣٥٧ والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٠٤)برقم٦٥٥٨وأخرج جزء منها البخاري في الصحيح برقم٣٦٥٣.

بعثة النبي ﷺ:

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، والرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، ومكث على ذلك ستة أشهر، وكانت مدة الوحي إليه ثلاثًا وعشرين سنة [1]

وأول مايؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد ذلك عليهم.

وكان رسول الله ﷺ، يحب الخلاء والانفراد عن قومه، لما يراهم عليه من الضلال المبين، من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وحبب إليه خلال الخير ولزوم الوحدة فرارًا من قرناء السوء، وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إيحاء الله إليه، صلوات الله وسلامه عليه، وليبتعد عن ظُلُمات هذا العالم وينقطع عن الخلق إلى الله فإن في العزلة صفاءَ السريرة، وهي هجرة إلى الله تعالى فلما لزم ذلك أعطاه الله النبوة.

وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهرًا من السنة يتنسك فيه، وكان من نسك قريش في الجاهلية، يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة.

وتعبده عليه الصلاة والسلام قبل البعثة على شريعة إبراهيم عليه السلام، وكان يتعبد الليالي قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، حتى جاءه الحق وهو في

---

(١) صحيح البخاري برقم ٣وصحيح مسلم برقم ٤٢٢.

غار حراء يوم الاثنين في شهر رمضان، فجاءه الملك فقال اقرأ، قال ما أنا بقارئ، فأخذه فغطه، حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ، فأخذه فغطه الثانية حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ، لأنه لم يقرأ كتابًا ولم يكتب حرفًا، فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه، وليحتمل ما يكلف به من أعباء النبوة، و ليستيقظ لعظمة ما يلقى إليه بعد هذا الصنيع الشاق على النفوس فقال﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ﴾.

لقد أراد الله جل جلاله، العظيم الجبار القهار المتكبر، مالك الملك كله، بعباده خيرًا فرحمهم فأنزل إليهم كلامه هداية ورحمة، واختار لهم عبده ورسوله خير الخلق أجمعين عليه الصلاة والسلام.

ولقد ولد الإنسان من جديد باستضاءته بوحي السماء، واستمداده شريعته من الوحي لا من الهوى.

فكان هذا الحدث مفرق الطريق، ولقد كان فرقانًا في تاريخ البشر لا في تاريخ أمة ولا جيل.

لقد أراد الله الكريم الأكرم أن يكرم عبادة ببعثة سيد الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهو سبحانه الذي خلقهم من النطفة التي تتحول إلى قطعة من الدم ثم تتكون قطعة من اللحم، ثم يخلق الإنسان منها، الذي علمه ربه بعد وجوده في هذه الحياة، علمه الحق، وفطره على التوحيد، فلا حياة له إلا بذلك.

فرجع رسول الله ﷺ بتلك الآيات البينات، يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال زملوني زملوني فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة:كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة:يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعًا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أومخرجي هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي[1].

وحزن رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا لانقطاع الوحي.

نزول المدثر والرسالة عليه الصلاة والسلام:

قال ﷺ بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت، فقلت دثروني وصبوا عليَّ ماء باردًا، قال فدثروني وصبوا عليَّ ماء باردًا قال فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾[2].

---

(١) صحيح البخاري برقم ٣و صحيح مسلم برقم ٤٢٢.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٩٢٢ و صحيح مسلم برقم ٤٢٧.

والحكمة في الصب بعد التدثر، طلب حصول السكون لما وقع في الباطن من الانزعاج، أو أن العادة أن الرعدة تعقبها الحمى، وقد عرف من الطب النبوي معالجتها بالماء البارد(١).

وقد رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم(٢).

فبعثه الله بالرسالة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ أنذر كفار مكة وجميع الثقلين ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ عظمه بالتوحيد عما يقوله عبدة الأوثان.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾ ونفسك فطهرها من الذنوب والمعاصي وأعظمها الشرك بالله، وأمره بتطهير قلبه ونيته، وإحسان خلقه.

﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾ الرجز الأوثان، فاهجرها ولا تقربها.

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجرًا.

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله، واصبر على ما أوذيت في سبيل الدعوة.

وكان مدة انقطاع الوحي أربعين يومًا(٣)، وكان نزول المدثر في آخر شهر شوال من السنة الأولى من البعثة.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٢٢).

(٢) مسند أحمد ٣٧٤٩ وله شواهد وهو حسن.

(٣) شرح المواهب اللدنية ١/ ٢٣٦) كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والحكمة في انقطاع الوحي ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلى العود، فلما حصل له ذلك، وأخذ يرتقب مجيء الوحي أكرمه الله بالوحي مرة ثانية [١].

نزول سورة الضحى:

عن جندب قال: أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال: المشركون قد ودع محمد فأنزل الله عز وجل [٢].

وقالت خديجة: أرى ربك قد قلاك، مما نرى من جزعك، قال: فنزلت ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ إلى آخرها [٣].

فكانت سورة الضحى بيانًا لشرف النبي ﷺ ومكانته عند ربه، فأقسم الله له فيها بالضحى وهو أول النهار من طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى ما قبل الزوال بقليل، وبالليل إذا سجى أي غطى بظلامه، وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة فيه.

ماتركك ربك وما أبغضك، وما في الآخرة للنبي ﷺ خير من الدنيا، لما أعد الله له فيها من الملك الكبير والنعيم العظيم المقيم. وسوف يعطيه ربه من فواضل نعمه حتى يرضى في الدنيا من كمال الدين وظهور الأمر، وفي الآخرة الشفاعة وأن

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٧.

(٢) صحيح مسلم.١٧٩٧.

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٤٨٦) والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٦٧برقم٤٢١٤ والبيهقي وسنده صحيح.

لا يبقى أحد من أمته من أهل التوحيد في النار والوسيلة التي لا تكون لأحد سواه.

وامتن الله عليه بثلاث منن:

فالمنة الأولى: عاش يتيمًا فآواه ربه بأن ضمه إلى عمه أبي طالب فكان أبًا رحيمًا وعمًا كريمًا له وحصنًا منيعًا له، ولم يتخل عن نصرته والدفاع عنه حتى وفاته.

والثانية:منة العلم والهداية فقد كان ﷺ يعيش في مكة كأحد رجالاتها، لا يعرف علمًا ولا شرعًا وإن كان معصومًا من مقارفه أي ذنب أو ارتكاب خطيئة إلا أنه ما كان يعرف إيمانًا ولا إسلامًا ولا شرعًا.

والثالثة: منته عليه بالغنى بعد الحاجة فقد مات والده ولم يخلف أكثر من جارية، هي بركة أم أيمن وبضعة جمال، فأغناه الله بغنى القناعة فلم يمد يده لأحد قط.

فأرشد الله تعالى رسوله إلى شكر تلك النعم ليزيده عليها، فلا يقهر اليتيم بأخذ ماله أو إذلاله، ولا ينهر الفقير المسكين ولا يزجره، وأن يتحدث بنعم الله عليه إبلاغًا وتعليمًا وتربية وهداية فذاك شكرها والله يحب الشاكرين.

نزول سورة الشرح:

أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ سورة الشرح بذكر امتنان الله على رسوله وبيان قدره وفضله.

فقد شرح الله صدره بالنبوة، وبشقه وتطهيره وملئه إيمانًا وحكمة، وحط عنه ما سلف من تبعات الجاهلية قبل النبوة، فإن الذنوب تثقل العبد، فقد كان ﷺ يشعر بحمل ثقيل من جراء ترك العبادة، والتقرب إلى الله تعالى في وقت ما قبل النبوة، فرفع الله ذكره و أعلاه فأصبح يذكر في الآذان والإقامة والتشهد.

وأرشد الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن ما يلقاه من عسر في بلاغ الدعوة سيعقبه فرج ويسر، وعليه أن يتسلح بالدعاء والصلاة ويتضرع إلى الله راغبًا فيما عنده من الخيرات والبركات.

أنواع الوحي:

كان الوحي يأتي رسول الله ﷺ أحيانًا مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه فيفصم عنه وقد وعى عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل له الملك رجلا فيكلمه فيعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[1].

وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى، والدرجات للنبي ﷺ.

(١) صحيح البخاري برقم ٢ و صحيح مسلم برقم٦٢٠٥.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[2].

أول من أسلم:

كان أول من أسلم من هذه الأمة خديجة، فآمنت به وصدقته بما جاء به من الله، وآزرته على أمره، فكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به، فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع بشيء يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رضي الله عنها[3].

وأسلمن بناته ﷺ زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.

---

(١) صحيح البخاري برقم ٢و صحيح مسلم برقم٦٢٠٥.

(٢) الشورى:٥١.

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٩٩) وأسد الغابه (٦/ ٧٨).

إسلام الصديق:

أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، وقد كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه، وأمانته وحسن سجيته، وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق، فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم، ولا تردد[1].

فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت خرج أبو بكر الصديق يريد رسول الله ﷺ، وكان له صديقًا في الجاهلية، فلقيه فقال يا أبا القاسم فقدتك من مجلس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأديانها، فقال رسول الله ﷺ إني رسول الله أدعوك إلى الله، فلما فرغ رسول الله ﷺ، أسلم أبو بكر فانصرف عنه رسول الله ﷺ، وما بين الأخشبين أحد أكثر منه سرورًا بإسلام أبي بكر ومضى أبو بكر، فراح بعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص فأسلموا ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا.

قال النبي ﷺ إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي مرتين فما أوذي بعدها[2].

---

(١) انظر في إسلام الصديق صحيح البخاري - (٥/ ٥٨) ٣٨٥٧و مسند أحمد ط الرسالة (٣٢/ ٦٠) ١٩٣٠٦ وسنن الترمذي (٦/ ٩١) ٣٧٣٤ السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٤٣٥)وسيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ٢٣١)و الروض الأنف ت الوكيل (٣/ ١٠)و السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٣٨٩) وسيرة ابن اسحاق = السير والمغازي (ص: ١٣٩) والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٧١).

(٢) صحيح البخاري ٣٦٦١.

إسلام ورقة بن نوفل:

ورقة بن نوفل، أدرك نبوته عليه الصلاة والسلام ولم يدرك رسالته، فعن عائشة رضي الله عنها أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل، فقالت له خديجة إنه كان صدقك ولكنه مات قبل أن تظهر، فقال: «قد رأيته في المنام، فرأيت عليه ثياب بياض، فأحسبه لو كان من أهل النار، لم يكن عليه بياض»[1]

وروى البزار وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين**» وهذا إسناد جيد[2]

وسئل رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل؟ فقال: قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس».[3]

إسلام علي بن أبي طالب:

أول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين وكان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام، يعيش في بيته وتحت تربيته.

عن مجاهد بن جبر قال: كان من نعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما صنع الله له و أراده به من الخير، أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب في

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم٢٤٣٦٧وهو حسن.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٦) وانظر كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة (٣/ ١٢٤) ٤٢١١. وتاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣/ ٤).

(٣) أخرجه ابويعلى في المسند (٤/ ٤١) ٢٠٤٧ وسنده حسن وانظر كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة (٣/ ١٢٥).

عيال كثير فقال: رسول الله ﷺ لعمه العباس، وكان من أيسر بني هاشم: يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد كان الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه فقال العباس: نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك، حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا فاتبعه وصدقه و أخذ العباس جعفرًا و لم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم و استغنى عنه [١].

وعن عفيف الكندي، قال: كنت امرأ تاجرًا، فقدمت الحج، فأتيت العباس ابن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرأ تاجرًا، فو الله إني لعنده بمنى، إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت - يعني قام يصلي - قال: ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء، فقام معه يصلي. قال: فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟ قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، قال: فقلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد. قال: قلت: من هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه.

(١) المستدرك (٣/ ٦٦٦) ٦٤٦٣وهو حسن.

قال: فقلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: «يصلي، وهو يزعم أنه نبي»، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته، وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم " أنه سيفتح عليه كنوز كسرى، وقيصر " قال: فكان عفيف وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول: وأسلم بعد ذلك، فحسن إسلامه لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ، فأكون ثالثًا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه)(١).

وعن زيد بن أرقم قال: " أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب " وكانت الدعوة إلى الإسلام سرية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلاة فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن أخي ما هذا الذي تدين به، قال: «**أي عم هذا دين الله، ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه**»، فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شئ تكرهه ما بقيت (٢).

---

(١) مسند أحمد ١٧٨٧ و المستدرك (٣/ ٢٠١) وصححه الذهبي ٤٨٤٢وهو حديث حسن.

(٢) ذكره ابن اسحاق في السيرة بسند منقطع وماقبله يشهد له ويشهد له مارواه الترمذي عن زيد ابن أرقم وسنده حسن انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٨٦.

إسلام زيد بن حارثة:

أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة – رضي الله عنه[١].

من أسلم على يدي أبي بكر

كان أبو بكر رجلا مألفًا لقومه محبًا، سهلا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجرًا ذا خلق ومعروف.

وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه.

فأسلم على يديه الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا.

وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام، فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله[٢].

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ٢٣٠) والسيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٣٩٢).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٣٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٦٥)وسيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ٢٣٢).

إسلام الزبير بن العوام:

عن هشام بن عروة قال: أسلم الزبير وهو ابن ست عشر سنة، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ [١].

نزول سورة العصر:

في هذه السورة يقسم الله بالعصر، وهو الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر، ولأن فيه عبرة للناظر، وهو عمر الإنسان وهو خزانة الأعمال، وفيه دلالة بينة على الله عزّ وجلّ، وعلى توحيده، وجواب القسم:إن الإنسان في خسارة وهلاك، واستثنى الله من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم،

وتواصوا في أداء الطاعات، وترك المحرمات، من الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه، وتلك بشارة للمؤمنين برسالة النبي ﷺ وتحذير لهؤلاء المكذبين، وفي الآيات ترغيب بالدعوة إلى الله، الدعوة إلى التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالصبر على المصائب والأقدار، وأذى المشركين

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨/ ٣٤٥)و السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٦٧٨)و المعجم الكبير (١/ ١٢١) ٢٣٧.

إسلام السابقين إلى الإسلام:

أسلم بلال، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وأبو فكيهة: مولى صفوان بن أمية بن خلف، وشقران مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورثه من أبيه هو وأم أيمن، وعمار بن ياسر، و أبوه، وأمه سمية فإن الثلاثة كانوا ممن يعذب في الله، وأم أيمن، وصهيب، والمقداد، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعتبة بن غزوان، ومصعب بن عمير، وعياش بن أبي ربيعة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وقدامة بن مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب.

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى أخت عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وعمروبن عبسة، وأبوذر جندب بن جنادة [1]

إسلام عثمان بن عفان:

قال عثمان: كنت بفناء الكعبة إذ أتينا فقيل لنا: إن محمدًا قد أنكح عتبة بن أبي لهب رقية ابنته وكانت ذات جمال بارع، وكان عثمان مشتهرًا بالنساء و، كان وضيئًا حسنًا جميلاً أبيض مشربًا صفرة جعد الشعر له جمة أسفل من أذنيه، جذل الساقين طويل الذراعين أقنى بيّن القنا قال عثمان: فلما سمعت ذلك دخلتني

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ٢٣٣).

حسرة، ألا أكون سبقت إليها فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلي فأصبت خالتي قاعدة مع أهلي، قال: وأمه أروى بنت كريز، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب وخالته التي أصابها عند أهله سعدى بنت كرز وكانت قد طرقت وتكهنت لقومها قال: فلما رأتني قالت:

أبشــــر وحييــت ثلاثًـــا وتـــرا	ثـــم ثلاثًــا وثلاثًـــا أخـــرى
ثـــم بــأخرى كــي تــتم عشــرا	لقيـــت خـــيراً ووقيـــت شراً
نكحـــت والله حصـــاناً زهـــرا	وأنـــت بكـــرٌ ولقيـــت بكـــرا

قال: فعجبت من قولها وقلت: يا خالة ما تقولين؟ فقالت:

عـــثمان يـــا عـــثمان يـــا عـــثمان	لـــك الجـــمال ولـــك الشـــان
هـــذا نبـــيٌ معـــه البرهـــان	أرســـله بحقـــه الـــديان
وجـــاء التنزيـــل والفرقـــان	فاتبعـــه لا تغيـــان بـــك الأوثـــان

فقالت: إن محمد بن عبد الله رسول الله جاء إليه يدعوه إلى الله مصباحه، مصباح وقوله صلاح ودينه فلاح، وأمره نجاح، لقرنه نطاح ذلت له البطاح ما ينفع الصياح لو وقع الرماح وسلت الصفاح ومدت الرماح.

ثم انصرفت ووقع كلامها في قلبي وبقيت متفكرًا فيه، وكان لي مجلس من أبي بكر الصديق فأتيته بعد يوم الاثنين فأصبته في مجلسه ولا أحد عنده فجلست إليه فرآني متفكرًا فسألني عن أمري، وكان رجلاً رقيقًا فأخبرته بما سمعت من خالتي فقال لي: ويحك يا عثمان! والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صمًا لا تسمع ولا تبصر

ولا تضر ولا تنفع؟ قلت: بلى والله إنها لكذلك. قال: والله لقد صدقتك خالتك هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقلت: نعم فو الله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله ﷺ ومعه علي بن أبي طالب يحمل ثوبًا لرسول الله ﷺ، فلما رآه أبو بكر قام إليه فساره في أذنه فجاء رسول الله ﷺ فقعد ثم أقبل عليَّ، فقال: «**يا عثمان أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه**»، قال: فو الله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ثم لم ألبث أن تزوجت رقية وكان يقال: أحسن زوجين رآهما إنسان: رقية وزوجها عثمان

وفي إسلام عثمان تقول خالته سعدى:

هدى الله عثمان الصفي بقوله	**فأرشده والله يهدي إلى الحق**
فتابع بالرأي السديد محمدًا	**وكان بن أروى لا يصد عن الحق**
وأنكحه المبعوث إحدى بناته	**فكان كبدر مازج الشمس في الأفق**
فداؤك يا بن الهاشمين مهجتي	**فأنت أمين الله أرسلت في الخلق** [1]

إسلام الخمسة:

عن يزيد بن رومان قال: انطلق ابن مظعون، وعبيدة بن الحارث، و عبد الرحمن بن عوف، و أبوسلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٣) وانظر الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ٢١٨).

نزول سورة العاديات:

في هذه السورة يقسم الله بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت، وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو، وإذا اصطك نعلها بالصخر فتقدح منه النار، وإذا أغارت وقت الصباح، فأظهرت الغبار عند عَدوها، واجتمعت في وسط مكان القتال، وكل ما أقسم الله به من صفات الخيل مما يرهب أعداء الله، وتلك بشارة للمؤمنين الأولين الذين هم في غربة الاسلام أن الله سينصرهم ويؤيدهم بما يخيف به أعداءهم والمقسم عليه: إن الإنسان جحود كفور لنعم ربه، وقد شهد على ذلك لسان حاله، فظهر ذلك في أقواله وأفعاله، فهؤلاء المكذبين من قريش كفروا بنعمة الله، وكذبوا رسول الله ﷺ.

وفي الآيات أن الإنسان شديد المحبة للمال، وبخيل في إنفاقه، وكم أنفق الكفار في الصد عن سبيل الله

والمؤمن يزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة، فما هي حاله إذا أخرج ما في القبور من الأموات؟ وفي ذلك إثبات للبعث بعد الموت الذي يكذب به المشركون.

مشروعية الوضوء والصلاة:

علم جبريل رسول الله ﷺ الوضوء والصلاة، وكانت الصلاة في أول النهار وآخره، فقد أمر الرسول ﷺ بالصلاة في أول النهار وآخره.

ولم تفرض وكان يصلي في الشعاب والأودية، فإذا مالت الشمس قام يصلي و تصلي معه خديجة وعلي رضي الله عنهم»[1].

---

(١) مسند أحمد ١٧٨٧و المستدرك (٣/ ٢٠١) ٤٨٤٢وهو حديث حسن.

قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ (سورة ق، الآيتان: ٣٩، ٤٠).

نزول سورة المزمل:

أنزل الله على نبيه سورة المزمل زادًا له على تحمل مصاعب الدعوة، ففي قيام الليل عدة على تحمل أذى المشركين، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل، وينهض إلى القيام لربه عز وجل، فامتثل رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده، فأمره أن يقوم نصف الليل بزيادة قليلة، أو نقصان قليل، لا حرج عليه في ذلك، وأن يقرأ القرآن على تمهل، فإنه يكون عونًا له على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، فيستحب للمؤمن الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة، لا ينثره نثر الدقل ولا يهذه هذ الشعر، يقف عند عجائبه، ويحرك به القلوب، ولا يكن همه آخر السورة، وأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بقيام الليل ليكون عونًا له لتحمل نزول القرآن عليه، وليتحمل أعباء الرسالة، فإن القرآن ثقيل وقت نزوله؛ من عظمته، وثقيل في العمل به عند النفوس الضعيفة، وقد كان الوحي إذا نزل على رسول الله ﷺ في اليوم الشديد البرد ينقطع عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا، وإذا نزل عليه وهو على راحلته بركت، فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسرّى عنه، وهو ثقيل يوم القيامة في الموازين، وساعات الليل وأوقاته أشد مواطأة بين القلب

واللسان، وأجمع على التلاوة؛ و أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش، وللمسلم في النهار الكثير من النوافل، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ، والأمر لأمته من بعده بالإكثار من ذكر الله، والانقطاع إليه، والتفرغ لعبادته إذا فرغ من أشغاله، وما يحتاج إليه من أمور دنياه، وأن يخلص له العبادة، والاجتهاد في العبادة دون انقطاع، فإن الله هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب لا إله إلا هو، وكما يفرده العباد بالعبادة فليفردوه بالتوكل، وأمر الله رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلا، وهو الذي لا عتاب معه، وتوعد الله الكفار وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء، وبالأخص المكذبين المترفين أصحاب الأموال، فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم، فإن لهم مهلة، ثم يصيرون إلى العذاب والجحيم، وطعامهم في النار يعترض في الحلق فلا يدخل ولا يخرج.

يوم تزلزل الأرض، وتكون الجبال ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفًا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها واديًا، ولا رابية، وقد أرسل الله لكفار قريش، رسولا شاهدًا عليهم بأعمالهم، كما أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون فأخذه الله أخذًا شديدًا، فليحذر من يكذب محمدًا ﷺ أن يصيبه ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وهم أولى بالهلاك والدمار إن كذبوا؛ لأن رسولهم أشرف

وأعظم من موسى بن عمران، فكيف يحتمل من كفر يوم تشيب فيه الولدان، من شدة أهواله وزلازله، وذلك حين يقول الله لآدم: ابعث بعث النار، فيقول:من كم، فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، كيف يتحمل هول هذا اليوم وكربته من أعرض عن الله؟ فبسبب شدته وهوله تتشقق السماء، ذلك اليوم الموعود يقع فيه كل موعود لا محالة، و لا محيد عنه، فهذا القرآن ومافيه من الآيات تذكرة، يتذكر بها أولو الألباب؛ ممن شاء الله هدايتهم، فاتخذوا من الأعمال الصالحة سفنًا إلى الآخرة.

إسلام أبي ذر رضي الله عنه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله، ثم ائتني فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلامًا ما هو بالشعر، فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنة له فيها ماء، حتى قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فاضطجع فرآه علي بن أبي طالب، فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم، ولم ير النبي ﷺ، حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به علي، فقال أما آن للرجل أن يعلم

منزله، فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك فأقام معه، ثم قال ألا تحدثني ما الذي أقدمك، قال إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني فعلت ففعل، فأخبره قال فإنه حق وهو رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، حتى تدخل مدخلي، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري قال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه قال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه(١).

نزول سورة الأعلى:

أمر الله نبيه ﷺ بأن ينزهه ويقدسه فهو سبحانه الأعلى في كل شي له العلو المطلق، وهو الذي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق على هيئته وهو الذي قدر المقادير وهدى الخلائق إليه. وهو الذي أخرج جميع صنوف النباتات و الزروع، ثم يجعله هشيمًا متغيرًا فيكون يبسًا بعد خضرة. و كان ﷺ يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى. فعلمه ربه أن ما يوحى إليه فلن ينساه، فكان رسول الله ﷺ لا

---

(١) صحيح البخاري برقم٣٨٦١ وصحيح مسلم برقم٦٥١٦.

ينسى شيئًا إلا ما شاء الله. فهو سبحان يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

شرع الله لأمته شرعًا سهلا سمحًا مستقيما عدلا، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر، وسهل عليهم أفعال الخير.

وأمر الله نبيه ﷺ أن يخص بالذكرى من ينتفع بها، فإنه لا يتعظ إلا أهل الخشية والإنابة، أما أهل الشقاوة فإنهم يبتعدون عن الذكرى لما كتبه الله عليهم من الشقاوة التي تستوجب لهم النار فلا يموتوا فيها ولا يحيون حياة كريمة

وقد كتب الله الفلاح والفوز لمن تزكى من الشرك وصلى الصلوات الخمس. ولكن الناس غرتهم الحياة الدنيا فأحبوها وتناسوا الآخرة والعمل لها.

وقد جاء فيما أوحى الله من صحف إبراهيم وموسى هذه الحقيقة أن الآخرة خير من الدنيا

إسلام عمرو بن عبسة:

عن أبي أمامة قال قال عمرو بن عبسة السلمي كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له ما أنت قال أنا نبي، فقلت وما نبي قال أرسلني الله فقلت وبأي شيء أرسلك، قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء، قلت له فمن معك على هذا قال حر وعبد، قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت إني

متبعك قال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم علي نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة فقالوا الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفني قال نعم أنت الذي لقيتني بمكة قال فقلت بلى فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله[1].

إسلام عتبة بن غزوان:

عن عتبة بن غزوان قال لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة.وما لنا طعام نأكله إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا [2].

إسلام عبد الله بن مسعود:

قال عبد الله: لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا[3].

وعن ابن مسعود قال:كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال يا غلام هل من لبن قال قلت نعم، ولكني مؤتمن قال فهل من

(١) [انظر في إسلام عمرو بن عبسة صحيح مسلم برقم ١٩٦٧ومسند أحمد برقم١٧٠١٩].

(٢) صحيح مسلم برقم٧٦٢٥.

(٣) المستدرك (٣/ ٣٥٤) برقم٥٣٦٨ وهو صحيح.

شاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بشاة فمسح ضرعها، فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع اقلص فقلص، قال ثم أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول قال فمسح رأسي وقال يرحمك الله فإنك غليم معلم[١].

وفي رواية «فأتاه أبو بكر بصخرة منقورة فاحتلب فيها فشرب، وشرب أبو بكر وشربت قال ثم أتيته بعد ذلك فقلت علمني من هذا القرآن، قال إنك غلام معلم قال فأخذت من فيه سبعين سورة» [٢].

وعن عبد الله قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد[٣].

---

(١) مسند أحمد ٣٥٩٨ وسنده حسن.

(٢) مسند أحمد برقم ٣٥٩٩ وسنده حسن وبعضه في البخاري.

(٣) مسند أحمد ٣٨٣٢ و المستدرك (٣/ ٣٢٠) برقم ٥٢٣٨ وهو صحيح.

إسلام خالد بن سعيد بن العاص:

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أبو سعيد، أمه أم خالد بنت حباب الثقفية من السابقين الأولين قيل: كان رابعًا أو خامسًا وكان سبب إسلامه رؤيا رآها أنه على شعب نار، فأراد أبوه أن يرميه فيها فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ بحجزته فأصبح فأتى أبا بكر فقال: أتبع محمدًا فإنه رسول الله، فجاء فأسلم فبلغ أباه فعاقبه ومنعه القوت، ومنع إخوته من كلامه، فتغيب حتى خرج بعد ذلك إلى الحبشة، فكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة وولد له هناك بنته أم خالد.

وعن أم خالد قالت: كان أبي خامسًا سبقه أبو بكر، وعلي، وزيد بن حارثة، وسعد بن أبي وقاص.

قال خالد بن سعيد: أسلمت قبل علي، لكن كنت أفرق أبا أحيحة يعني والده سعيد بن العاص، وكان لا يفرق أبا طالب.

وأسلمت معه زوجته وهي أميمة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية. هاجرت معه إلى أرض الحبشة وولدت له هناك سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد [١]

نزول سورة التكوير:

استمرت قريش بالتكذيب والجحود وإنكار البعث بعد الموت وبالتشكيك في نسبة القرآن وتكذيب الرسول ﷺ فأنزل الله على قلب نبيه محمد ﷺ سورة التكوير تصور أهوال يوم القيامة.

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد ٤/ ٩٤.

ففي يوم القيامة تظلم الشمس وتضمحل وتذهب، ويجمع بعضها إلى بعض، ثم تلف فيرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها، والنجوم تنتثر، وتزول الجبال عن أماكنها وتنسف، وتكون الأرض قاعًا صفصفًا، وتهمل عشار الإبل وتترك، وتختلط الدواب والطير والوحوش وتجمع، وتوقد البحار، وتصير نارًا تتأجج، و يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وذلك تزويج الأنفس، والموءودة التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، تسأل على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا، و أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله، فصحيفة ابن آدم يملي فيها، ثم تطوى، ثم تنشر عليه يوم القيامة، فلينظر رجل ماذا يملي في صحيفته؟ و السماء تذهب، والجحيم توقد، والجنة تقرب إلى أهلها، فإذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها، وأقسم الله بالنجوم التي تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، وتجرى تستقبل المشرق، وأقسم الله بالليل في إقباله بظلامه، وإذا ذهب فتولى، وبالصبح إذا طلع، وأضاء وأقبل، وجواب القسم:إن هذا القرآن تبليغ رسول كريم، ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل عليه السلام شديد الخلق، شديد البطش والفعل، له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة، وله وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، وهو أمين الله على وحيه، وأما محمد ﷺ فهو رسول رب العالمين، ليس بمجنون ولا بشاعر ولا بكاهن ولا بساحر، ولقد رأى

محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح بالأفق البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وما محمد على ما أنزله الله إليه بمتهم، وما هو ببخيل، بل يبذله لكل أحد، فقد كان القرآن غيبًا، فأنزله الله على محمد، فما ضن به على الناس، بل بلغه ونشره وبذله لكل من أراده، وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، لا يقدر على حمله، ولا يريده، ولا ينبغي له، فأين تذهب عقول المشركين في تكذيبهم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله عز وجل، وأين تذهب عقولهم عن كتاب الله وعن طاعته، فهذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون، ومن أراد الهداية فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه، وليست المشيئة موكولة إلى العباد، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين.

فكانت هذه السورة معلمًا من معالم الرسالة المحمدية في إثبات البعث وذكر اليوم الآخر وإثبات الرسالة وصدق القرآن وبيان عظمته وهدايته[1].

ولما نزلت هذه الآية: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

---

(١) مسند أحمد ٢٦٠٤٠ وانظر تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٩).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤/ ١٧٢).

إسلام حاطب بن عمرو بن عبد شمس:

حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي أخو سهيل بن عمرو وكان ممن شهد بدرًا من بني عامر بن لؤي.

وأسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعًا، وكان أول من قدم أرض الحبشة(١).

إسلام حاطب بن الحارث الجمحي

وهو حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي مات بأرض الحبشة، وكان خرج إليها مع امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس القرشية العامرية وولدت له هناك ابنيه محمد بن حاطب والحارث بن حاطب وأتي بهما من هناك غلامين.

إسلام حطاب بن الحارث الجمحي

وهو حطاب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي هاجر إلى أرض الحبشة مع أخيه حاطب بن الحارث، وهاجرت معه امرأته فكيهة بنت يسار ومات حطاب في الطريق إلى أرض الحبشة لم يصل إليها (٢).

---

(١) [انظر أسد الغابة١/ ٢٢٩ والاستيعاب ١/ ٣١٢].

(٢) انظر أسد الغابة١/ ٣٧١والاستيعاب ١/ ٤٠٠

إسلام عبيدة بن الحارث بن المطلب:

عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي يكنى أبا الحارث.

كان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم وقبل أن يدعو فيها

وكان لعبيدة بن الحارث قدر ومنزلة عند رسول الله ﷺ [١].

إسلام خباب بن الأرت:

اختلف في نسبه فقيل هو خزاعي، وقيل هو تميمي ولم يختلف أنه حليف لبني زهرة، والصحيح أنه تميمي النسب لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته، وكانت من حلفاء بني عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، فهو تميمي بالنسب خزاعي بالولاء، زهري بالحلف، وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كان قينًا يعمل السيوف في الجاهلية فأصابه سبي فبيع بمكة فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية. وكان قديم الإسلام ممن عذب في الله وصبر على دينه.

وكان فاضلاً من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد مع النبي ﷺ، يكنى أبا عبد الله.

---

(١) انظر الإصابة في معرفة الصحابة - (٢ / ٢٢٩).

وعن الشعبي قال: سأل عمر خبابًا عما لقي من المشركين فقال: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري فنظر فقال: ما رأيت كاليوم! قال: خباب لقد أوقدت لي نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري[1].

نزول سورة الكوثر:

من الفضائل والخصائص التي خص بها سيد ولد آدم محمد ﷺ الكوثر، وهو نهر يجري، ولم يشق شقًا، و حافتاه قباب اللؤلؤ، تربته، مسك أذفر، وحصاه اللؤلؤ، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر، و الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر، وأمر الله نبيه ﷺ بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له والأمر لأمته، فتلك هي دعوته، ومن العبادات الصلاة والذبح، فلا يذبح إلا لله، ولا يذكر غير اسم الله عند الذبح والنحر، كما يفعله المشركون عند أصنامهم .

ومبغض النبي ﷺ هو مبغض لما جاء به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، فهو الأقل الأذل المنقطع ذكره، وقد أبقى الله ذكر النبي ﷺ على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد.

عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم قال نعم، قالوا ألا ترى إلى هذا المنبتر من قومه يزعم أنه خير

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢٢١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٤٣).

منا، ونحن يعني أهل الحجيج وأهل السدانة قال أنتم خير منه فنزلت: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[١].

إسلام سليط بن عمرو:

وهو سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود القرشي العامري أخو سهيل بن عمرو وكان من المهاجرين الأولين ممن هاجر الهجرتين. [٢]

إسلام خنيس بن حذافة:

خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، كان زوج حفصة زوج النبي ﷺ قبله، وكان من المهاجرين الأولين شهد بدرًا بعد هجرته إلى أرض الحبشة، وهو أخو عبد الله بن حذافة[٣].

إسلام مسعود بن الربيع:

ويقال مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى القاري، يكنى أبا عمير من القارة وهم الهون بن خزيمة بن مدركة.

أسلم قديمًا بمكة قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهو من أهل الصفة[٤].

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٦/ ٥٢٤) ١١٧٠٧ قال الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص: ٢٢٥)أخرجه ابن جرير في (التفسير) (٣٠ / ٣٣٠) بإسناد صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٢٠٣).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٦٠) نسب قريش (ص: ٤٠٢).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢١).

إسلام معمر بن الحارث:

معمر بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي. أخو حاطب وحطاب، أمهم قتيلة بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[١].

إسلام عبد بن جحش بن رئاب:

عبد بن جحش بن رئاب الأسدي من بني أسد بن خزيمة أخو عبدالله بن جحش يكنى عبد هذا أبا أحمد غلبت عليه كنيته وعرف بها، وهو حليف حرب بن أمية كان ممن هاجر إلى أرض الحبشة وهو من المهاجرين الأولين

أمه وأم أخيه عبد الله بن جحش بن رئاب المجدع في الله، أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. وكان أول من خرج إلى المدينة مهاجرًا من مكة من أصحاب رسول الله ﷺ [٢].

إسلام عبد الله بن جحش بن رئاب:

وهو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب، وهو حليف لبني عبد شمس.أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[٣].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٤٧).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٢١).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٠٨) والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣١).

إسلام محمد بن عبد الله بن جحش:

محمد بن عبد الله بن جحش بن رئاب، أسلم مع أبيه وهاجر مع أبيه وعميه إلى أرض الحبشة ثم هاجر من مكة إلى المدينة مع أبيه. لأمّه فاطمة بنت أبي حبيش صحبة[1].

نزول سورة القيامة:

عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ علينا أن نبينه بلسانك قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله[2].

فقد أقسم الله بيوم القيامة و أقسم بالنفس اللوامة، وهي النفس التي تلوم على الخير والشر، وتندم على ما فات، وجواب القسم، أيظن الإنسان أنا لا يقدر الله على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة، بلى سيجمعها الله، ولو شاء الله لبعثه أزيد مما كان، فيجعل أطراف أصابعه مستوية، و الإنسان يمضي به الأمل، فيسوف بالتوبة، ونفسه تقوده إلى معصية الله قدمًا قدمًا، إلا من عصمه الله،

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٨).

(٢) صحيح البخاري ٤٩٢٩.

ويقول متى يكون يوم القيامة؟وهو سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، ويوم القيامة حين تشخص الأبصار وتنبهر وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال من عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور، فإذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذ يريد أن يفر، ويقول أين المفر؟

هل من ملجأ أو موئل؟ فلا نجاة اليوم، وليس لهم مكان يعتصمون فيه، إلى الله المرجع والمصير، يخبر الإنسان بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، وهو شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، ويشهد عليه سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه، وعلم الله عز وجل رسوله ﷺ كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له، ويفسره، ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه؛ وتبيين حلاله وحرامه.

وما حمل الكفار على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم، إلا لمحبتهم الدار الدنيا العاجلة، فهم متشاغلون فيها عن الآخرة، والمؤمنون الذين آثروا الآخرة يوم القيامة وجوههم حسنة بهية مشرقة مسرورة، ترى ربها عيانًا، وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة، فما أعطي أهل الجنة شيئًا أحب إليهم من النظر إلى

ربهم، وهي الزيادة، أسأل الله ألا يحرمنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين تلك الرؤية.

وأما وجوه الفجار يوم القيامة فهي كالحة وعابسة، قد أيقنت أنها هالكة، والمؤمن يعد العدة، وأول تلك الأهوال ساعة الاحتضار ثبتنا الله بالقول الثابت، حين تبلغ الروح الحلقوم، وتنزع حتى تبلغ عظام الترقوة، وطلب الراقي ليرقيه، والطبيب ليصف له الدواء، واجتمع عليه آخر يوم في الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحم الله.

واجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه، إلى الله المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله عز وجل ردوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فالكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبًا للحق بقلبه، متوليًا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنًا ولا ظاهرًا، فلم يصدق بآيات الله ولم يصلِّ لله ركعة واحدة، وإنما كذب بالحق، وأعرض أشرًا بطرًا كسلانا، لا همة له ولا عمل، يختال، ويتبختر، فليختال وليتبختر وليتكبر فإن مصيره العذاب، وهل يظن الإنسان أن الله خلقه عبثًا وتركه لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة، فقد كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، يمنى ويراق من الأصلاب في الأرحام، فصار علقة ثم مضغة، ثم شكل ونفخ فيه الروح، فصار خلقًا آخر سويًا سليم

الأعضاء، ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره، فالذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة قادر على أن يعيده كما بدأه.

آيات القرآن تصف واقع الدعوة في مكة:

تتنزل آيات القرآن الكريم على قلب الرسول الكريم ﷺ مؤكدة على التوحيد ووجوبه على البشرية جميعًا، وتثبت الآيات البعث بعد الموت، وصحة دعوة الرسول ﷺ، وترد شبه الكفار المكذبين، وتبين حالهم في العناد والصدود والاستكبار، وماكان عليه النبي ﷺ من الثبات على الدعوة.

نزول سورة الفجر:

أقسم الله بوقت الفجر، وبالعشر من ذي الحجة، وبيوم الجمعة، وعرفة، وبإقبال الليل وإدبار النهار، وهذا القسم يدركه أصحاب العقول السليمة التي تحفظ أهلها، وتحجزهم عن كل ما يحرم ويشين.

فقد أرسل الله الرسل للأمم السابقة، فلم تقبل دعوة التوحيد، ومنها عاد الأولى، بعث الله فيهم رسوله هودًا، عليه السلام، فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية، فقد كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشًا، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، ومن بعدهم ثمود، الذين يقطعون

الصخر بالوادي وينحتونها ويخرقونها ومن بعدهم فرعون الذي كان يعذب الناس بالأوتاد، كل هؤلاء تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس، فأنزل الله عليهم رجزًا من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين.

والإنسان إذا وسع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك، اعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان. وكذلك إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له. وليس الأمر كما يظن الإنسان، فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، والواجب إذا كان غنيًا بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر.

ومن كانت صفته الجحود والاغترار لا يرحم يتيمًا ولا يطعم مسكينًا، ولا يحث على الإحسان بأحد، فهمه المال من جهة تحصيله من حلال أو حرام، فمن حبه للمال لا ينظر إلى مكسبه ومصدره.

وجاء التنبيه ليوم البعث والنشور الذي يكذب به المشركون من أهل مكة، ذلك اليوم الذي تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تكون قاعًا صفصفًا، ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم، صفًا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفًا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، ويؤتى بجهنم تقودها الملائكة بالسلاسل.

وفي هذا اليوم يتذكر الإنسان ما قدمه من خير وشر.وكيف تكون الذكرى

فقد فات أوانها، وذهب زمانها، حينئذ يتمنى أن قدم في حياته الدنيوية ما ينفعه في حياته الأخروية

ولكن اليوم ليس فيه إلا العذاب لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له.فيقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين، وأما من آمن به وصدق رسله، واطمأن قلبه بالإيمان، فيقال لها إنك في هذا اليوم ترجع إلى رب رحيم غفور كريم، فهو الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه، وستكون نفسك راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها.فهو في زمرة عباد الله المكرمين، ومن أهل الجنة المنعمين يتمتع فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

إسلام جعفر بن أبي طالب:

جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله ابن عم النبي ﷺ، وأحد السابقين إلى الإسلام وأخو علي شقيقه، هاجر إلى أرض الحبشة وقدم منها على رسول الله ﷺ حين فتح خيبر فتلقاه النبي ﷺ وأعتنقه وقال: " ما أدري بأيهما أنا أشد فرحًا أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر

أسلم بعد خمسة وعشرين رجلا وقيل: بعد واحد وثلاثين[1].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٩٢).

إسلام أسماء بنت عميس:

وهي أسماء بنت عميس بن معد الخثعمية أسلمت مع زوجها جعفر، وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت له هناك أولاده، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له محمدًا ثم تزوجها علي فيقال ولدت له ابنه عونًا[١].

إسلام عامر بن ربيعة:

وهو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العنزي وهو أحد السابقين الأولين، وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة ثم هاجر إلى المدينة[٢] .

إسلام عياش بن أبي ربيعة:

وهو عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنى أبا عبد الرحمن. أخو أبي جهل بن هشام لأمه أمهما أم الجلاس وهو أخو عبد الله بن أبي ربيعة لأبيه وأمه.

كان إسلامه قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم. وهاجر عياش رضي الله عنه إلى أرض الحبشة مع امرأته، وولد له بها ابنه عبد الله، ثم هاجر إلى المدينة فجمع بين الهجرتين[٣].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٦٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٢٣).

إسلام أسماء بنت سلامة:

وهي أسماء بنت سلامة التيمية الدارمية.أسلمت بمكة مع زوجها عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وهاجرت معه [١] .

إسلام الأرقم بن أبي الأرقم:

وهو الأرقم بن أبي الأرقم و اسمه عبد مناف بن أسد بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم يكنى أبا عبد الله، وأمة تماضر بنت حذيم السهمية.

كان من السابقين الأولين قيل: أسلم بعد عشرة.، وقيل أسلم سابع سبعة، وكانت داره على الصفا وهي الدار التي كان النبي ﷺ يجلس فيها في الإسلام[٢].

إسلام نعيم بن عبد الله:

وهو نعيم بن عبد الله بن أسيد القرشي العدوي المعروف بالنحام.قيل له ذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «دخلت الجنة فسمعت نحمة من نعيم». كان إسلامه قبل عمر ولكنه لم يهاجر، إلا قبيل فتح مكة، وذلك لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم فلما أراد أن يهاجر قال له قومه: أقم ودن بأي دين شئت، وكان بيت بني عدي بيته في الجاهلية حتى تحول في الإسلام لعمر في بني رزاح[٣].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١١).

(٢). الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٩٦).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٦١).

إسلام السائب بن عثمان:

وهو السائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. أسلم مع أبيه عثمان بن مظعون وهاجر معه ومع عميه قدامة وعبد الله إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية[١].

إسلام المطلب بن أزهر:

وهو المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة أخو عبد الرحمن وطليب ابني أزهر كان المطلب وطليب من مهاجرة الحبشة وبها ماتا جميعًا، وكان خروج المطلب بن أزهر إلى الحبشة مع امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم. وولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب فمات بها، فورثه ابنه عبد الله فيقال: إنه أول وارث في الإسلام.وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف[٢].

إسلام رملة بنت أبي عوف:

رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم.أسلمت مع زوجها المطلب بن أزهر ومات عنها بأرض الحبشة[٣].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢٠).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٠٣).
(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٤٣).

إسلام ياسر بن عامر:

وهو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي المذحجي حليف لبني مخزوم. يكنى أبا عمار بابنه عمار بن ياسر.

كان قد قدم من اليمن، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي، وزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية، فولدت له عمارًا، فأعتقه أبو حذيفة ولم يزل ياسر وابنه عمار مع أبي حذيفة إلى أن مات وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وابنه عمار وسمية وعبد الله أخو عمار بن ياسر وكان إسلامهم قديمًا في أول الإسلام وكانوا ممن يعذب في الله، وكان رسول الله ﷺ يمر بهم وهم يعذبون فيقول: «صبراً يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت»[1].

وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال مر رسول الله ﷺ بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله فقال لهم: «صبرًا يا آل ياسر إن موعدكم الجنة»[2].ومات عبدالله وأمه بمكة قبل الهجرة[3].

إسلام عمار بن ياسر بن مالك:

وهو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي ثم المذحجي يكنى أبا اليقظان حليف لبني مخزوم، فكان عمار وأمه سمية ممن عذب في الله، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن بالإيمان قلبه، فنزلت فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١/ ٤٩٢) ٤٣٩ وفيه ضعف ويشهد له ما بعده.

(٢) المستدرك (٣/ ٤٣٢) ٥٦٤٦و المعجم الأوسط (٢/ ١٤١) ١٥٠٨وحلية الأولياء (١/ ١٤٠) وصححه الألباني.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٠٠).

مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ وهاجر إلى أرض الحبشة، وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها وأبلى ببدرٍ بلاء حسنًا[1].

نزول سورة التكاثر:

الإنسان يشغل بحب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، ويتمادى به، فيكذب ويكفر ويجحد حتى يأتيه الموت ويزور المقابر، ويصير من أهلها،، وسيعلم المكذبون الغافلون إذا نزل بهم الموت، وفي القبر حقيقة غفلتهم وإعراضهم، وسيعلمون يوم القيامة، ولو كانوا يعلمون الأمر علمًا يقينًا، لأمنوا وصدقوا هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

وفي القيامة، سيرون النار التي إذا زفرت زفرة خرَّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، و سيسألون عن شكر ما أنعم الله به عليهم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، والله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه.

إسلام سمية بنت خباط:

وهي سمية بنت خباط مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهي والدة عمار بن ياسر كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذبها أبو جهل وطعنها في قُبلها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام[2].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٧٣).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٨٩).

إسلام عامر بن فهيرة:

وهو عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق أبو عمرو كان مولدًا من مولدي الأزد أسود اللون مملوكًا للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، فأسلم وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر من الطفيل فأعتقه وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها إلى الإسلام، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر في هجرتهما إلى المدينة، وشهد بدرًا وأُحدًا ثم قتل يوم بئر معونة، وهو ابن أربعين سنة قتله عامر بن الطفيل(١).

إسلام أبو حذيفة بن عتبة:

وهو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي كان من فضلاء الصحابة من المهاجرين الأولين، جمع الله له الشرف والفضل صلى القبلتين وهاجر الهجرتين جميعًا، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم للدعوة فيها إلى الإسلام هاجر مع امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى أرض الحبشة وولدت له هناك محمد بن أبي حذيفة، ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا، والخندق والحديبية والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيدًا وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة (٢).

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٤٨٢).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٧٤).

إسلام سهلة ابنة سهيل:

وهي سهلة ابنة سهيل بن عمرو القرشية العامرية أسلمت مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة وتزوجها بعده عبد الرحمن بن عوف (١).

نزول سورة الرحمن:

قال أهل مكة إنما يعلمه بشر، وقالوا: وما الرحمن؟ فانزل الله سورة الرحمن ابطالا لكذبهم

وقد افتتحت هذه السورة الكريمة الجليلة باسم الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الدال على سعة رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، الذي علم عباده ألفاظ القرآن ومعانيه، ويسرها على عباده، فقد أنزل عليهم قرآنًا عربيًا بأحسن ألفاظ، وأحسن تفسير، مشتمل على كل خير، وينهى عن كل شر، وهو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، محكم البناء، .وخلق الآيات الكونية الدالة على إلوهيته واستحقاقه بالعبادة.

فبأي نعم الله الدينية والدنيوية يكذب الثقلين من الجن والإنس، فقد أنعم على عباده بالمخلوقات رزقًا منه وفضل، وكل من في الوجود سيفنى إلا الله تبارك وتعالى، وسيبعث الجميع ليوم القيامة وينقسم الناس إلى فريقين، فالمكذبون لهم النار، والمؤمنون لهم الجنة.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٩٣).

وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يستمعون ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1].

إسلام صهيب بن سنان الرومي:

وهو صهيب بن سنان بن مالك النمري أبو يحيى.، وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيرًا.

قال ابن سعد: كان أبوه وعمه على الأبلة من جهة كسرى، وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل، فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه، ويقال بل هرب من الروم فقدم مكة فحالف ابن جدعان. كان أحمر شديد الصهوبة تشوبها حمرة، وكان كثير شعر الرأس يخضب بالحناء، وكان من المستضعفين ممن يعذب في الله، وهاجر إلى المدينة في آخر من هاجر في تلك السنة فقدما في نصف ربيع الأول وشهد بدرًا والمشاهد بعدها[2].

ولادة عبد الله ابن رسول الله ﷺ :

وهو عبد الله، وهو الطاهر، وهو الطيب سمي بالطاهر، والطيب لأنه ولد بعد النبوة، واسمه الذي سمي به أول هو: عبد الله، وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تقبل خديجة في ولادتها، وكانت تعق عن كل غلام بشاتين، وعن الجارية بشاة، وكانت تسترضع لهم.

---

(١) مسند أحمد ٢٦٩٥٥ المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٣٣٢)١٩٧١٧ وهو قابل للتحسين.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٦٤).

مات عبد الله بمكّة طفلا، فقال الْعَاص بن وائل السهميّ: قد انْقَطع ولده، فهو أَبتر، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1].

إسلام واقد بن عبدالله:

وهو واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين الحنظلي اليربوعي حليف بني عدي بن كعب[2].

إسلام إياس بن البكير الليثي:

وهو إياس بن بكير ويقال إياس بن أبي البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من أبي البكير حليف بني عدي شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان إسلامه وإسلام أخيه عامر في دار الأرقم، وكانوا أربعة أخوة إياس وخالد وعامر وعاقل بنو البكير كلهم شهد بدرًا[3].

إسلام فاطمة بنت أسد بن هاشم:

وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أم علي بن أبي طالب وإخوته هاجرت إلى المدينة وبها ماتت[4].

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٠٣)و الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٣٣). ولايمنع أن يكون سبب نزول الآية السبب الأول وهو قول قريش لكعب بن الأشرف، وهذا السبب.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٦٥).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٣١٠).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٦٨) وقد سبق ذكرها.

نزول سورة الماعون:

سورة الماعون تؤكد شمولية هذا الدين من تقرير العقيدة، والتراحم، والتعاطف بين المؤمنين والتمسك بهذا الدين والتزامه ظاهرًا وباطنًا، وصدق الإيمان والبعد عن الرياء والاتصاف بصفات المشركين الذين لا يحملون في قلوبهم الرحمة لأحد، فكانوا يتباهون في الكرم ولكنهم لايرحمون اليتيم ولا يطعمون المساكين [١].

إسلام عتبة بن مسعود الهذلي:

وهو حليف لبني زهرة أخو عبد الله بن مسعود شقيقه، يكنى أبا عبد الله، هاجر مع أخيه عبد الله بن مسعود إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، ثم قدم المدينة فشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد.

قال ابن شهاب: ما كان عبد الله بن مسعود بأقدم صحبةً من أخيه عتبة بن مسعود، ولكن عتبة مات قبله.

ولما مات عتبة بن مسعود بكى عليه أخوه عبد الله فقيل له: أتبكي؟ قال: نعم.، أخي في النسب وصاحبي مع رسول الله ﷺ، وأحب الناس إليَّ، إلا ما كان من عمر بن الخطاب [٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ت السلامة (٨/ ٤٩٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٦٥).

إسلام بلال بن رباح:

وهو بلال بن رباح المؤذن يكنى أبا عبد الله مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، اشتراه بخمس أواق ثم أعتقه، وكان له خازنًا، ولرسول الله ﷺ مؤذنًا وخازنًا، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب.

قال عبد الله قال كان أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم إنسان إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد.

قال ابن إسحاق كان بلال مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لبعض بني جمح مولدًا، من مولديهم واسم أبيه رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب[1].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤٥٥).

إسلام شقران: مولى رسول الله ﷺ:

يقال: كان اسمه صالح بن عدي. قال مصعب: وكان حبشيًا، ورثه النبي ﷺ من أبيه هو، وأم أيمن [١].

إسلام المقداد بن الأسود:

نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهري، لأنه كان تبناه وحالفه في الجاهلية، فقيل المقداد ابن الأسود، وهو المقداد بن عمروبن ثعلبة بن مالك بن ثمامة ابن مطرود بن عمرو بن سعد البهرواي، كان قديم الإسلام ولم يقدر على الهجرة ظاهرًا فأتى مع المشركين من قريش، هو وعتبة بن غزوان ليتوصلا بالمسلمين فانحازا إليهم، وذلك في السرية التي بعث فيها رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث إلى ثنية المرة فلقوا جمعًا من قريش عليهم عكرمة بن أبي جهل فلم يكن بينهم قتال وكان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار من أصحاب النبي ﷺ تزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها وكان فارسًا يوم بدر، حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره [٢].

إسلام مصعب بن عمير:

وهو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري يكنى أبا عبد الله. كان من جلة الصحابة وفضلائهم وهاجر إلى أرض الحبشة في أول من هاجر إليها ثم رجع وهاجر إلى المدينة بعد العقبة الثانية،

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢٨٤).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٥٩).

بعثه رسول الله ﷺ يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، وكان يدعى القارىء المقرىء. ويقال: إنه أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة.

وهو من السابقين إلى الإسلام أسلم قديمًا والنبي ﷺ في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه فعلم عثمان بن طلحة، فأعلم أهله فأوثقوه فلم يزل محبوسًا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة شهد بدرًا ثم شهد أحدًا ومعه اللواء فاستشهد[1].

السنة الثانية من البعثة :

دخلت السنة الثانية من البعثة ورسول الله ﷺ يبني نفوس أصحابه ويعلمهم ويدعو سائر المشركين إلى الحق والهدى.

فلا يزال الإسلام غريبًا، وأهله غرباء ضعفاء مستضعفون والنبي عليه الصلاة والسلام عازم على نشر الدعوة إلى التوحيد.

وتتابع الصحابة إلى الإسلام يدخلون فيه سرًا وهم على تخوف من قريش، وانقضت السنة الأولى من البعثة ودخلت الثانية، ورسول الله ﷺ يواصل الدعوة ويربي تلك الثلة المؤمنة على التوحيد والقرآن والصبر على الإسلام، ولكن الصحابة قد خالط الإيمان بشاشة قلوبهم، فكانوا أعظم الناس تمسكًا، وصبرًا واحتسابًا.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٩٨).

نزول سورة الكافرون:

من جهل المشركين أنهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأمر الله رسوله ﷺ، أن يتبرأ من دينهم بالكلية، من عبادة الأصنام والأنداد، فهؤلاء المشركون لن يعبدوا الله وحده لا شريك له، وأمر النبي ﷺ أن يعبد الله وحده لا شريك له، والأمر لأمته، أن يعبدوا الله على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله معناها لا معبود بحق إلا الله، ولا طريق إليه، إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ فهم على الكفر، والمؤمنون على التوحيد، و هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، وتشمل كل كافر على وجه الأرض.

هذه السورة تحدد معالم العلاقة بين المؤمنين والكافرين، وتعلن تميز المسلم عن المشرك، واستعلاء المؤمن بدينة وعقيدته، فالمؤمن ثابت على إيمانه لايقبل المساومة ولا الإغراءات ولا يقدم التنازلات مهما كانت المغريات.

نزول آخر سورة المزمل:

أنزل الله آخر سورة المزمل وقد قام النبي ﷺ حولا كاملا، فنزل التخفيف فالله سبحانه يعلم ما يقومه النبي ﷺ وأصحابه من الليل فهم يقومون أحيانًا أقل من ثلثي الليل ويقومون أحيانًا النصف والثلث، والله هو الذي يحصي ساعات الليل والنهار فيعلم ما مضى من الليل وما بقي من ساعاته، والإنسان لا يطيق

ضبط ساعاته، فنسخ الله قيام الليل الواجب وبقى المستحب فيصلون من الليل ما تيسر، فإن منهم المريض، والمسافر للتجارة والجهاد في سبيل الله، وإن كان الجهاد لم يشرع زمن نزول هذه الآيات، وكلها يشق معها قيام الليل فمن رحمة الله بالمؤمنين نسخه للوجوب، وعلى المسلم أن يؤدي ما افترض عليه من الصلاة الزكاة والنفقة في سبيل الله، وعليه الإكثار من الاستغفار من كل ما فيه تقصير في جنب الله تعالى، فهو سبحانه غفور رحيم يغفر لمن تاب ويرحمه فلا يؤاخذه بذنب قد تاب منه.

سرية الدعوة:

بقي النبي ﷺ مستخفيًا في دعوته مواصلا في أداء رسالته، لايفت في عضده عداوة المشركين.

فهو يحمل أعباء الدعوة مع صدود قريش وعداوتها له، يحمل هم الدعوة والبلاغ في هذا الجو المليء بالعناد، والصدود، والاستكبار ينزل الله تعالى على نبيه ﷺ سورة طه لتزيل من قلبه كل وحشة، وكل هم وغم لقيه في طريق الدعوة.

نزول سورة طه:

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة التي تتحدى هؤلاء العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن المركب من هذه الحروف التي يتكلمون بها، وتحمل السورة خطابًا للرسول ﷺ ببيان وظيفته وحدود تكاليفه، فالدعوة ليست شقوة كتبت عليه، وليست عناء يعذب به. إنما هي الدعوة والتذكرة، وهي التبشير والإنذار. إنها الدعوة إلى التوحيد، إنه القرآن الذي أنزل للهداية وبالبشارة بالتوحيد والنذارة

من الشرك، إنها دعوة لمن تعنو له الوجوه، ويرجع إليه الناس طائعهم وعاصيهم، فما على الرسول تكذيب المكذبين، ولا كفر الكافرين، ولا يشقى بهم، لأنهم يكذبون ويكفرون بالرحمن.

وتأتي قصة موسى عليه السلام لتذكر الرسول ﷺ بما عاناه الأنبياء قبله كيف كذبوا وأوذوا، وكيف كانت المعاناة وكيف أتاهم الفرج والنصر من الله في سياق لم يكن يعلمه من قبل ولا قومه، فهو نموذج كامل وصورة حية لرعاية الله سبحانه لرسله فلا يشقون وهم في رعايته.

وتعرض قصة آدم عليه السلام سريعة قصيرة، لتظهر فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته، وهدايته له. وترك ذريته لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكير والإنذار.

وتأتي آيات القيامة. حيث يعود المؤمنون إلى الجنة، ويذهب الكفار إلى النار. تصديقًا لما قيل لأبيهم آدم، وهو يهبط إلى الأرض بعد ما كان في السماء، ولتؤكد للمكذبين من قريش ومن بعدهم الإيمان باليوم الآخر.

ويأتي التأكيد على مصارع الأمم من الذين كذبوا الرسل وكفروا، ويؤمر النبي ﷺ بالصبر على ما يقوله المشركون من كفر واستهزاء وجحود وإعراض، ولا يضيق صدره بهم، ولا تذهب نفسه عليهم حسرات. ويتسلح بالصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

ثبات النبي ﷺ ونزول سورة الاخلاص:

بقي النبي ﷺ ثابتًا على دعوته، موفقًا ومسددًا في طريقته، يقضي الأيام والليالي بالدعوة، والعبادة، وتعليم الصحابة، وتثبيتهم، يقوم الليل بالقرآن وتنزل عليه آياته تثبته وتؤيده، وتسليه، وهو ينظر إلى صدود قومه وعنادهم واستكبارهم عن قبول الإسلام.

وجاءه المشركون لما ذكر آلهتهم، فقالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فالصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.[1]

فكانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لما تحوي من التوحيد والدلائل القاطعة على وجوب إفراد الله بالعبادة.

نزول سورة الحاقة:

سورة عظيمة بما فيها من مشاهد القيامة وأحداثها، وصدق هذا القرآن وثباته وهدايته.

فلقد أنكر المشركون البعث بعد الموت، فأنزل الله هذه السورة تذكر بيوم القيامة يبرز هذا المعنى في اسم القيامة الحاقة فهي حق، سيكون واقعًا.إنه الحق.

---

(١) مسند احمد ٢١٢١٩و سنن الترمذي ٣٣٦٤ و قد صحح ابن خزيمة و الحاكم ووافقه الذهبي هذا الحديث (المستدرك (٢/ ٥٨٩) برقم٣٩٨٧)و أخرج ابن جرير عن جابر و سنده صالح للمتابعة.انظر التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٣/ ٣٦١)].

حق اليقين من رب العالمين، ويبرز في مصارع المكذبين بالرسل، وبالتوحيد، وبالآخرة قومًا بعد قوم، وقد كذبت ثمود وعاد. فلينظر المكذبون كيف كانت عاقبة التكذيب، ومن بعدهم من الأمم ينظروا إلى مصارعهم المهلكة، ففي يوم البعث والنشور، تتغير الأشياء وتزول الجبال وتنشق الأرض، وينقسم الناس إلى فريقين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال:

فأهل اليمين كتبت لهم النجاة فقد صدقوا المرسلين، وأمنوا بالله ووحدوه ولم يشركوا به شيئًا، فهم الذين يعذبون ويضطهدون في دينهم لما سارعوا إلى التصديق بالنبي عليه الصلاة والسلام. وأصحاب الشمال فهم من كذب الرسل وأشرك بالله، ذهب عنه المال والسلطان، وكان مآله إلى جهنم، وكذلك مصير كل من كذب رسول الله ﷺ وما نزل عليه من القرآن العظيم، وسمى القرآن شعرًا أو سحرًا أو كهانة فالقرآن كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على قلب محمد ليكون من المنذرين، لا يستطيع أحد أن يختلقه أو يدعيه.

ومن ذا الذي سيفعل ذلك فالله آخذه أخذ عزيز مقتدر، ويبقى القرآن هداية وحق، ولو كذب به المكذبون فهو ذكرى للأمم كلها، ولو كذب به المشركون، الذين سيجدون الحسرة على فوات الإيمان به، وأعظم ما تقرب به العباد بعد التوحيد التسبيح باسم الله العظيم..

إسلام حمزة بن عبد المطلب:

وهو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ، وكان يقال له أسد الله وأسد رسوله يكنى أبا عمارة.

أسلم في السنة الثانية من المبعث وكان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين أرضعتهما ثويبة[1].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٠٥) وأخوة حمزة للنبي عليه الصلاة والسلام ثابتة في الصحيح.

وسبب إسلامه: إن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ فآذاه وشتمه، ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة، فجلس معهم، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحًا قوسه راجعًا من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يرجع إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة، وكان يومئذ مشركًا على دين قومه، فلما مر بالمولاة، وقد قام رسول الله ﷺ فرجع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم آنفًا، وجده هاهنا فآذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله تعالى به من كرامته، فخرج سريعًا لا يقف على أحد، كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت، متعمدًا لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربة فشجه شجة منكرة، وقام رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت، فقال حمزة: وما يمنعني، وقد استبان لي منه ذلك؟ أنا أشهد أنه رسول الله ﷺ، وإن الذي يقول الحق، فو الله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين، قال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا. وتم حمزة على إسلامه، فلما

أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابيء و تركت دين آبائك للموت خير لك مما صنعت، فأقبل حمزة على نفسه فقال: ما صنعت؟ اللهم إن كان رشدًا فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ فقال: ابن أخي إني وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه و إقامه مثلي، على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غي شديد؟ فحدثني حديثًا فقد استشهيت يا ابن أخي أن تحدثني فأقبل رسول الله ﷺ فذكره و وعظه وخوفه وبشره، فألقى الله في نفسه الإيمان كما قال رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك لصادق شهادة المصدق والمعارف، فأظهر يا ابن أخي دينك فو الله ما أحب أن لي ما ألمعت الشمس و أني على ديني الأول قال: فكان حمزة ممن أعز الله به الدين [1].

نزول سورة الفيل:

من النعم التي امتن الله بها على قريش، أن صرف عنهم أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأرسل الله عليهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب، تحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجرًا في منقاره، فجاءت حتى صفت على رءوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع

---

(١) انظر أسد الغابة ط الفكر (١/ ٥٢٨) والمستدرك (٣/ ٢١٣) برقم٤٨٧٨واسناد القصة صحيح.

على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحًا شديدة، فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعًا، فصاروا كورق زرع قد أكلت منه الدّواب وبقي منه بقايا، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة.

نزول سورة قريش:

حفظ الله البيت الحرام من أصحاب الفيل لائتلاف قريش واجتماعهم في بلدهم آمنين، وقد كانوا يألفون الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم، وتلك نعمة عظيمة تحتاج إلى شكر، وشكرها توحيد الله بالعبادة، والايمان برسالة النبي عليه الصلاة والسلام، فقد تفضل الله عليهم بالأمن من الخوف والإطعام من الجوع، فوجب عليهم أن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا ندًا ولا وثنًا، ويؤمنوا بهذا النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، فمن استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه.

السنة الثالثة من البعثة:

دخلت السنة الثالثة من البعثة، وقريش في صدودها، وكبريائها، وعنادها، ورسول الله ﷺ ماض في دعوته وثابت في منهجه، فلم يثن عزيمته أحد، وأصحابه يزيدون ولا ينقصون، يثبتهم وينصح لهم ويشفق عليهم، حريص على الدعوة، صابر على الإيذاء والاستهزاء.

استماع الجن لرسول الله ﷺ:

كان النبي ﷺ يخرج من مكة ويصلي في شعابها في الليل فجاء تسعة من الجن واجتمعوا يستمعون تلاوته للقرآن.

فأنزل الله عز و جل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾[1].

---

(١) المستدرك (٢/ ٤٩٥) وقال الحاكم صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

نزول سورة الأحقاف:

نزلت هذه السورة تؤكد التوحيد والإيمان بالوحي والرسالة، ونزول القرآن من رب العالمين وأن محمدًا ﷺ رسولٌ قد سبقته الرسل، أوحي إليه بالقرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتاب. وتؤكد الإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء على ما كان في الحياة الدنيا من عمل وكسب ومن إحسان وإساءة.

وتقرر الآيات التوحيد بإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، وتوجب الايمان ببعثة محمد ﷺ والإيمان بالآخرة وما فيها من جزاء و حساب وعقاب.

وتظهر الآيات ما كان عليه الكفار من الضلال، والشرك، والوثنية، والعناد، والاستكبار عن قبول الحق، فما عليه القوم من الشرك لا يقوم على دليل، ولا مأثور من العلم.

وتظهر الآيات ماكانوا عليه من التكذيب لدعوة رسول الله ﷺ وقولهم له: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾.. و ادعائهم أنه افتراه. فيأتي التوجيه لرسول الله ﷺ أن يرد عليهم.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٨﴾.

وتشير الآيات إلى كتاب موسى من قبله، وإلى تصديق هذا القرآن له، وإلى وظيفته ومهمته: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وتأتي البشرى لمن صدق بالرسالة، واستقام على التوحيد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

وتأتي الآيات بذكر النفوس المستقيمة، والمنحرفة، في مواجهة دعوة التوحيد. فمنهم منذ نشأته، وهو في أحضان والديه، قد أقر بنعمة الله عليه، راغب في الوفاء لوالديه، شاكر لله: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾.

والآخر عاق لوالديه كما هو كافر بربه، ينكر الآخرة، قد أشقى والديه بكفره وعصيانه: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ويأتي التذكير بمصير هذا الفريق المكذب المعرض المستكبر: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

كل ذلك تطمين للنبي عليه الصلاة والسلام بمصير من كذبه، وكفر برسالته.

وتذكر الآيات بمصارع المكذبين من قوم عاد، حين كذبوا بالنذير. وكيف

أهلكتهم الريح العقيم، التي توقعوا فيها الحياة فإذا بها تحمل إليهم الهلاك والدمار، والعذاب الذي استعجلوا به وطلبوه.

ويذكر هؤلاء المكذبين من قريش، أن عادًا كانوا أشد منهم قوة وأكثر ثروة، وكل مكذب فنهايته مثل ما أصاب القرى من حولهم، وعجزت آلهتهم التي يدعونها عن نصرتهم.

وتأتي قصة نفر من الجن مع هذا القرآن، حين صرفهم الله لاستماعه، فلم يملكوا أنفسهم من التأثر والاستجابة، والشهادة له بأنه الحق: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ ورجعوا ينذرون قومهم ويحذرونهم ويدعونهم إلى الإيمان: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

وتختم السورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى الصبر وعدم الاستعجال لهم بالعذاب، فإنما هو أجل قصير يمهلونه، ثم يأتيهم العذاب والهلاك: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وتتابع الدعوة إلى التوحيد، والقرآن ينزل بالحجج والآيات والنذر، فكانت هذه الآيات زادًا للنبي ﷺ وللمؤمنين برسالته تصبرهم وتؤيدهم وتعدهم العاقبة الحميدة، وأنزل الله سورة الذريات

نزول سورة الذاريات:

نزلت هذه السورة لتقرر التوحيد، وتبين حال المشركين في اختلافهم، وتكذيب دعوة التوحيد، وما هم عليه من الضلال والعناد.

فأقسم الله تعالى بالرياح التي تذروا ما تذروه مما يعلم الإنسان وما يجهل. وبالسحاب الحامل للماء يسوقه الله إلى حيث يشاء، وبالسفن الجاريات في يسر على سطح الماء بقدرته وبالملائكة التي تحمل أوامر الله وتوزعها وفق مشيئته.

يقسم الله بإثبات البعث بعد الموت، وانه واقع لا محالة وإن كذب به المشركون.

ويقسم الله بالسماء المتقنة في الصنع والخلق.أن أمر الكفار مختلف لا استقرار له ولا تناسق فيه، قائم على التخرصات والظنون، لا على العلم واليقين.. فهم يعيشون في أوهام وظنون في أمر الآخرة، لا يستندون فيها إلى حق أو يقين.

هذه الآيات التي تربط قلب الانسان بغيب الله المكنون وتخلصه من ظنون الجاهلية و من كل ما يعوقه عن التوحيد، والفرار إلى الله، استجابة لقوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وتبين الآيات الهدف من خلق الانسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾أي يوحدون ويخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له.

وفي الآيات بيان ماكان عليه الموحدون الذين آمنوا بالنبي ﷺ وصبروا على الأذى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ

مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾. فهي صورة للعبودية الصحيحة.

ويأتي التوجيه إلى آيات الله في الأرض وفي الأنفس مع تعليق القلوب بالله:
﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ففي هذه الآيات دلالة على التوحيد، فهذه السماء على سعتها، وهذه الأرض الممهودة كيف خلقها الله، وما فيها من أزواج،: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وذكر قصة إبراهيم ولوط، وقصة موسى، وقصة عاد، وقصة ثمود، وقصة قوم نوح عليهم السلام تسلية للنبي ﷺ وتحذيرًا، وإنذارًا لهم: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

نزول سورة الحجر:

نزلت هذه السورة لتظهر طبيعة المكذبين بهذا الدين الذين كفروا برسالة النبي ﷺ، وتذكر السورة أسباب التكذيب، وتصور مصير الكافرين المكذبين، فهم يعيشون حياة البهائم في الدنيا ولهم المصير الأليم ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

ثم تؤكد الآيات على آيات الله الكونية الدالة على وحدانيته، السماء وما فيها من بروج، والأرض الممدودة والرواسي الراسخة، والنبات الموزون، والرياح

اللواقح، والماء والسقيا، وقد قدرت بحكمة، وأنزلت بقدر، والحياة والموت والحشر.

وتظهر الآيات قصة آدم وإبليس، منتهية بمصير أتباعه ومصير المؤمنين.. وتظهر قصص الأنبياء إبراهيم ولوط وشعيب وصالح وكيف كان مصير المكذبين، فقد كان العرب يعرفون الآثار الباقية لهذه الأقوام، وهم يمرون عليها في طريقهم إلى الشام.

وتظهر الآيات موقف كفار قريش من النبي ﷺ وتصفه بالجنون وتطلب ارسال الملائكة: ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْمَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾.

والآيات تؤكد حفظ الله للقرآن وهدايته للبشرية، وتبين قدرة الله في خلق السموات والأرض وانزال الأمطار وارسال الرياح.

وتكشف الآيات عن الحكمة في خلق السماوات والأرض وما تكون عليه نهاية هذا العالم من قيام الساعة وما بعدها من ثواب وعقاب.

ويأمر الله رسوله ﷺ بالجهر بالدعوة فقد تكفل الله له بالحفظ وكفايته، من كل من استهزأ به.

والرسول ﷺ بشرٌ، لا يملك نفسه أن يضيق صدره وهو يسمع ويرى الشرك بالله، ويسمع الاستهزاء بدعوة الحق، فيضيق بالضلال والشرك. فأمر أن يسبح بحمد ربه ويعبده، ويلوذ بالتسبيح والحمد والعبادة من سوء ما يسمع من القوم. ولا يفتر عن التسبيح بحمد ربه طوال الحياة، حتى يأتيه الموت الذي ما بعده يقين.

تتنزل الآيات على قلب محمد ﷺ لتصبره وتربيه على تحمل مشاق الدعوة

ولكي تكون بشارة له بالنصر على أعدائه وتسلية له في طريق الدعوة، فله في سالف الأنبياء قدوة وأسوة.

لقد كفى الله نبيه المستهزئين به في حياته وبعد مماته فعن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى، والحارث ابن غيطلة السهمي، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل عليه السلام فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فأراه الوليد أبا عمرو بن المغيرة، فأومأ جبريل عليه السلام إلى أبجله فقال: «ما صنعت»؟ قال: كفيته، ثم أراه الأسود بن المطلب، فأومأ جبريل إلى عينيه، فقال: «ما صنعت؟» قال: كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فأومأ إلى رأسه، فقال: «ما صنعت؟» قال: كفيته، ثم أراه الحارث ابن غيطلة السهمي، فأومأ إلى رأسه أو قال إلى بطنه، فقال: «ما صنعت؟» قال: كفيته، ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه فقال: «ما صنعت؟» قال: كفيته، فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمي، فمنهم من يقول عمي هكذا، ومنهم من يقول: نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ قد قتلت. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا، وجعل يقول: يا بني ألا تمنعون عني، قد هلكت ها هو ذا أطعن بالشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا

فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث الزهري فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث ابن غيطلة فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج من فيه، فمات منها، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يومًا إذ دخل في رجله شبرقة حتى امتلأت منها، فمات منها، وقال غيره: في هذا الحديث: فركب إلى الطائف على حمار فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته "[1].

نزول سورة الواقعة:

هذه السورة تركز على قضية البعث بعد الموت، والإيمان باليوم الآخر، فتبدأ السورة بوصف القيامة، وتذكر أحداث هذا اليوم وما يميزه عن كل يوم، حيث تتبدل أقدار الناس، وأوضاع الأرض، في هول يوم القيامة الذي يبدل الأرض غير الأرض، وينقسم الناس إلى أقسام ثلاثة. وما أعد الله لهم من النعيم والعذاب وما كان عليه أصحاب الشمال من الترف وإنكار البعث.

وتأتي الآيات تؤكد قضية البعث بالاستدلال بحالة الإنسان ونشأته الأولى من مني يمنى. ويعرض موتهم ونشأة آخرين مثلهم من بعدهم، كل ذلك يدل على النشأة الأخرى.

وتعرض الآيات لصورة الحرث والزرع، وهو إحياء للموتى في صورة أخرى، وإنشاؤها بيد الله وقدرته، ولو شاء الله لم تنشأ، ولو شاء لم تؤت ثمارها.

ويعرض صورة الماء العذب الذي تنشأ به الحياة كلها. وهو ينزل بأمر الله

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١٦) ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٦٨)برقم٢٠١ والمعجم الأوسط (٥/ ١٧٣) ٤٩٨٦ وصححه الألباني في صحيح السيرة.

وبقدرة الله ينزله من السحب. ولو شاء جعله ملحًا لا يستسيغه أحد، لا ينبت حياة، ولا يصلح لحياة.

وصورة النار التي يوقدونها، وأصلها الذي تنشأ منه وهو الشجر، ويذكرهم بها بنار الآخرة التي يشكون فيها.وكلها صور من حياتهم الواقعة، التي يعيشونها.

وتؤكد الآيات صحة هذا القرآن وصدقه فهو قرآن كريم في كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون، وأنه تنزيل من رب العالمين.

ثم يذكرهم بالنهاية بمشهد الموت، حين تبلغ الروح الحلقوم، ويعجز البشر عن دفع الموت عن أنفسهم، لا يملكون شيئًا، ولا يدرون ما يجري حولهم، كل ذلك حق وواقع لا محالة فهو يقين يوجب الإيمان بالله العظيم.

تلك الآيات التي تتنزل فتؤثر في القلوب وتخاطب النفوس فتشرق بنور القرآن.تزيد في الحجة وتوضح المحجة، وتغرس الإيمان في القلوب، ويتوالى نزول القرآن ليدحض شبه المشركين ويقيم عليهم الحجة.

الدعوة والقرآن:

آيات القرآن الكريم المنزلة على قلب محمد ﷺ، وما فيها من البينات والحجج والبراهين على صدق النبوة والدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك، وإثبات البعث، وتصور أحوال المشركين وموقفهم ضد دعوة التوحيد، وما يلاقاه النبي ﷺ من الاستكبار والعناد والصدود.

فتظهر هذه الآيات المنزلة واقع دعوة النبي ﷺ، وكيف رسم طريق الدعوة أمام النبي ﷺ.

نزول سورة الصافات:

هذه السورة تؤصل بناء التوحيد في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله.

وتعرض إلى صورة من صور الشرك التي كان يعتقدها المشركون، فهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، وأنه يوجد نسب بين الله سبحانه وبين الجن. فأقسم الله بطوائف من الملائكة:، الملائكة التي تصف للصلاة والعبادة، والملائكة الذين يزجرون بأمر الله العصاة، والملائكة الذين يتلون الذكر من التسبيح والتهليل، يقسم الله بها على وحدانيته وأنه المستحق للعبادة فأولئك من خلق الله، ويعرض لذكر الشياطين المردة، وتعرضهم للرجم بالشهب الثاقبة كي لا يقتربوا من الملأ الأعلى. ولا يتسمعوا لما يدور فيه، بعد بعثة محمد ﷺ.

ويستدل بالكون العظيم على التوحيد: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾﴾. وتحذر الآيات من الشرك لأنه هو السبب في عذاب المعذبين، وتؤكد صحة النبوة والرسالة، وترد ما يشيعه المشركون من وصف النبي بالشعر والسحر والكهانة وتصف رسالة النبي ﷺ بالحق ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وتعرض الآيات قصص الرسل: نوح وإبراهيم وبنيه. وموسى وهارون. وإلياس، ولوط. ويونس. يظهر فيها رحمة الله ونصره لرسله، وأخذه للمكذبين

بالعذاب والتنكيل، وتبرز في هذه القصص قصة إبراهيم عليه السلام خاصة مع ابنه إسماعيل. قصة الذبح والفداء وتبرز فيها الطاعة والاستسلام لله في أروع الصور

تلك الآيات البينات تظهر صدق القرآن، وتجادل المشركين المكذبين، وتعرض لمصير الأمم المكذبة، تنزل تلك الآيات على قلب محمد ﷺ فتخفف عنه المعاناة، التي يلقاها من قومه فقد سبقه الأنبياء والمرسلون في هذا الطريق، وتنير له طريق الدعوة بالحجة والبرهان، فتلك الآيات عدة وسلاح يتسلح بها النبي الكريم ﷺ في مواجهة المكذبين المعاندين.

نزول سورة يونس:

هذه السورة تظهر موقف المشركين من الوحي إلى رسول الله ﷺ وموقفهم من هذا القرآن فتقرر السورة أن الوحي من الله، وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾.

فقد وصفوا النبي ﷺ بالساحر، وطلبوا تبديل القرآن تعنتًا وعنادًا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ

وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾.

فقد لبث النبي ﷺ أربعين سنة من عمره بينهم بأكمل سيرة وأحسن خلق واشتهر بينهم بالصدق والأمانة والوفاء.

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

هذا القرآن معجزة هذا النبي الكريم ﷺ، وهو كلام الله المعجز، والنبي ﷺ لا يملك شيئًا فهو عبد من عباد الله، يبلغ رسالة ربه.

ويأتي التذكير لهؤلاء المكذبين من قريش بما أصاب الأمم قبلهم ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

فهم مثل تلك الأمم فماهم عاملون؟ وقد جعل الله لكل أمة رسول يبلغها الدعوة ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا

يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارًا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

فأنتم أيها المكذبون لا تستعجلون بالعذاب فهو قريب منكم ويزيد الكفار في الطغيان والعناد والاستكبار ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾. فالآيات من عند الله وقد نزلت على الأمم قبلهم فكذبوا وجحدوا فجأهم العذاب.

وتقرر الآيات للمكذبين صفات الإله المستحق للعبادة وحده لاشريك له، وآثار قدرة الله في الكون من حولهم، وفي أنفسهم، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾. فكل ذلك يدل على استحقاق الله للعبادة

وتقرر الآيات ضعف ما يعبدون من الأنداد والأصنام ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ فقد ضلوا الطريق عن الحق بعبادتهم تللك الأصنام فما كان لها أن تشفع لهم عند الله، وكيف يشركون هذه الأصنام بالله تعالى، وهي لاتنفعهم في وقت الشدائد فهم في البحر يوحدون الله ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

فكيف يشركون في الرخاء ويؤمنون في الشدة. وتقرر الآيات أنهم يؤمنون بالربوبية وينكرون الألوهية ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

فكيف يقرون بالربوبية ولا يقرون بالألوهية، وما هي حال أصنامهم يعبدون؟ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن

يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (يونس، الآيات: ٣٤-٣٦).

حوار مع هؤلاء المشركين ليعلموا ضلالهم وليعترفوا بخطئهم، ولكن الله يهدي من يشاء ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (يونس، الآيتان: ٦٦، ٦٧).

فهم يعيشون الظن في حياتهم ومعتقداتهم، ومن ذلك اعتقادهم أن لله الولد سبحانه بلا علم ولا برهان.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (يونس، الآيات: ٦٨-٧٠).. ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (يونس، الآياتان: ٥٥-٥٦).

وتصور لهم الآيات مراقبة الله لهم، وعلمه بهم: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ (يونس، الآية: ٦١).

وتبين الآيات نهاية المكذبين ومآلهم في الآخرة وكيف تكون حالهم يوم

القيامة حين يتخلي الشركاء عن عبادهم، وتتبرأ منهم إلى الله،: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨ ﴾ (يونس، الآيتان: ٧، ٨).

ثم تذكر الآيات حال المؤمنين الصادقين المصدقين ببعثة النبي عليه الصلاة والسلام ومصيرهم وكرامتهم في الآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ (يونس، الآيتان: ٩، ١٠).

فدعوة النبي عليه الصلاة والسلام تدعو إلى الجنة ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٦ ﴾ (يونس، الآيتان: ٢٥، ٢٦). وفي المقابل ماهي حال هؤلاء المستكبرين عن الحق؟ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٧ ﴾.. في مشهد حزين يتحسر فيه هؤلاء المكذبين.

وفي آيات أخرى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ۝٢٩ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٣٠ ﴾ (يونس، الآيات: ٢٨-٣٠).

فهم وإن عمروا في الدنيا الآف السنين، ففي القيامة يذهب كل شي ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (يونس، الآية: ٤٥). وفي آية أخرى يندمون حين لا ينفع الندم ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (يونس، الآية: ٥٤).

وتظهر الآيات ما كان عليه المشركون من قريش، من تحليل الحرام وتحريم الحلال افتراء على الله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (يونس، الآيات: ٥٩-٦٠).

وتاتي الآيات تتحدى هؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن بأن يأتوا بسورة بمثل هذا القرآن ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (يونس، الآيات: ٣٧-٣٩).

ثم توجه الآيات الرسول ﷺ بعد دعوتهم وتحديهم، إلى تركهم ومصيرهم والاستمرار في دعوته لا يأبه بهم ثابتًا على التوحيد، وعلى دعوة التوحيد ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ (يونس، الآيات: ١٠٤-١٠٩).

إنها قصة دعوة محمد ﷺ في الثبات والصبر والمصابرة، وهي دعوة التوحيد التي دعا إليها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

فقد رسمت السورة ذلك الصراع بين التوحيد والوثنية وكيف لاقى النبي ﷺ من الصدود والتكذيب.

فهي تصور واقع الدعوة، وحياة النبي عليه الصلاة والسلام في مكة بأكمل صورة وأعظم مشهد، فهذه الآيات القرآنية التي تتنزل على رسول الله ﷺ هي أكمل وصف لتلك المدة الزمنية التي قضاها النبي ﷺ في الدعوة في مكة.

نزول سورة هود

نزلت هذه السورة بجملتها بعد سورة يونس، وآياتها تستعرض دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من نوح- عليه السلام- إلى عهد محمد عليه الصلاة والسلام- وتقرر أن دعوتهم قامت على التوحيد، وإفراد الله وحده لا شريك له بالعبادة، ووجوب تلقي التوحيد عن رسل الله وحدهم، مع الاعتقاد بأن الحياة الدنيا، إنما هي دار ابتلاء لا دار جزاء وأن الجزاء إنما يكون في الآخرة وأن حرية الاختيار التي أعطاها الله للإنسان ليختار الهدى أو الضلال هي التكليف الذي أمر الله به.

ولقد جاء محمد عليه الصلاة والسلام بكتاب ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هو، الآية: ١). ومضمون هذا الكتاب هو التوحيد: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ ﴾ (هود، الآيات: ٢-٤).

تلك دعوة الأنبياء قبله، لقد قالها نوح وهود وصالح وشعيب وموسى وغيرهم: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾ (هود، الآيتان: ٢٥، ٢٦).. ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠ ﴾ (هود، الآية: ٥٠).. ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ (الأعراف، الآية: ٧٣)، ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ (هود، الآية: ٨٤).

فكلهم دعوا لهذه الكلمة الواحدة لا إله إلا الله وحده لاشريك له، فدين الرسل هو التوحيد وجاءت الآيات بعرض مواقف الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- وهم يقابلون بالإعراض والتكذيب، والسخرية والاستهزاء، والتهديد والإيذاء، وكيف واجهوا ذلك بالصبر والثقة واليقين بما معهم من الحق، وفي نصر الله الذي لا شك فيه.

ويأتي التوجيه لرسول الله ﷺ بالصبر كما صبر من قبله من الرسل: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (هود، الآية: ٤٩).

وفي نهاية كل قصة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (هود، الآيات: ١٠٠-١٠٢).. كل ذلك تأكيد لهؤلاء المكذبين أن نهايتهم كالأمم قبلهم.

وهذه الآيات تصور حياة النبي ﷺ في مكة، وكيف عاش الأنبياء قبله في دعوتهم.

وأمر النبي ﷺ بالاستقامة على التوحيد، والثبات عليه ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ

ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ (هود، الآيات: ١١٢-١١٥) فالثبات على التوحيد واقامة الصلاة والاكثار من الحسنات سبب من أسباب النصر والتمكين.

وما يقصه الله في القرآن على رسولة تسلية له، وتثبيتًا له على الدعوة ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ (هود، الآيات: ١٢٠-١٢٣).

فهذه الآيات تبين ماكان عليه الرسول ﷺ من الضيق في دعوته لقومه فهي تثبته وتؤيده.

فما جاء به النبي ﷺ وما جاءت به الرسل من قبله دعوة واحدة بوحي من الله- عبادة الله وحده لا شريك له. وتقرير صدق القرآن، وتحدي المشركين، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (هود، الآيتان: ١٣، ١٤).

ويأتي الوعيد الشديد للمكذبين الذين يفترون الكذب ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ

ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ (هود، الآيتان: ١٨، ١٩).

وفي يوم القيامة يظهر مصير كل فريق ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ (هود، الآيات: ١٠٣-١٠٨).

وعلم الله بعباده واطلاعه عليهم وما يعيشونه في نفوسهم من التكذيب والعناد والصدود عن الحق والاستهزاء بالرسول ﷺ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ (هود، الآيات: ٤-٦).

وتعلن الآيات أن هذا النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - متوكل على ربه في جميع أموره لا يضره كيد الكائدين ولا مكر الماكرين، ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ

رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ (هود، الآية: ٥٦).

تقرير تلك الحقائق في القرآن ليظهر عجز البشر عن جلب الخير لأنفسهم أو دفع الشر عنهم.

نزول سورة الشعراء:

هذه السورة تركز على دعوة التوحيد: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (الشعراء، الآية: ٢١٣). والتصديق بالوحي المنزل على محمد رسول الله ﷺ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٤).

ثم التحذير من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا للمكذبين وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين: ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ وفي القيامة ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾.

وفي الآيات تسلية الرسول ﷺ وتعزية له عن تكذيب المشركين له وللقرآن: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ فالله هو القادر أن ينزل علبهم من الآيات التي تخضعهم.

وتذكر الآيات وتثبت قلوب المؤمنين، وتصبرهم على ما يلقون من عنت المشركين، كما ثبت من قبلهم من المؤمنين.

وهذه السورة تواجه تكذيب مشركي العرب لرسول الله ﷺ واستهزاءهم

بالنذر، وإعراضهم عن آيات الله، واستعجالهم بالعذاب الذي يوعدون به مع وصفهم للقرآن بأنه سحر أو شعر تتنزل به الشياطين.

وإثبات صدق القرآن بنزوله من رب العالمين بلسان العرب، وهو المعجزة الخالدة.

وتأتي الآيات لتظهر واقع الكفار باستعجالهم العذاب، وما جعله الله لهم من التمتع في الحياة ثم العذاب يوم القيامة: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ (سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٤-٢٠٧).

وأمر النبي ﷺ بإنذار عشيرته وأهله المقربين بالنسب، بدعوتهم إلى التوحيد وتحذيرهم من الشرك، وأمر النبي ﷺ برحمة المؤمنين المصدقين والتواضع لهم: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر، الآية: ٨٨).

وجاء التوجيه للنبي ﷺ كيف يواجه تكذيب المكذبين: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ (الشعراء، الآية: ٢١٦).

نهاية الدعوة السرية:

لقد كانت تلك السنوات الثلاث مليئة بالأحداث العظيمة ونزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ ليكون له زادًا في دعوته ونورًا له في طريقه، وتسلية له وتثبيتًا.

ولئن كانت الدعوة سرًا، إلا أن آثارها كانت موجودة في أرض الواقع، من

دخول الرعيل الأول في الاسلام، واطلاع صناديد الشرك على دعوة النبي ﷺ، لكن لم يجهر بها بينهم، حتى أمر الله بالصدع فيها واعلانها.

السنة الرابعة من البعثة:

دخلت السنة الرابعة من البعثة ودخلت الدعوة مرحلة جديدة فقد أمر النبي ﷺ بالجهر بالدعوة، فجهر بها بين قريش.

عن ابن عباس قال: لما أنزل الله، عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء، الآية: ٢١٤)، أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه، ثم نادى: «**يا صباحاه**». فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، صدقتموني**»؟. قالوا: نعم. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

وعن علي – رضي الله عنه – قال: جمع رسول الله ﷺ أو دعا رسول الله ﷺ – بني عبد المطلب، فيهم رهط كلهم يأكل الجذعة، ويشرب الفرق، قال: فصنع لهم مدًا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يمس – أو لم يشرب – فقال: «**يا بني عبد المطلب، إني بعثت لكم خاصة وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي**»؟ قال: فلم يقم إليه

(١) صحيح البخاري ٤٧٧٠ وصحيح مسلم ٥٢٩.

أحد، قال: فقمت إليه وكنت أصغر القوم، قال: فقال: «اجلس» قال: ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي: «اجلس» حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي [١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ قام رسول الله ﷺ فقال: **«يا فاطمة ابنة محمد، يا صفية ابنة عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم»** [٢].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشًا، فعم وخص، فقال: **«يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار. يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار، فإني - والله - ما أملك لكم من الله شيئًا، إلا أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها»** [٣].

فرسول الله ﷺ لايملك لأحد شيئًا من أبطأ به عمله لم يعجل به نسبه، ولقد كانوا يعرفون صدقه وأمانته ولكنها الغواية والاستكبار والصدود عن الحق.

---

(١) مسند أحمد ١٣٧١ وفي الفضائل برقم١٢٢٠ والنسائي في الكبرى (٥/ ١٢٥) برقم٨٤٥١ وفيه ضعف.

(٢) صحيح مسلم ٥٢٤.

(٣) صحيح البخاري ٢٧٥٣وصحيح مسلم ٥٢٢.

نزول سورة المسد:

نزلت هذه السورة ترد على موقف أبي لهب وامرأته. وتولى الله سبحانه الرد عن رسوله ﷺ، فقد كتب الله الهلاك والبوار والقطع لأبي لهب، فلم يغن عنه نسبه لما أبطأ به عمله فمآله إلى نار تحرقه، فلم يغن عنه ماله وسعيه، ولم يدفع عنه الهلاك والدمار في الدنيا ولا في الآخرة فإن مآله إلى الخلود في النار.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ أم جميل أروى بنت حرب بن أمية وقود النار مع زوجها في عنقها حبل من ليف تشد به في النار، فقد كانت تحمل الشر والسعي بالأذى والوقيعة.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: لما نزلت ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة، وفي يدها فهر وهي تقول: مذممًا أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. ورسول الله جالس، وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: "إنها لن تراني"، وقرأ قرآنًا اعتصم به منها: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ۝٤٥﴾. قال: فجاءت حتى قامت على أبي بكر، فلم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، بلغني أن صاحبك هجاني. فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك. قال: فانصرفت وهي تقول: لقد علمت قريش أني بنت سيدها.[1]

---

(١) المستدرك (٢/ ٣٩٣) برقم٣٣٧٦ ومسند أبي يعلى (١/ ٥٣) برقم٥٣ و مسندالحميدي (١/ ١٥٣) برقم ٣٢٣ وحسنه

جهر النبي ﷺ بالدعوة فعادته قريش كلها، عادوه لما جهر بالتوحيد ونبذ الشرك، لم يقبلوا دعوة التوحيد، ولم يقروا لرسول الله ﷺ بالرسالة، وجاهره عمه أبولهب وحماه عمه أبوطالب، وأمر أبولهب ابنيه أن يطلقوا بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما، وتزوج عثمان بن عفان رقية بنت رسول الله ﷺ، وأطلقوا على رسول الله ﷺ مذمم.

نزول سورة فصلت:

لقد شرق الكفار بهذا القرآن، فكذبوه، وادعوا أنه من قول البشر فجاءت هذه السورة بذكر القرآن ذلك الكتاب الذي، بينت معانيه وأحكمت أحكامه، لفظًا عربيًا، بينًا واضحًا، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكلة، وهو المعجز من حيث لفظه ومعناه، يبشر المؤمنين، وينذر الكافرين، فأعرض أكثر المشركين، فلم يفهموا منه شيئًا مع بيانه ووضوحه، وقالوا قلوبنا غلف مغطاة، فلا تقبل دعوة التوحيد، وفي آذاننا صمم عن سماع الحق، و بيننا وبين توحيد الله حاجز لا يصل إلينا شيء من الحق، فاعمل يامحمد أنت على طريقتك، ونحن على طريقتنا لا نتابعك، وهذا الحرمان من العقوبات المعجلة، فقد قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء فعوقبوا بالحرمان.

وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المكذبين المشركين، إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، بالدعوة إلى التوحيد، بأن إلهكم إله واحد، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد، فأخلصوا له العبادة،

الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ١٦٩).

فمن أصر على الشرك والوثنية، فالهلاك لهم، فهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولم يطهروا أنفسهم من الشرك ومن الأخلاق الرذيلة.

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر لا مقطوع عنهم، وكيف يعبد المشركون مع الله غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقدر لكل شيء، فيجعلون له نظراء وأمثالا يعبدونها معه، وهو الخالق للأشياء، رب العالمين كلهم.

وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين المكذبين بما جاء به من الحق، إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين، هلاكًا مثل هلاك عاد وثمود، بعث الله إليهم الرسل يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا، بل كذبوا وجحدوا، وقالوا لو أرسل الله رسلا، لكانوا ملائكة من عنده، فإنا بما أرسلتم به أيها البشر مكذبون وجاحدون لرسالتكم.

وهو سبحانه الذي أضل المشركين، بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن، فحسنوا لهم أعمالهم فيما مضى، وزينت لهم أعمالهم فظنوا أنفسهم على الهدى،، فقد تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، وألا ينقادوا لأوامره، و إذا تلي لا يسمعوا له، وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاءِ، ورفعوا أصواتهم بها ليشوِّشوا

على القارئ، لعلهم يغلبونه على قراءته، و أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بخلاف ذلك وهو الإنصات عند سماع القرآن، تعظيمًا للقرآن، واحترامًا لكلام الله، وتدبرًا لآياته، وعملا بأحكامه، واستشفاء بآياته.

وسيجزي الله أهل الكفر بكفرهم وصدهم عن سبيل الله العذاب الشديد، وبشر أعمالهم وسيئ أفعالهم لهم النار خالدين فيها بسبب جحودهم وتكذيبهم، وينادي المكذبون وهم في النار يقولون، ربنا أرنا إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنَّا المعصية، نجعلهما أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابًا منا، ليكونا في الدرك الأسفل من النار، والله تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده.

وتوضح الآيات ما أعد الله لأهل السعادة ولأهل الاستقامة، الذين وحدوا الله وحده لا شريك له ثم ثبتوا على التوحيد، ولم يلتفتوا إلى إله غير الله، تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بالجنة عند الموت، و لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإن الله يغفرها لكم، و تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة، نحن أولياؤكم وأنصاركم وأحباؤكم، وقرناؤكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم.

ومن آيات الله الدالة على قدرته على إعادة الموتى، الأرض تراها ميتة هامدة لا نبات فيها، يابسة جدبة، غبراء، فإذا أنزل عليها الماء، تحركت بالنبات، وأخرجت من جميل ألوان الزروع والثمار، فالذي أحيا الأرض بالمطر لمحيي الموتى بالبعث، والنشور وهو قادر على ذلك، لا يعجزه شيء كائنًا ما كان، والذين يميلون عن التوحيد، وعن الحق، لا يخفون على الله.

فليعمل المشركون ما شاءوا من عمل خير أو شر، فإن الله عليم بهم، وبصير بأعمالهم؛فالذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم، وإن القرآن الذي يكفرون به، عزيز عن أن يعارض، أو يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كل عيب، فهو حق لا سبيل للباطل إليه بوجه من الوجوه، وهو محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه، فيأتيه الباطل من خلفه ولا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله، و لا يستطيع الشيطان أن يزيد فيه، ولا ينقص منه، منزل من رب العالمين، الحكيم في أقواله وأفعاله، المحمود، في جميع ما يأمر به وينهى عنه، جاءت التسلية لرسول الله ﷺ عن ما كان يتأثر له من أذية الكفار، ما يقال لك من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر، والكذب، والجنون إلاّ مثل ما قيل للرسل من قبلك، فإن قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك.

ولو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد، هلا أنزل مفصلا بلغة العرب، ولأنكروا ذلك وقالوا كيف ينزل كلامٌ أعجميٌ على مخاطب عربي لا يفهمه، وجاءهم الرد أن هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، وأما المكذبون فلا يفهمون ما فيه، لما جعل في أسماعهم من الصمم عن قبول الحق، وما على عيونهم من الغشاوة فلا يبصرون الحق فلا يهتدون إلى ما فيه من البيان.

ما لقي النبي ﷺ من الأذى:

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**لقد أخفت في الله، وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله، وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولا لبلال طعام يأكله ذو كبد، إلا شيء يواريه إبط بلال**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: **ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد**(٢).

واتهموا النبي ﷺ بالسحر والكذب والشعر قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (الفرقان: الآية: ٨).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ (ص، الآية: ٤).

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣﴾ (هود، الآية: ١٣).

وقال الله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝٥ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ (الأنبياء، الآيتان: ٥، ٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز و جل: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل، الآية: ١٠٣) قالوا: إنما يعلم

---

(١) مسند أحمد ١٤٠٥٥ و سنن الترمذي ٢٤٧٢ وسنن ابن ماجه ١٥١ وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٣٥٣٣.

محمدًا عبد ابن الحضرمي و هو صاحب الكتب فقال الله لسان الذين يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله [١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال: «لم»؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدًا لتعرّض لما قبله [٢]! قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك، إنك منكر له، أو إنك كاره له، قال: و ماذا أقول؟ فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز و لا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى، وأنه ليحطم فاتحته قال: لا يرضى عنك قومك، حتى تقول فيه قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١﴾ (المدثر، الآية: ١١)[٣].

وعن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يومًا فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟فقالوا ما نعلم أحدًا غير عتبة بن

---

(١) المستدرك (٢/ ٣٨٩) برقم٣٣٦٣ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أي أتيت محمدًا نريد شيئًا من العطاء من جهته.

(٣) المستدرك (٢/ ٥٥٠) برقم٣٨٧٢ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ربيعة، فقالوا يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم إنك خير منهم فتكلم، حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا وأن في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف، حتى نتفانى أيها الرجل إن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجنك عشرًا، فقال رسول الله ﷺ «فرغت»؟ قال نعم فقال رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾»، فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: «**لا**» فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك فقال ما تركت شيئًا أرى أن تكلمونه، إلا قد كلمته قالوا فهل أجابك قال نعم قال لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئًا مما قال، غير أنه قال أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال، قال لا والله ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾(الفرقان، الآية: ٤١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٠﴾(الأنعام، الآية: ١٠).

---

(١) انظر مسند عبد بن حميد (ص: ٣٣٧) برقم١١٢٣ وفيه ضعف.

قال: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (الزخرف، الآية: ٣١) قال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ (الزخرف، الآية: ٣٢).

ومن تعنت المشركين المكذبين طلبهم من النبي ﷺ الآيات.

قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (الأنعام، الآيتان: ١١٠، ١١١).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (الإسراء، الآيات: ٩٠-٩٣)

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الفرقان، الآية: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ﴾ (الفرقان، الآيتان: ٧، ٨).

وعن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، ونؤمن بك، قال: " وتفعلون؟ " قالوا: نعم، قال: فدعا، فأتاه جبريل فقال: " إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة "، قال: " بل باب التوبة والرحمة "[1].

وعن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ، أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: " لا، بل أستأني بهم " فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ (الإسراء، الآية: ٥٩).

لقد كتب الله عليهم الشقاء فلا تنفعهم الآيات.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧ ﴾ (يونس، الآيتان: ٩٦، ٩٧).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾ (يونس، الآية: ١٠١).

ومن استهزائهم وصدهم عن سبيل الله تعالى: عن ربيعة بن عباد، قال: "

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم٢١٦٦ وهو صحيح.

رأيت رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذي المجاز " وخلفه رجل أحول، يقول: لا يغلبنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم، قلت لأبي وأنا غلام: من هذا الأحول، الذي يمشي خلفه؟ قال: هذا عمه أبو لهب.

وفي رواية يقول: «**أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**» إلا أن وراءه رجلا أحول وضيء الوجه، ذا غديرتين يقول: إنه صابئ، كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب [١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعدما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال فنزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ (يس، الآية: ٧٧).

وقال ابن عباس ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (الإسراء، الآية: ١١٠) أنزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة، فكان إذا رفع صوته سمع المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [لا تجهر بصلاتك] حتى يسمع المشركون [ولا تخافت بها] عن أصحابك فلا تسمعهم [وابتغ بين ذلك سبيلا] أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن [٢].

وعن ابن عباس، قال: قال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم، هاتوا تمرًا وزبدًا، فتزقموا) [٣].

---

(١) مسند أحمد ١٦٠٢٢ وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٧٤٩٠ وصحيح مسلم برقم١٠٢٩.

(٣) مسند أحمد ٣٥٤٦ وهو صحيح.

شقاوة من لم يصدق النبي عليه الصلاة والسلام:

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يومًا، فمر به رجل، فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيرًا، ثم أقبل إليه، فقال: «ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرًا غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه، ولم يصدقوه، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم، مصدقين لما جاء به نبيكم، قد كفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بعث الله النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها فيه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية، ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده حتى إن كان الرجل ليرى والده وولده أو أخاه كافرًا، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه، وهو يعلم أن حبيبه في النار»، وأنها للتي قال الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾(الفرقان، الآية: ٧٤)[١].

(١) مسند أحمد، ط الرسالة (٣٩/ ٢٣١) والأدب المفرد ٨٧ وهو صحيح.

مؤاخاة النبي ﷺ بين المؤمنين بمكة:

آخى النبي ﷺ بينه وبين علي، وبينه وبين أبي بكر، وآخى بين الزبير وابن مسعود. عن ابن عباس آخى النبي ﷺ بين الزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود[١].

وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وعثمان، وآخى بين حمزة وبين زيد بن حارثة على الحق والمواساة.

ففي حديث ابنة حمزة قول زيد بن حارثة ابنة أخي[٢].

وآخى بين عبيدة بن الحارث وبلال. وآخى بين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص. وآخى بين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وآخى بين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وطلحة بن عبيد الله[٣].

وسبب المؤاخاة بين المهاجرين لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأن زيدًا مولاهم فقد ثبت أخوتهما وهما من المهاجرين[٤].

---

(١) المستدرك (٣/ ٣٥٥) ٥٣٧٢ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي والمعجم الأوسط (١/ ٢٨٥)٩٢٩ والأدب المفرد (ص: ٢٠٠) ٥٦٨ والأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٢/ ٢٨٩)١٦٨٨ وقال اسناده صحيح وصححه الالباني.

(٢) صحيح البخاري ٤٢٥١.

(٣) أنساب الأشراف (١/ ١١٧،).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٧١) قال الحافظ ابن حجر أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على بن المطهر الرافضي المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصًا مؤاخاة النبي ﷺ لعلي قال لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضًا ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري، وهذا رد للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة.

نزول سورة عبس:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول أترى بما تقول بأسًا فيقال: لا ففي هذا أنزل[1].

نزلت هذه السورة تعاتب رسول الله ﷺ عن تعبيسه في وجه ابن أم مكتوم وإعراضه عنه، واقباله على الآخر، وما يعلم النبي ﷺ، لعل في جوابه لابن أم مكتوم تحصل له الزكاة والطهارة في نفسه، أو يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم، أما الغني فأنت يامحمد تتعرض له لعله يهتدي، وما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة، وأما من يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له، فأنت عنه تتشاغل، وأمر الله عزو جل رسوله ﷺ ألا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، فالقرآن تذكرة، وعبرة وعظة، فمن رغب فيها اتعظ بها، وحفظها، وعمل بموجبها، ومن رغب عنها، كما فعله من استغنى، فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره، والقرآن في صحف معظمة موقرة، مرفوعة القدر، والذكر،

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٥/ ٤٣٢) برقم ٣٣٣١ وابن حبان في صحيحه برقم ٥٣٥ وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.

ومرفوعة عن الشبه والتناقض، مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي الملائكة، وهم السفرة بين الله وبين خلقه، خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، فينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد، والإنسان حين يضل عن الطريق يكذب، فلعن الإنسان ما أكثر تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم، وما أشد كفره، فقد خلقه الله من نطفة حقيرة، وهو قادر على إعادته كما بدأه، وهو الذي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد، ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه، وبعد خلقه له هو الذي يميته ويقبره، فهو سبحانه الذي شرع لعباده القبر للميت كرامة له، ثم إذا أراد الله بعثه بعد موته بعثه، فالإنسان الكافر الذي يزعم أنه أدى حق الله عليه في نفسه وماله، فهو في الحقيقة لم يؤد حق الله لأنه لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض لربه عز وجل، وأعظمها التوحيد، فقد خلق الله للإنسان طعامه، بإحياء النبات من الأرض الهامدة بإنزال الماء من السماء على الأرض، فأسكنه فيها فدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض، فنبتت الحبوب، والأعناب، والعلف للأنعام، ونبت الزيتون والنخيل، يؤكل بلحًا بسرًا، ورطبًا، وتمرًا، ونيئًا، ومطبوخًا، وأنبت البساتين فيها الشجر الذي يستظل به، وفيها الفاكهة، وهي ما يتفكه به من الثمار، وفيها الأب وهو ما أنبتت الأرض، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، كل ذلك عيشة للإنسان وللأنعام في هذه الدار

إلى يوم القيامة، فإذاجاءت صيحة القيامة، التي تصخ الأسماع، فتبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها، يفر الإنسان من أقاربه، يراهم ويفر منهم، ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جليل، فلكل إنسان يوم القيامة شأن يشغله عن الأقرباء، ويصرفه عنهم، يفرّ عنهم حذرًا من مطالبتهم إياه بما بينهم فالجميع في شغل شاغل عن غيره، و يكون الناس فريقين وجوه مستنيرة، مسرورة فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء أهل الجنة، ووجوه يعلوها ويغشاها السواد، وهم الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم.

نزول سورة القدر:

هذه السورة توضح بداية إنزال القرآن في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة، في شهر رمضان، فقد أنزل الله القرآن جملة واحدة، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، في ليلة القدر، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ، ومن شرف هذه الليلة أن العبادة فيها تعدل عبادة ألف شهر، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، وفي هذه الليلة تقدر المقادير، وتقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال، والأرزاق وهي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، أو يعمل فيها أذى.

نزول سورة الشمس:

تتضمن هذه السورة حقيقة النفس البشرية، واستعداداها الفطري، ودور الإنسان في تزكية نفسه بالتوحيد والإيمان، فيقسم الله فيها بمخلوقاته الدالة على استحقاقه بالعبادة وحده لاشريك له، أن الفلاح لمن تزكى بالتوحيد، وأن

الخسارة لمن أوبق نفسه بالشرك، وتضمنت قصة ثمود، وتكذيبهم بإنذار رسولهم، وعقرهم للناقة، ومصرعهم بعد ذلك وزوالهم. وهم نموذج للمكذبين المعاندين.

الزبير يدافع عن النبي ﷺ:

عن عروة قال: إن أول رجل سل سيفه في الله الزبير بن العوام، نفخة نفخها الشيطان، أُخذ رسول الله، فخرج الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة قال: «**ما لك يا زبير؟**» قال: أخبرت أنك أُخذت، قال: «فصلى عليه ودعا له ولسيفه»[(١)].

وفي حديث آخر عن سعيد بن المسيب قال: أول من سل سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، فبينما الزبير بن العوام قائل في شعب المطابخ إذ سمع نغمة: إن رسول الله ﷺ قتل، فخرج من البيت متجردًا، بيده السيف صلتًا، فلقيه رسول الله ﷺ «كِفّة كِفّة، فقال: «**ما شأنك يا زبير**»[(٢)]؟ " قال: سمعت أنك قتلت، قال: «فما كنت صانعًا؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة قال: «فدعا له النبي ﷺ بخير»[(٣)].

نزول سورة الأنبياء:

في ميدان الصراع بين التوحيد والوثنية تتنزل هذه السورة، تذكر أحوال الناس في تلقيهم دعوة التوحيد، فالغافلون المعرضون يتصدرون التكذيب والصدود، ويكفرون بالله تعالى وبالقرآن وبالوحي المنزل على الرسل فكان مآلهم

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٣٦٧.

(٢) أي كفاحاً إذا استقبله مواجهة.

(٣) انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٢/ ٧٣٥)برقم١٢٦٦- ١٢٦٠ وحلية الأولياء (١/ ٨٩).

إلى العقوبة والخسران ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ (الأنبياء، الآية: ١١).

فهذا الكون لم يخلق عبثًا ولا لعبًا ولا باطلا، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الأنبياء، الآية: ١٦).

وسنة الله التي لا تتخلف أن يغلب الحق في النهاية وأن يزهق الباطل ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء، الآية: ١٨) فيحل الهلاك بالظالمين المكذبين، وينجي الله الرسل والمؤمنين: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾ (الأنبياء، الآية: ٩).. و يورث الله عباده الصالحين الأرض: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الأنبياء، الآية: ١٠٥).

فالله المستحق للعبادة مدبر الكون وحده، والمالك الذي لا شريك له في الملك، كما أنه لا شريك له في الخلق.. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء، الآية: ٢٢) ولا شريك له في العبادة.

فهو الذي خلق كل دابة من ماء، وجعل من الماء وحده مصدر الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ (الأنبياء، الآية: ٣٠) وهو سبحانه المحيي المميت إليه ينتهي الأحياء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.. وإليه وحدة المصير الذي إليه ينتهون: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾..

فمنذ أن خلق الله الخليقه أوجب عليهم التوحيد: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء، الآية: ٢٥).

فأرسل الرسل كلهم من البشر: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (الأنبياء، الآية: ٧).

وتستعرض الآيات أمم الرسل من إبراهيم- عليه السلام - وإلى داود وسليمان. و نوح، وموسى، وهارون، ولوط، وإسماعيل، وإدريس، وذي الكفل، وذي النون، و زكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام.

تتجلى في هذه القصص معاني الدعوة إلى التوحيد وحياة الرسل وما لقوا من التكذيب والعناد والصدود من قومهم.

وتتضمن الآيات وجوب الايمان برسالة خاتم الرسل ﷺ فلا يتلقاها الناس بالغفلة والاعراض.

فهذه الرسالة حق، كما أن هذا الكون حق، فهي رسالة الله الخالدة الخاتمة للبشرية

وفي قصة إبراهيم- عليه السلام- بتحطيمه الأصنام، وإلقاء إبراهيم في النار. ونجاته من النار تؤكد مبدأ البراءة من الشرك، وهو القدوة لهذه الأمة، فإن هذا النبي عليه الصلاة والسلام الذي يكذبون به، من ذرية إبراهيم عليه السلام، جاء بالحنيفية ونبذ الشرك، فمها حالوا قتله فلن يستطيعوا.

وهؤلاء الكفار الذين يواجهون الرسول ﷺ بالسخرية والاستهزاء، نهايتهم مثل ما أصاب المستهزئين بالرسل قبلهم، فليس لهم من الله من عاصم.

فوظيفة الرسول ﷺ الإنذار: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ (الأنبياء، الآية: ٤٥) ينذرهم ويحذرهم عاقبة تكذيبهم: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (الأنبياء، الآية: ٤٥).

عن ابن عباس قال: آية لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ (الأنبياء، الآية: ٩٨) شق ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم محمد آلهتنا فقام ابن الزبعرى فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد آلهتنا قال: وما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ قال: ادعوه لي، فدعي محمد ﷺ فقال ابن الزبعرى: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: «**بل لكل من عبد من دون الله عز وجل**» قال: فقال: خصمناه ورب هذه البنية، يا محمد ألست تزعم أن عيسى عبد صالح، وعزيرًا عبد صالح، والملائكة عباد صالحون، قال: «بلى»، قال: فهذه النصارى يعبدون عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرًا وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، قال: فضج أهل مكة فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ (الأنبياء، الآية: ١١١) عيسى وعزير والملائكة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء، الآية: ١٠١)، قال: ونزلت: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ (الزخرف، الآية: ٥٧) [1].

---

(١) شرح مشكل الآثار (٣/ ١٥) برقم٩٨٦.

نزول سورة الزخرف

عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ قال لقريش: «**يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير**» وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم أن عيسى كان نبيًا وعبدًا من عباد الله صالحًا؟ فلئن كنت صادقًا، فإن آلهتهم لكما تقولون. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ (الزخرف، الآية: ٦١)، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة.[1]

هذه السورة تظهرما يلاقيه النبي ﷺ من مصاعب، وعقبات ومن جدال واعتراضات من المكذبين، واستهزاء وسخرية وتؤكد في بدايتها على صحة القرآن الكريم ومكانته، وكيف كان أهل الجاهلية يقولون: إن الملائكة بنات الله مع كراهيتهم لهن: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم

---

(١) مسند أحمد ٢٩١٨ وهو حسن.

بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الزخرف، الآيات: ١٥-٢٢).

فيحتجون على ضلالهم بالقدر، ويعترضون على نبوة النبي ﷺ ولم يدركوا حكمة اختيار الله- سبحانه - لرسوله ﷺ وصدهم ما يعيشونه في نفوسهم الخبيثة من المظاهر التي يقيسوا بها البشر: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (الزخرف، الآيات: ٣١-٣٥) فليس الأمر كما ترونه من المظاهر الزائلة.

وذكر الله قصة موسى- عليه السلام- مع فرعون، وما يعيشه من هذه المظاهر الزائفة.: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (الزخرف، الآيتان: ٥٥، ٥٦). تلك نهاية كل معتز بمظاهره فكذب المرسلين واعتد بما عنده من الدنيا.

وبيّن لهم في هذه السورة حقيقة ملة إبراهيم، وأنها التوحيد الخالص، وكلمة التوحيد باقية في عقبه، وأن الرسول ﷺ من ذريته قد جاءهم بها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الزخرف، الآيات: ٢٦-٣٠).

وفي هذه السورة يكشف جدلهم ويبرىء عيسى- عليه السلام- مما ارتكبه أتباعه من بعده وهو منه بريء، وكل من عاش بعيدًا عن التوحيد، وعبادة الله الخالصة يسلط الله عليه الشاطين فتقوده إلى الضلال والهلاك والخسران ويزين له سوء عمله فيراه حسنًا، وتلك نهاية من كتبت عليه الضلالة ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (الزخرف، الآيتان: ٣٦، ٣٧).

ويعزي الله نبيه على ضلال هؤلاء وأنهم لن يهتدوا ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (الزخرف، الآيات: ٤٠-٤٢).

وأمر الله نبيه بالتمسك بالوحي فهو النجاة ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (الزخرف، الآيتان: ٤٣، ٤٤).

قريش تغضب لأصنامها:

دخل الناس في الدين واحدًا بعد واحد، وقريش لا تنكر ذلك، حتى بادأهم بعيب دينهم وسب آلهتهم، وأنها لا تضر ولا تنفع، فحينئذ شمروا له ولأصحابه، عن ساق العداوة، فحمى الله رسوله بعمه أبي طالب؛ لأنه كان شريفًا معظمًا في قريش مطاعًا في أهله، وأهل مكة لا يتجاسرون على مكاشفته بشيء من الأذى، وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه؛ لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها.

وأما أصحابه، فمن كان له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته، وسائرهم تصدوا له بالأذى والعذاب [١].

ما لقي الصحابة من التعذيب والأذى:

لقد أخذ المشركون، الضعفاء من المؤمنين فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد وأتاهم على ما أرادوا، لشدة ما يلقى من العذاب.

وبلال ﷺ هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول أحد، أحد "[٢].

وعن عروة بن الزبير قال: أسلم الزبير بن العوام و هو ابن ثمان سنين،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٠).

(٢) مسند أحمد ٣٨٣٢ و المستدرك (٣/ ٣٢٠) برقم٥٢٣٨ وهو حسن.

وهاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير و يدخن عليه بالنار و يقول: ارجع إلى الكفر فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا(١).

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يقول والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر(٢).

وعن جابر: أن رسول الله ﷺ مر بعمار و أهله و هم يعذبون فقال: أبشروا آل عمار و آل ياسر فإن موعدكم الجنة (٣).

وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك و ذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان قال: إن عادوا فعد(٤).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص: قال حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا، قال مكثت ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى ﴾ (العنكبوت، الآية: ٨) وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾(٥).

---

(١) المستدرك (٣/ ٤٠٦) برقم ٥٥٤٧.

(٢)صحيح البخاري ٣٨٦٢.

(٣) المستدرك (٣/ ٤٣٨)برقم٥٦٦٦وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.؟

(٤) المستدرك (٢/ ٣٨٩) برقم٣٣٦٢ وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥)صحيح مسلم ١٧٤٨.

وعن أبي ليلى الكندي قال: - جاء خباب إلى عمر فقال ادن. فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار. فجعل خباب يريه آثارًا بظهره مما عذبه المشركون[١].

وعن حارثة بن مضرب قال: دخلت على خباب وقد اكتوى في بطنه فقال ما أعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ لقي من البلاء ما لقيت[٢].

وعن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا، قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم، أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون[٣].

وعن ابن عباس: أنه قال لزنيرة: هل كان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قالت: نعم، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه ويضربونه، حتى ما يقدر على أن يقعد، فيعطيهم ما سألوا من الفتنة. ويقولون له: اللات والعزى آلهتك من دون الله؟ فيقول: نعم، وحتى إن الجعل ليمر، فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداء مما يبلغون من جهده، فإذا أفاق، رجع إلى التوحيد[٤].

---

(١) سنن ابن ماجه ١٥٣ قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) سنن الترمذي برقم٩٧٠ قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) صحيح البخاري برقم٣٦١٢.

(٤) أنساب الأشراف (١/ ٨٤).

وكانت زنيرة قد عذبت حتى عميت. فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين. فقالت، وهي لا تبصره: وما تدري اللات والعزى، من يعبدهما ممن لا يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يرد بصري. فأصبحت من تلك الليلة وقد رد الله عليها بصرها. فقالت قريش:

هذا من سحر محمد. فاشترى أبو بكر رضي الله عنه جارية بني المؤمل وزنيرة، وأعتقهما[1].

ولقد لقي أصحاب رسول الله ﷺ من التعذيب أشده وأقساه، وكان رسول الله ﷺ يحمل ألامهم، فيجتهد في الدعوة، لعل الله أن يفتح قلوب هؤلاء القساة فينصروا الإسلام.

نزول سورة البروج:

في جو مليء بالتعذيب والتنكيل تنزل سورة البروج لتعرض قصة الثبات على الحق، فإن التوحيد، إذا خالط بشاشة القلوب، لم يستطع أحد اقتلاعه تلك قصة التعذيب للمؤمنين وقصة الثبات، والآيات تعرض قصة أصحاب الأخدود.. إنها قصة لفئة من المؤمنين السابقين إلى الإسلام، من النصارى الموحدين- ابتلوا بأعداء لهم ظلمة من الوثنيين، أرادوا منهم ترك عقيدتهم والارتداد عن دينهم، فأبوا وتمنعوا بعقيدتهم، فحفروا لهم في الأرض، وأوقدوا النار، وألقوا المؤمنين فماتوا حرقًا، على مرأى من الناس: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ (البروج، الآية: ٨) لقد قتل أصحاب الأخدود

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ١٩٦).

لثباتهم على الحق وقتل بعدهم الصحابة الكرام لثباتهم على الحق، فذاك درس للصحابة وللأمة.

لقد كان موتهم بهذه الصورة المؤلمة انتصار لهم على طغيان الشرك، وإن الله على نصرهم لقدير، لكنها سنة الابتلاء فهو سبحانه له ملك السماوات ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ (البروج، الآية: ٩).

وبشارة للمؤمنين أن الذين عذبوهم مآلهم إلى عذاب جهنم وعذاب الحريق وأن مآل المؤمنين إلى نعيم الجنة... ذلك الفوز الكبير.. الذي ينتظر المؤمنين الذين اختاروا عقيدة التوحيد على الحياة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ (البروج، الآيتان: ١٠، ١١).

والله سبحانه يبطش بالظالمين، فهو الذي يبدئ ويعيد: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ (البروج، الآيتان: ١٢، ١٣) وهو سبحانه يغفر للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ (البروج، الآية: ١٤) الغفور للتائبين من الإثم مهما عظمت ذنوبهم.

والودود سبحانه هو الذي يحب رسله وأولياءه، ويتودد إليهم بالمغفرة والرحمة فيرضى عنهم ويتقبل أعمالهم ويوددهم إلى خلقه فيحبب عباده فيهم، والله سبحانه ودود يؤيد رسله وعباده الصالحين بمعيته الخاصة فلا يخيب رجاءهم، ولا يرد دعاءهم، وهو عند حسن ظنهم به، وهو الودود لعامة خلقه بواسع كرمه،

وسابغ نعمه يرزقهم ويؤخر العقاب عنهم لعلهم يرجعون إليه.

وقد أخذ الله الأمم السابقة بكفرهم وعنادهم واستكبارهم من أصحاب الجنود الكثيرة كقوم ثمود وفرعون فما أغنت عنهم كثرتهم شيئًا.

والكفار في جحود ونفور عن الحق، والله محيط بهم وهم لا يشعرون: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ (البروج، الآيتان: ١٩، ٢٠).

والقرآن كتاب الله عظيم القدر وهو كلام الله المنزل على قلب محمد ﷺ وهو في اللوح المحفوظ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ (البروج، الآيتان: ٢١، ٢٢).

فكان لنزول هذه السورة أثر على الصحابة رضي الله عنهم في الصبر، والثبات وقد قص النبي ﷺ قصتهم على أصحابه.

فعن صهيب: أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلما كبر، قال للملك إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب، فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي**

الناس فرماها فقتلها، ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك؟ قال ربي قال ولك رب غيري؟ قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله فأخذه، فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه، حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به، فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه،

فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي، حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران، وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق»[1].

قصة في الثبات والصبر و المصابرة تشحذ الهمم وتقوي العزائم وأنزل الله سورة التين تبين كرامة المؤمن وفضله.

---

(١) صحيح مسلم ٣٠٠٥.

نزول سورة التين:

حقيقة السورة هي بيان الفطرة المستقيمة التي فطر الله الناس عليها، فقد خلق الله عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين، فكل مولود يولد على الفطرة.

فيقسم الله- سبحانه- على هذه الحقيقة بالتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين، والتين والزيتون أرض الشام وفلسطين حيث ولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وطور سينين هو الطور الذي نودي موسى- عليه السلام- من جانبه. والبلد الأمين هو مكة بيت الله الحرام..

تلك مواطن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي دعوا فيها إلى التوحيد والإيمان: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ (التين، الآيات: ٤-٦).

فقد كرم الله الإنسان فخلقه في أحسن تقويم بحسن التركيب، وحسن التقويم، وغرس الفطرة السليمة في قلبه فقد خلق على التوحيد، وحين ينحرف عن الفطرة يحيد عن الإيمان المستقيم فيهوي إلى أسفل سافلين، حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى، بينما المخلوق في أحسن تقويم، يجحد ربه، ويكذب رسله.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾. فهؤلاء هم الذين يبقون على الفطرة السليمة، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح، حتى ينتهوا بها إلى حياة

الكمال في دار النعيم. ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ دائم غير مقطوع.

أما الذين ينحرفون عن فطرتهم إلى الشرك والوثنية ينزلون إلى أسفل سافلين تصل بهم في النهاية إلى درك الجحيم« ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ (التين، الآيتان: ٧، ٨).

فمن يكذب بالتوحيد واليوم الآخر بعد هذه الحقيقة؟ وبعد إدراك قيمة التوحيد في حياة البشر؟

والله سبحانه أعدل العادلين وحكمة الله بالغة في هذا الحكم على المؤمنين وغير المؤمنين؟

تلك الآيات تنزل على قلب محمد ﷺ لتنير له طريق الإيمان والدعوة، ولتكون بلسمًا شافيًا لكثير ما يعترض طريق الدعوة من مصاعب.

ويستمر العناد والصدود والتكذيب من كفار قريش، فهم لايؤمنون بالبعث بعد الموت فتنزل سورة القارعة لتؤكد وقوع ذلك اليوم لا محالة.

نزول سورة القارعة:

هذه السورة كلها عن القارعة. حقيقتها. وما يقع فيها. وما تنتهي إليه..

فهي تعرض صورًا من يوم القيامة.

ففي يوم القيامة، يكون الناس «كالفراش المبثوث» في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، وحيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث، وهو لا يملك لنفسه وجهة، ولا يعرف له هدفًا، وتكون الجبال الثابتة الراسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح.

في ذلك اليوم يظهر عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فمن رجحت حسناته على سيئاته، فهو من أهل الجنة. ومن رجحت سيئاته على حسناته يهوي في النار على رأسه فهي أمه التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها.

فليكذب من يكذب لهذا اليوم فهو واقع لا محالة تلك الآيات البينات التي توضح حقيقة اليوم الآخر.فتلك دعوة الإسلام التي تؤكد أن التوحيد هو الأساس.

ويستمر مسلسل الاستهزاء واللمز لنبي الأنام ﷺ حيث صناديد الكفر والطغيان.

نزول سورة الهمزة:

تعكس السورة صورة من الواقع في حياة الرسول ﷺ، وهي صورة تتكرر في كل مكان، وزمان.

صورة اللئيم المكذب المعاند المستكبر، الذي يعطى المال والجاه، فينظر للمال أنه هو الشرف والعز والحياة. ينظر أنه بالمال يقدر على كل شيء حتى الخلود في الحياة. فيستهين بأقدار الناس وكراماتهم. يعيبهم بلسانه ويسخر منهم بحركاته، سواء بحكاية حركاتهم وأصواتهم، أو بتحقير صفاتهم وسماتهم، بالقول والإشارة. بالغمز واللمز.

وقد كان رسول الله ﷺ يواجه مثل هذه الحالة من بعض المشركين فجاء الرد عليها في صورة التهديد المرعب. فمآل كل المستهزئين«الحطمة» التي تحطم

كل ما يلقى إليها، فتحطم كيان كل مستهزئ ومستكبر فهي نار تنفذ إلى قلوبهم وأدمغتهم التي ينبعث منها الهمز واللمز، ويكمن فيها السخرية والكبرياء والغرور..

إنه انتصار للرسول ﷺ من كل مستهزىء وانتصار لأصحابه وأتباعه.

نزول سورة المرسلات:

عن عبد الله، رضي الله عنه، قال بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزل عليه ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ وإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ اقتلوها فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ وقيت شركم كما وقيتم شرها[1].

تعرض السورة بعض المشاهد في الآخرة، وتؤكد بالوعيد والإنذار للمكذبين: ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾!

ففي الآيات مشاهد يوم الفصل حين يتغير الكون في السماء والأرض، وهو اليوم الذي تؤكده دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ (المرسلات، الآيات: ٨-١٥).

---

(١) صحيح البخاري ١٨٣٠.

والآيات تذكر المكذبين لدعوة النبي ﷺ بمصارع المكذبين، وتشير إلى سنن الله في المكذبين: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ (المرسلات، الآيات: ١٦-١٩).

والآيات تذكر المكذبين خلقهم الأول: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (المرسلات، الآيات: ٢٠-٢٤).

والآيات تذكر المكذبين بهذه الأرض التي تضم البشر أحياء وأمواتًا، وقد خلقت لهم بالاستقرار عليها وبإنزال الماء المحيي لهم ولزوعهم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ (المرسلات، الآيات: ٢٥-٢٨).

والآيات تذكر المكذبين بما يلقونه يوم الفصل من عذاب وعقاب وتأنيب: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (المرسلات، الآيات: ٣٠-٣٤).

والآيات تذكر المكذبين بما يكون يوم القيامة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (المرسلات، الآيات: ٣٥-٤٠).

والآيات تذكر ما أعد الله المتقين، وما أعد لهم من نعيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى

ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (المرسلات، الآيات: ٤٠-٤٥).

والآيات تذكر المكذبين انهم يتمتعون في الدنيا ومصيرهم إلى النار: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (المرسلات، الآيات: ٤٦-٤٩).

فهم في تكذيب وعناد وصدود: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (المرسلات، الآيتان: ٤٨، ٤٩).

والتكذيب لا يقف عند حد، وتتوالى الآيات تتنزل على الرسول ﷺ بالحجج والبينات تؤكد التوحيد والبعث بعد الموت.

صدود وتكذيب:

خلال هذه السنوات الأربع، والرسول عليه الصلاة والسلام يدعو قريشًا إلى التوحيد، والقرآن ينزل، يرغبهم بالإيمان، ويفند شبههم ويثبت لهم صدق نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، وصحة القرآن الكريم، ويؤكد لهم بالأمثال والبراهين البعث والنشور، إلا أن الصدود والاستكبار والتكذيب، هو سبيلهم، فلم تزدهم الدعوة إلا نفورًا وإعراضًا.

نزول سورة ق:

سورة ق سورة تؤكد رسالة النبي ﷺ، وتذكر كيف تعجب المشركون، من بعثة النبي ﷺ إليهم، وتعجبوا من بعثهم بعد موتهم وتظهر حالهم واضطرابهم وترددهم.

وتذكر حالة الأمم المكذبة قبلهم، وكيف أهلكهم الله وتذكر خلق الإنسان الأول وهو دليل على البعث بعد الموت، وحالة ضعف الإنسان عند الموت

وحالة الإنسان في حياته، فهو تحت مراقبة الله، من المولد، إلى الممات، إلى البعث، إلى الحشر، إلى الحساب.

فكل لفظ مكتوب. وكل حركة محسوبة. وكل الأمم المكذبة كان مآلها إلى الهلاك والزوال، وفي ذلك عبرة وعظة.

وجاءت الوصية للرسول عليه الصلاة والسلام بالصبر على تكذيب المكذبين والاستعانة بالذكر والصلاة، والتذكير بالقرآن.

وتؤكد الإيمان بالبعث بعد الموت، يوم يقوم الناس من قبورهم: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ (ق، الآيات: ٤١-٤٤).

نزول سورة البلد:

تبدأ السورة بالقسم بهذا البلد وهو مكة، بيت الله الحرام، ويكرم الله نبيه محمدًا ﷺ فيذكره ويذكر إقامته بهذا البلد.

هذا البلد الذي يستحل حرمته المشركون، فيكفرون بالله، ويشركون به في بلد الله الحرام ويؤذون النبي ﷺ والمسلمين فيه.

فالمشركون يدعون أنهم سدنة البيت، وأبناء إسماعيل وعلى ملة إبراهيم، وهم يكفرون بدعوة النبي الخاتم ﷺ.

فإن الله خلق الإنسان في مكابدة ومشقة، وجهد وكد، وكفاح وكدح، وتعب ومصاعب، وجعل له من الحواس ما يهديه إلى الحق: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ (البلد، الآيات: ٨-١٠) ليختار أيهما شاء، ففي طبيعته الاستعداد للإختيار، وأمام الإنسان عقبة لا يتعداها إلا بالتوحيد والعمل الصالح من عتق الرقاب وإطعام الطعام.

فالمؤمنون الموحدون، يتواصون بالصبر وبالتراحم بينهم فلهم الرحمة في الآخرة، فهم أصحاب اليمين ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾. وأما الكفار فهم أصحاب الشمال لهم عذاب النار. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾.

الاصرار على الشرك:

لايزيد قريش مع الزمن إلا تكذيبًا واصرارًا على الاستكبار، والايذاء والتضييق، ولايزيد الرسول ﷺ إلا ثباتًا واقبالا على الدعوة إلى التوحيد، والآيات القرانية تنزل بالحجج والبراهين على ضلال هؤلاء الكفار وسفههم، وخبث معتقدهم، وهم ماضون في التكذيب والاستعلاء بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.

نزول سورة الطارق:

هذه السورة تؤكد حقيقة الإلوهية، والاستدلال بالآيات الكونية من النجوم والأرض وخلق الإنسان على استحقاق الله للعبادة، فكل نفس تحت مراقبة الله: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الطارق، الآية: ٤) فالكرام الحفظة يكتبون أعمال العباد.

وتأتي الآيات لتأكيد البعث بعد الموت: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الطارق، الآيات: ٨-١٠).

وتؤكد الآيات صحة هذا القرآن الذي أنزله الله على النبي ﷺ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ (الطارق، الآيتان: ١٣، ١٤).

وتذكر الآيات كيد الكفار المكذبين: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ (الطارق، الآيات: ١٥-١٧).

فمهما طغوا وتجبروا وعاندوا، وآذوا النبي ﷺ وأصحابه فإن مآلهم إلى الخسران والبوار.

وتلك بشارة للنبي ﷺ ولأصحابه، بأن كيدهم في ضلال وأن العاقبة للمتقين.

وحين تنغلق الشدائد يأتي الفرج من الله، فأنزل الله على نبيه سورة يوسف بشارة له وتسلية لتؤكد العاقبة للمرسلين وأتباعهم.

نزول سورة يوسف:

عن سعد بن أبي وقاص: في قول الله عز و جل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف، الآية: ٣) قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلا عليهم زمانًا فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله عز وجل: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تلا إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فتلا عليهم زمانًا[1].

في الوقت الذي كان رسول الله ﷺ يعاني من صدود المشركين وتعذيبهم لأصحابه، قص الله على نبيه الكريم قصة أخ له كريم- يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم- عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين- تلك القصة التي عانى يوسف عليه السلام أصنافًا من المحن والابتلاءات: محنة كيد الإخوة. ومحنة الخوف والترويع. ومحنة الرق وهو يباع ويشترى، لا حماية ولا رعاية. وفتنة الإغراء، ومحنة كيد امرأة العزيز والنسوة، ومحنة السجن بعد رغد العيش في قصر العزيز. ثم محنة الرخاء والسلطان، ومحنة المشاعر الانسانية وهو يلقى بعد ذلك إخوته الذين كانوا السبب لهذه المحن كلها.

---

(١) المستدرك (٢/ ٣٧٦) ٣٣١٩صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط - (١٤/ ٩٢) ٦٢٠٩.

هذه المحن والابتلاءات التي صبر عليها يوسف- عليه السلام- ودعا إلى التوحيد من خلالها، وخرج منها كلها متجردًا من نوازع النفس البشرية، وفي لحظة الانتصار والتمكين وتحقق تأويل الرؤيا يتوجه إلى الله بإخلاص وتجرد ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ (يوسف، الآية: ١٠١).

وهكذا كان دعاؤه الأخير، وهو في الملك والرخاء، أن يتوفاه ربه مسلمًا، وأن يلحقه بالصالحين.. تلك أمنية الأتقياء.

فكانت قصة ذلك النبي الكريم، مما يتنزل على رسول الله ﷺ والصحابة، تسلية، وتطمينًا وتثبيتًا للمعذبين، وإن فرجهم قريب بالهجرة إلى أرض فيها النصر والتمكين مهما كان الخروج محزنًا، كما أخرج يوسف من حضن أبيه، ليواجه تلك المصاعب كلها. ثم ينتهي إلى النصر والتمكين: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف، الآية: ٢١).

فهؤلاء الصحابة الذين يعذبون ويضطهدون في دينهم ستكون لهم العاقبة، فإن مع العسر يسرًا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ

ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ (يوسف، الآيات: ١٠٩-١١١).

فسنة الله الخالدة أن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، كما استيأس يوسف في محنته جاءه الفرج المحبوب!.. فالمخرج من البلاء، بالتقوى وبالصبر تفتح أبواب الأمل.

باب أمل:

نزول هذه الآيات باب أمل للمؤمنين، وللرسول ﷺ، فكانت على قلوبهم بردًا وسلامًا، وبلسمًا يمسح كل أنواع العناء ودواء لكل الجراحات التي أصابتهم في سبيل الله، فالظلم والاضطهاد والتعذيب والتضييق في كل مكان وتحت كل حجر وفي كل زاوية، فالسياط الملتهبة من حر الظهيرة، والنار التي تكوى بها الأعضاء، والأغلال التي تصفد بها الأيدي والأرجل، آية من القرآن تطفيء تلك المعاناة، تللك القلوب المؤمنة التي رضيت بالله ربًا وبالاسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا، يهون لديها العذاب حين ترى نبيها، والآيات تنزل من السماء تدافع عنهم، وتعدهم وتصبرهم وتتوعد أعداءهم، ترى النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحمل همهم فيحزنه واقعهم.

نزول سورة الزمر:

سورة الزمر تؤكد وجوب التوحيد. وتغرس في القلب حقيقةالاخلاص والتوحيد، وتنفي عنه كل ما يضاد التوحيد.

فالإخلاص في العبادة، أول أمر افتتحت به السورة: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ (الزمر، الآيات: ١-٣).

فما عليه المشركون من عبادة الأصنام واتخاذها شفعاء ضلال وشرك ووثنية قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤﴾ (الزمر، الآيتان: ٤٣، ٤٤).

ويأتي الأمر للنبي ﷺ بالتوحيد: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ (الزمر، الآيتان: ١١، ١٢).

ونهي النبي ﷺ عن الشرك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ (الزمر، الآية: ٦٥).

وضرب الله مثلا للمؤمن والمشرك قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (الزمر، الآية: ٢٩).

وبشر الله عباده الموحدين المضطهدين في دينهم قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨) وقال الله تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الزمر، الآية: ٦١).

وتأتي الآيات في التذكير بمآل الكفار واثبات اليوم الآخر قال الله تعالى: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ (الزمر، الآيتان: ١٥، ١٦).. وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

(الزمر، الآيات: ٢٤-٢٦).

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الزمر، الآية: ٦٠).

وتبين الآيات الأدلة على التوحيد من المخلوقات التي تدل على وحدانية الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الزمر، الآية: ٢١).

وتبين الآيات قدرة الله على عباده قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الزمر، الآية: ٤٢).

وتأتي الآيات تؤكد صحة القرآن قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ (الزمر، الآية: ٤١).

وما ضربه الله من الأمثال في هذا القرآن هداية للبشرية قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الزمر، الآيتان: ٢٧، ٢٨).

هذا القرآن الذي نزل هداية للبشرية قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الزمر، الآية: ٢٣).

ويأتي الحوار مع هؤلاء المكذبين قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الزمر، الآيات: ٣٤-٤٠) فلماذا التكذيب والعناد والصدود؟!!

نزول سورة الأنعام:

هذه السورة تدعو إلى توحيد الألوهية، واخلاص العبودية، وابتدأت بحال الكفار وماهم عليه من الشرك، وبيان علم الله تعالى بعباده: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام، الآية: ٣).

فالله سبحانه هو الخالق. والله هو الرازق. وهو المالك وهو العليم فيجب صرف العبودية له سبحانه وحده لا شريك له.

وجاءت الآيات لتبين صدود الكفار وبعدهم عن التصديق مهما جاءتهم الآيات: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ (الأنعام، الآيتان: ٤، ٥).

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنعام، الآيات: ٣٣-٣٥).

جاءت الآيات لتواسي النبي – عليه الصلاة والسلام – حين كذبوه و أحزنوه بكفرهم وضلالهم وعنادهم وصدودهم

عن علي رضي الله عنه قال قال: أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام، الآية: ٣٣) [١].

وتعنتوا بطلب الآيات والمعجزات فقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا

(١) سنن الترمذي ٣٠٦٤ وضعفه الألباني.

لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾ (الأنعام، الآيات: ٧-١١) ورد الله عليهم قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧ ﴾ (الأنعام، الآية: ٣٧).

وبين القرآن أنهم إذا جاءتهم الآيات قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝١١١ ﴾ (الأنعام، الآية: ١٠٩-١١١).

فما تنفعهم الآيات، والنذر لما في قلوبهم من الضلال والعناد والصدود والاستكبار.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ۝١٢٤ ﴾ (الأنعام، الآية: ١٢٤) عناد وصدود وتعنت وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد ضعفاء الصحابة رضي الله عنهم فنهى الله نبيه عن طردهم وابعادهم.

عن سعد بن أبي وقاص في هذه الآية ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ (الأنعام، الآية: ٥٢) قال: نزلت في خمس من قريش أنا و ابن مسعود فيهم فقالت قريش للنبي ﷺ: لو طردت هؤلاء عنك جالسناك تدني هؤلاء دوننا فنزلت: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1].

فما يصدر من المشركين من استهزاء وتهكم بالمؤمنين إنما هو لزيادة العذاب عليهم أما أهل الايمان فإن لهم الرحمة من ربهم.

ويأتي الأمر للنبي ﷺ برفض عبادة المشركين، وبيان أن التوحيد هو الحق المبين. فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الأنعام، الآيتان: ٥٦، ٥٧) وبين القرآن أن طاعة المشركين فيما يدعون إليه من الكفر والشرك ضلال وخسران قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(١) المستدرك (٣/ ٣٦٠) ٥٣٩٣ وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (الأنعام، الآيات: ١١٤-١١٧) وجاء الوعيد والتهديد للمكذبين وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الأنعام، الآيتان: ٤٠، ٤١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الأنعام، الآيات: ٤٦-٤٩).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأنعام، الآية: ٦٥).

ونهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام عن مجالسة المشركين والتفرغ للعبادة والذكر وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنعام، الآية: ٦٨).

وأمره بالتمسك بالوحي وقال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنعام، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧).

ونهاه عن سب آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله عَدوًا بغير علم قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الأنعام، الآية: ١٠٨).

وقد وصف الله كتابه العزيز بالصدق والحق أنزله على قلب رسوله ﷺ هداية للبشرية وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (الأنعام، الآية: ٩٢).

وجاءت الآيات بوصف الموحدين وما لهم من الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام، الآية: ٨٢).

فشق على الصحابة فعن عبد الله، قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ أينا لم يظلم نفسه فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان، الآية: ١٣).[1]

فالذين يضطهدون اليوم لهم الأمن يوم القيامة ببركة التوحيد وسيكون لهم الأمن في الدنيا وتلك بشارة لهم.

وهو سبحانه المشرع لعبادة، فلا تحليل ولا تحريم، لأحد فالتحليل والتحريم من خصائص الألوهية، فما كان عليه أهل الجاهلية في أمر الأنعام

(١) صحيح البخاري برقم ٣٢ وصحيح مسلم برقم٣٤٢.

والذبائح والنذور أمر باطل، وما شرعوه في شأن الأنعام والثمار، والنذور منها ومن الأولاد كله مخالف للتوحيد، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام، الآية: ١٤٤).

ويؤمر النبي ﷺ أن يعلن منهجه وعقيدته في الحياة وما يحياه في الدنيا ويموت عليه وهو التوحيد الخالص.

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (الأنعام، الآيات: ١٦١-١٦٤).

القرآن يعرض الحياة النبوية:

المتأمل لما نزل من القرآن في مكة على النبي ﷺ، يجد الوصف الدقيق للحياة النبوية الكريمة في مكة، وكيف كان الجهد النبوي في الدعوة، وما يحمله النبي عليه الصلاة والسلام من الهم في تبليغ الدعوة، وما يحزنه من صدود المشركين وتكذيبهم، فالآيات توضح النفس النبوية، وماكانت عليه من الآلام المتتابعة، في تكذيب المشركين وحربهم على الدعوة، واضطهاد أصحابه وتعذيبهم، مع ما يحمله النبي عليه الصلاة والسلام من الرحمة لهم، وما يتصف به من التفاؤل والأمل واليقين والثقة بوعد الله تعالى.

نزول سورة لقمان:

هذه السورة توجب اثبات التوحيد، وعبادة الله وحده لاشريك له وشكر نعم الله. والايمان بالآخرة وما فيها.

فالقرآن الحكيم، هداية ورحمة للمحسنين. وهؤلاء المحسنون هم: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ (لقمان، الآية: ٤) وتقرر الإيمان بالآخرة.

وتذكر حال فريق من الناس يشتري لهو الحديث وهو الغناء والمعازف ليضل عن سبيل الله بغير علم، ويتخذ تلك الآيات هزوًا ولعبًا. وهؤلاء متوعدون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان، الآية: ٦) فقد كانت حياة الكفار مع

شركهم وكفرهم، أنهم غافلون مع المعازف والقينات، ثم تذكر الآيات حال هذا المكذبين من قريش: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ٧).

وتذكر الآيات حال المؤمنين في الآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (لقمان، الآيتان: ٨، ٩) هؤلاء المؤمنين الذين يضطهدون في دينهم ويعذبون ويؤذون لإسلامهم لهم الجزاء الأوفى يوم القيامة.

وتذكر الآيات مايدل على الوحدانية في هذا الكون: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ١٠).. ويأتي التقريع للمشركين المكذبين كيف لا يؤمنوا وهم يرون الآيات، ومادور آلهتهم التي يعبدونها: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ١١).

وتذكر الآيات حال الموحدين في قصة لقمان الحكيم.. ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ التي تتلخص في الشكر لله تعالى الذي من لوازمه التوحيد: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾.

وتذكر الآيات وجوب تربية الأولاد على التوحيد. فوصايا لقمان تقرر التوحيد: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾.. وتؤكد الآيات حق الأبوين: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ ويقرن الشكر لله بالشكر لهذين الوالدين، فيقدمها عليها: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

ويقرر أن عقيدة التوحيد، هي الرابطة الأساسية، المقدمة على روابط النسب: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾. ويقرر مع ذلك الإيمان بالآخرة: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فقد ابتلي بعض الصحابة رضي الله عنهم بتسلط والديه عليه ودعوته إلى الكفر بعد الايمان، فرسم القرآن طريق التعامل معهم.

عن سعد قال - حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب. قالت زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا. قال مكثت ثلاثًا حتى غشى عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل فى القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى ﴾ وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].

---

(١) صحيح مسلم ٦٣٩١.

وتقرر الآيات بالنظر في مخلوقات الله ونعمه الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ (لقمان، الآية: ٢٠).

وتذكر الآيات مجادلة المشركين بغير علم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان، الآية: ٢٠).

وتذكر الآيات موقف الكفار وثباتهم على ضلال آبائهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (لقمان، الآية: ٢١).. وهو ضلال وعناد فجاء الإنكار عليهم: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان، الآية: ٢١)..

وتذكر الآيات الجزاء للمؤمنين الصادقين في الآخرة: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ (لقمان، الآيتان: ٢٢، ٢٣). فلا تحزن أيها النبي على من كفر وجحد فمرجعه إلى الله تعالى.

ويأتي الوعيد والتهديد للمكذبين فهم يمتعون في الدنيا: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ (لقمان، الآية: ٢٤).

وتأتي الآيات بتقرير توحيد الألوهية باعترافهم بالربوبية ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (لقمان، الآية: ٢٥).

وتوجه الآيات النفوس إلى التفكر في آيات الله الكونية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ٢٩). فتلك دليل على التوحيد: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ٣٠).

وتذكر الآيات الكفار بنعمة من نعم الله عليهم ذلك الفلك الذي يجري بهم في البحر: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ (لقمان، الآية: ٣١) ويذكر إخلاصهم في الشدة وكفرهم في الرخاء: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ٣٢).

ويذكرهم أن صلة النسب لا تغني شيئًا عن أحد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ٣٣).

وتقرر الآيات اختصاص الله بهذه الخمس: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (لقمان، الآية: ٣٤).

كانت هذه السور من القرآن زادًا للنبي ﷺ في دعوته وقد اشتد عليه المشركون في الايذاء والتكذيب والعناد، فكانت عزاء وتصبيرًا وتسلية له.

نزول سورة الفلق:

أمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ برب الفلق، وهو الصبح لأنه يفلق عنه الليل ويفرق والاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام بالله تعالى، من شرجميع المخلوقات، ومن شر الليل إذا أقبل بظلامه، ومن شر السواحر إذا رقين ونفثن في العقد، فهن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها، ومن شر الحاسد، والحسد تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، فأمرنا أن نستعيذ من شر الحاسد إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشرّ بالمحسود، ومن الحسد العين، وهي حق يستعاذ منها، فهي تدخل الرجل القبر والجمل القدر.

نزول سورة الناس:

أمر النبي ﷺ بالاستعاذة برب الناس، الذي ربى عباده ونقلهم من حال إلى حال إلى حد التمام، وهو مالكهم ومصلحهم، والناس مأخوذ من النوس وهو الحركة فكل ما يتحرك فهو من الناس، فهو سبحانه رب العالمين، وهو سبحانه الإله الحق الذي يجب أن تصرف له العبادة له وحده لا شريك له، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش، ولا يألوه جهدًا في الخبال، والمعصوم من عصم الله، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهو الخناس الذي يهرب عند الذكر، فالشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فهو الوسواس الخناس.

فهو يوسوس في صدور الناس من الجن والإنس، من شياطين الإنس والجن، وشياطين الإنس أعظم جرمًا وأشد خطرًا، فإن شيطان الإنس إذا ذكر الله لا يفر، بل يبقى يجلب بإغوائه البشر، نسأل الله السلامة من شياطين الجن والإنس.

السنة الخامسة من البعثة:

بدأ الإيذاء لأصحاب رسول الله ﷺ والإعتداء عليهم، يزيد ويتعدد حتى شمل مكة كلها، وكان مما نزل من القرآن سورة الزمر وهي تشير إلى اتخاذ سبيل للهجرة، وتعلن بأن أرض الله لا تضيق بالمؤمنين ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ (الزمر، الآية: ١٠).

الإسراء والمعراج:

في السنة الخامسة [1] من الهجرة أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ثم

---

(١) قال النووي في شرح على مسلم (٢/ ٢٠٩) قال الزهري كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين وقال ابن إسحاق أسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل، وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق اذ لم يختلفوا أن خديجة .صلت معه ﷺ بعد فرض الصلاة عليه ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل بثلاث سنين وقيل بخمس، ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء. قال ابن عبدالبر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/ ٤٨)أجمعوا أن فرض الصلاة إنما كان في حين الإسراء واختلفوا في تاريخ الإسراء فقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي في تاريخه ثم أسري بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرًا - قال أبو عمر لا أعلم أحدًا من أهل السير قال ما حكاه الذهبي، ولم يسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم منهم، ولا رفعه إلى من يحتج به عليهم، وقال أبو إسحاق الحربي فلما كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة أسري برسول الله ﷺ وهو قول موسى بن عقبة، واختلف في ذلك عن ابن شهاب..فعن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال ثم أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة، وفرض الله عليه الصلاة قال أبو عمر هكذا قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة - قال أبو عمر وذلك بعد مبعثه بسبع سنين، أو باثنتي عشرة سنة على حسب اختلافهم في مقامه بمكة بعد مبعثه، فعن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة، قال ابن شهاب وذلك بعد مبعث النبي ﷺ بسبعة أعوام وخالفه الوقاصي عن ابن شهاب فقال أسري به بعد مبعثه بخمس سنين، فعن عثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال فرضت الصلاة بمكة بعد ما أوحى الله إلى النبي ﷺ بخمس سنين، وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر وفرضت الزكاة والحج بالمدينة، وقال ابن إسحاق أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس وقد فشا الإسلام بمكة وفي القبائل كلها، قال يونس بن بكير وغيره عن ابن إسحاق ثم إن جبريل أتى النبي ﷺ حين افترضت عليه الصلاة يعني في الإسراء، فهمز له بعقبه في الوادي فانفجرت عين ماء مزن، فتوضأ جبريل ومحمد ينظر فوضأ وجهه واستنشق ومضمض ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين ونضح فرجه ثم قام يصلي ركعتين وأربع سجدات فرجع رسول الله ﷺ، وقد أقر الله عينه

عرج به إلى السماء

عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فرج عن سقف بيتي بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من

وطابت نفسه وجاءه ما يحب من أمر الله تعالى فأخذ بيد خديجة ثم أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة ثم كان هو وخديجة يصليان سواء - قال أبو عمر هذا يدلك على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام، لأن خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقد قيل بثلاثة أعوام، وقيل بأربع سنين، وقد ذكرنا القائلين بذلك في باب خديجة من كتاب الصحابة. وقال ابن رجب في فتح الباري (٢/ ٣٠٧) قيل: كان بعد البعثة بخمس سنين، ورجحه بعضهم، قال: لأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف إنها توفيت قبل الهجرة بمدة، قيل بثلاث سنين، وقيل: بخمس، وقد اجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء.وروى الزبير بن بكار، بإسناد ضعيف، عن يونس عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة. وفي إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض (١/ ٣٢٥)وقال الزهرى: كان ذلك بعد مبعث النبى ﷺ بخمس سنين، وقال ابن إسحاق: أسري به وقد فشى الإسلام بمكة والقبائل وأشبه هذه الأقاويل قول الزهرى وابن اسحق، إذ لم يختلفوا أن خديجة صلت معه. وقال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٤) قال الزهري: كان ذلك بعد مبعث النبي - ﷺ - بخمس سنين، وهذا أشبه ؛ لأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس. وقد أجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء.

ويدل على ذلك عدة أمور:

١- سؤال جعفر عن الصلاة في السفينة في هجرتهم إلى الحبشة فعن ابن عمر عن جعفر:أن النبي ﷺ أمره أن يصلي في السفينة قائماً ؛ إلا أن يخشى الغرق.قال الألباني:وفيه الرجل الذي لم يسم، وبقية رجاله ثقات، وإسناده متصل - كما قال الهيثمي وهو حسن

٢- حديث ابن مسعود في تحريم الكلام في الصلاة بعد قدومه من الحبشة فقد روى الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٥٥)عن أبي وائل قال: قال عبد الله: كنا نتكلم في الصلاة ونأمر بالحاجة ونقول السلام على جبرائيل عليه السلام وميكائيل وكل عبد صالح يعلم اسمه في السماء والأرض. فقدمت على النبي ﷺ من الحبشة وهو يصلي فسلمت عليه فلم يرد علي فأخذني ما قدم وما حدث. فلما قضى صلاته قلت: يا رسول الله، أنزل في شيء؟ قال: «لا ولكن الله يحدث من أمره ما يشاء»

٣- نزول سورة النجم قبل الهجرة الأولى إلى الحبشة أوفي إثنائها لرجوع الصحابة بعد سجود المشركين، وسورة النجم فيها ذكر الاسراء.

٤- نزول سورة الاسراء قبل الهجرة إلى الحبشة فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال في بني إسرائيل والكهف ومريم إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي، صحيح البخاري ٤٧٠٨، وهذا يدل أن الإسراء من أول مانزل من القرآن.ومعنى تلادي مما حفظته قديمًا وذلك قبل هجرته إلى الحبشة.

ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه».

ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار«وهو البراق يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه:ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس، فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إمامًا: ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد ﷺ. قال: أرسل إليه؟ قال: نعم. ففتح».

«فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح».

قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله، نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح". فأتيت على يحيى وعيسى عليهما السلام وهما ابنا الخالة فقال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما: فردا السلام ثم: قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح:.

ثم صعد بي:حتى: أتينا السماء الثالثة فمثل ذلك.

فأتيت على يوسف عليه السلام قال: هذا يوسف فسلمت عليه فرد السلام: وقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح:.

ثم صعد بي: حتى: أتينا السماء الرابعة فمثل ذلك.

فأتيت على إدريس عليه السلام قال: هذا إدريس فسلمت عليه. وقال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

ثم صعد بي حتى:أتينا السماء الخامسة فمثل ذلك.

فأتيت على هارون عليه السلام قال: هذا هارون فسلمت عليه. قال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

ثم صعد بي: حتى أتينا السماء السادسة فمثل ذلك ثم أتيت على موسى عليه السلام قال: هذا موسى فسلمت عليه فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

فلما جاوزته بكى. قيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر، وأفضل مما يدخل من أمتي.

ثم صعد بي: حتى أتينا السماء السابعة فمثل ذلك.

فأتيت على إبراهيم عليه السلام، فقال: هذا أبوك: إبراهيم فسلمت عليه: قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح.

قال: "ثم رفع إليَّ البيت المعمور، فسألت جبريل عليه السلام؟ فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه، لم يعودوا فيه آخر ما عليهم.

ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل قال: فأخذت اللبن. قال: هذه الفطرة أنت عليها وأمتك.

قال: "ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. فقال: هذه سدرة المنتهى، وإذا في أصلها أربعة أنهار: نهران

باطنان ونهران ظاهران فسألت جبريل؟ فقال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالفرات والنيل".

فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟

قال: ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبائل وفي رواية: جنابذ: اللؤلؤ وإذا ترابها المسك".

"ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام". "ففرض الله على أمتي خمسين صلاة.، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض عليهم: خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك.

فرجعت فراجعت ربي: فراجعني فوضع شطرها.

قال: فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها.

فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك

قال: فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لديَّ.

قال: فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربي[1]".

وعن ابن عباس قال:أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم.

---

(١) صحيح البخاري ٣٤٩ و ١٦٣٦ و ٣٢٠٧ و ٣٣٩٣و ٣٣٤٢ وصحيح مسلم ٢٦٣ ومسند أحمد ١٢٣٠١ و١٢٦٧٣ و١٧٨٣٣ و١٧٨٣٥في روايات متعددة.

فقال ناس: نحن نصدق محمدًا بما يقول؟! فارتدوا كفارًا فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمنوا به، وصدقوه وسعى رجال من المشركين بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق[٢] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**»[٣].

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فظعت بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي**» قال: فقعد معتزلا حزينًا، فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**» قال: ما هو؟ قال: «**إنه أسري بي**

---

(١)مسند أحمد ٣٥٤٦ وهو حسن.

(٢) المستدرك (٣/ ٦٥) ٤٤٠٧ وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣)مسند أحمد ١٥٠٣٤ وصحيح البخاري ٣٨٨٦ و ٤٧١٠ وصحيح مسلم ٢٧٦ وسنن الترمذي ٣١٣٣.

الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**»؟ قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**» قال: فلم يره أنه يكذبه، مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**». فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله ﷺ: «**إني أسري بي الليلة**»، قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ " قال: «**نعم**» قال: «**فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه، متعجبًا للكذب زعم**» قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد، ورأى المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «**فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت**»، قال: «**فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال أو عقيل فنعته، وأنا أنظر إليه**»، قال: «**وكان مع هذا نعت لم أحفظه**» قال: «**فقال القوم: أما النعت فو الله لقد أصاب**» (١).

هل رأى رسول الله ﷺ ربه؟

قال عبد الله بن شقيق: قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله لسألته! قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله: هل رأى ربه عز وجل؟ قال: فإني قد سألته؟ فقال: «**قد رأيته نورًا أنى أراه**»(٢)؟!.

وعن ابن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح**»(٣).

---

(١) مسند أحمد٢٨١٩ وهو صحيح وحسنه الحافظ في الفتح ٧/ ١٩٩ وصححه الالباني.

(٢) مسند أحمد ٢١٣٩٢ و ١٧٥ وصحيح مسلم ١, ٢٩٢.

(٣) مسند أحمد ٣٨٦٢ واسناده حسن.

وعن عبد الله قال: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (النجم، الآية: ١٨) قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح[١].

وعن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود أنه قال في هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (النجم، الآية: ١٣): قال رسول الله ﷺ: **«رأيت جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل: الدر والياقوت»**[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (النجم، الآية: ١٣) قال: رأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق[٣].

نزول سورة النجم[٤]:

هذه السورة تؤكد وجوب التوحيد، وتبين صدق الوحي ورسالة النبي ﷺ، وضلال عقيدة الشرك، فالوحي حق وصدق، وتؤكد تلقي الرسول ﷺ الوحي عن جبريل عليه السلام.

وتؤكد الآيات ما رآه النبي ﷺ في ليلة المعراج من الآيات البينات ورؤية جبريل عليه السلام على صفته.

والآيات توضح عقيدة المشركين في أصنامهم: اللات والعزى ومناة. واعتقادهم في الملائكة. أنها بنات الله. واعتمادهم على الظن الذي لا يغني من الحق شيئًا.

---

(١) صحيح مسلم ٢٨٢ والمعجم الكبير للطبراني ٩٠٥٥. وفي رواية لمسلم ٢٨١: ذكر قوله تعالى: -مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى.

(٢) مسند أحمد ٣٧٤٨قال الألباني إسناده حسن.

(٣) صحيح البخاري ٤٨٥٨.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

والرسول ﷺ يدعوهم إلى التوحيد عن علم ويقين.

وترشد الآيات الرسول ﷺ بالإعراض عمن يتولى عن ذكر الله، ويشغل نفسه بالدنيا وحدها، و لا يعد للآخرة.

وتشير الآيات إلى الآخرة وما فيها من الجزاء والحساب، وتدل الآيات على علم الله بالخلق، منذ أنشأهم من الأرض، ومنذ كانوا أجنة في بطون أمهاتهم. فهو أعلم بهم من أنفسهم، وعلى أساس هذا العلم يكون حسابهم وجزاؤهم، ويصير أمرهم في نهاية الأمر.

فليس للإنسان إلا ما كان يعمله، ومرجعه إلى ربه الذي يقلب حاله من العسر إلى اليسر والشدة إلى الرخاء ومن الحياة إلى الموت

و قد خلق الخلق من ماء الرجل والمرأة، وهو سبحانه يعيده يوم القيامة، وهو سبحانه الذي أهلك الأمم المكذبة.

والآخرة أقرب إلى الناس من كل شي، فما في القرآن حق وعدل وهو ذكرى للمؤمنين وحجة على الكافرين والواجب على البشر الإيمان بالرسول الخاتم وقبول ما جاء به من التوحيد والهدى.

نزول سورة الإسراء[1]:

تبدأ السورة بتسبيح الله وتنتهي بحمده، وتركز الآيات على الرسول ﷺ وموقف المشركين منه في مكة، وما كانوا عليه من التكذيب والعناد، والاستهزاء بدعوة النبي ﷺ.

فتبدأ السورة بذكر الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ مع ذكر الحكمة من الإسراء ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فكانت رحلة الاسراء والمعراج، ليرى النبي ﷺ من آيات ربه الكبرى، ولتثبيت قلبه.

وتذكر الآيات كتاب موسى وما قضى الله فيه لبني إسرائيل، من الهلاك والتشريد مرتين، بسبب طغيانهم، وإفسادهم في الأرض مع إنذارهم بثالثة ورابعة ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

وتؤكد الآيات هداية هذا القرآن الذي أنزل على قلب محمد ﷺ: «**يهدي للتي هي أقوم**» والإنسان عجول في تصرفاته ما لم يضبط نفسه بضابط الشرع. والهداية والضلالة، بيد الله تعالى وللإنسان إختيار ومشيئة، ومن رحمة الله بعباده بعثة الرسل لهدايتهم.

وتبين الآيات عقيدة المشركين في نسبة البنات والشركاء إلى الله، وعن

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

استبعادهم للبعث، وعن استقبالهم للقرآن وتقولهم على الرسول ﷺ، ويؤمر المؤمنون أن يقولوا الحق، ويتكلموا بالتي هي أحسن.

ولم يرسل الله محمدًا ﷺ بالمعجزات فقد كذب الأولون بها، فحق عليهم الهلاك إتباعًا لسنة الله في إهلاك المكذبين.

وتذكر الآيات موقف المشركين من إنذار الله لهم في رؤيا الرسول ﷺ وتكذيبهم وطغيانهم.، وهي رؤياه للآيات في الإسراء والمعراج.

وتذكر الآيات قصة إبليس، وإعلانه الحرب على ذرية آدم، وحمله لواء العداوة والإغواء.

وتؤكد الآيات تخويف البشر من عذاب الله، وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان، وما ينتظر الموحدين والمكذبين: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

وتذكر الآيات كيد المشركين للرسول ﷺ ومحاولة فتنته عن الوحي ومحاولة إخراجه من مكة، ولو أخرجوه بدون اختياره- ولم يخرج مهاجرًا بأمر الله- لحل بهم الهلاك الذي حل بالقرى من قبلهم حين أخرجت رسلها.

ويؤمر الرسول- ﷺ - أن يمضي في طريقه، يقرأ القرآن ويصلي، ويدعو الله أن يحسن مدخله ومخرجه، إشارة إلى الهجرة إلى المدينة، وذلك قبل هجرته بثمان سنين، ويعلن مجيء الحق وزهوق الباطل، فالباطل مهما طغى وتجبر فمآله إلى

الزوال والزهوق، وقد تلى هذه الآية عليه الصلاة والسلام وهو يحطم الأصنام يوم الفتح ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾(الإسراء، الآية: ٨١) وذلك بعد ثمان سنين من هجرته وبعد ستة عشر سنة من نزولها. كل ذلك تسلية للنبي ﷺ بأنه منصور ومهاجر وفاتح مكة، وعاش النبي ﷺ على هذا اليقين من وعد الله له حتى رأه بعينه عليه الصلاة والسلام.

وهذا القرآن الذي أرادوا فتنة النبي ﷺ عن بعضه، فيه شفاء وهدى للمؤمنين، بينما الإنسان قليل العلم ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء، الآية: ٨٥).

وتؤكد الآيات عظمة هذا القرآن وإعجازه. بينما هم يطلبون معجزات مادية، ويطلبون نزول الملائكة، ويقترحون أن يكون للرسول بيت من زخرف أو جنة من النخيل والأعناب، يفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو أن يفجر لهم من الأرض ينبوعًا، أو أن يرقى هو في السماء ثم يأتيهم بكتاب مادي معه يقرأونه كل ذلك يدل على التعنت والمكابرة، ولم يكن طلبها للهداية والاقتناع.

وهؤلاء المشركون لو يملكون خزائن رحمة الله- على سعتها وعدم نفادها- لأمسكوا خوفًا من الإنفاق، لما في قلوهم من الشح والبخل، ولم يعلموا ويستشعروا، أن الكون وما فيه يسبح لله، وأن الآيات الخارقة قد جاء بها موسى من قبل فلم تؤد إلى إيمان المتعنتين الذين استفزوه من الأرض، فأخذهم الله بالعذاب والنكال.

وهذا القرآن الذي نزل مفرقًا ليقرأه الرسول عليه الصلاة والسلام على

القوم زمنًا طويلا بمناسباته ووقائعه، وليتأثروا به ويستجيبوا له، والذي يتلقاه الذين أوتوا العلم بالخشوع والتأثر وتختم السورة بحمد الله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل. كما بدأها بتسبيحه وتنزيهه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء، الآية: ٦٠) قال هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القرآن قال هي شجرة الزقوم.[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ (الإسراء، الآية: ٦٠) قال: هي شجرة الزقوم. قال أبو جهل: أيخوفني ابن أبي كبشة بشجرة الزقوم، ثم دعا بتمر وزبد، فجعل يقول: زقمني، فأنزل الله تعالى ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ (الصافات، الآية: ٦٥) وأنزل: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء، الآية: ٦٠)[2].

وعن قتادة، قوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء، الآية: ٦٠) هي شجرة الزقوم، خوف الله بها عباده، فافتتنوا بذلك، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد،

---

(١) صحيح البخاري ٣٨٨٨.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٤/ ٦٤٨).

فتزقموا، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الصافات، الآيتان: ٦٤، ٦٥) إني خلقتها من النار، وعذبت بها من شئت من عبادي [1].

نزول سورة مريم:

هذه السورة تدعو إلى التوحيد وتنهى عن الشرك، ونفي الولد عن الله تعالى، تبدأ السورة بقصة زكريا ويحيى عليهما السلام واستجابة الله لعبده زكريا، لتدخل السرور والتسلية على قلب النبي عليه الصلاة والسلام فهو يعيش أشد المواقف وأصعبها في مواجهة تكذيب المشركين واستكبارهم.

ثم تذكر الآيات قصة مريم ومولد عيسى عليه السلام وكيف خلقه الله تعالى من أم بلا أب وكيف كانت قصة خلق عيسى عليه السلام ونفي اعتقاد النصارى فيه، الذين كان لهم اختلاط بالعرب، ويسمع العرب منهم عقيدتهم بعيسى عليه السلام.

ثم تذكر الآيات قصة إبراهيم مع أبيه، وكيف كان الحوار مع أبيه لترسم طريقًا لحوار الصحابة مع آبائهم وأقاربهم، وكيف فارق ابراهيم عليه السلام أهله وبلده من أجل التوحيد، فهو مثال للأمة.

ثم تذكر الآيات الأنبياء: إسحاق ويعقوب، وموسى وهرون، وإسماعيل، وإدريس. وآدم ونوح.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٤/ ٦٥٠).

وتعرض الآيات لطبيعة الملائكة وعبوديتهم لله تعالى فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت** ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ (مريم، الآية: ٦٤) **الآية**»[1]. فالملائكة يأتمرون بأمر الله تعالى.

وتعرض الآيات لقصة خباب رضي الله عنه مع العاص بن وائل، فعن خباب قال كنت قينًا بمكة فعملت للعاصي بن وائل السهمي سيفًا فجئت أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد قلت لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك قال إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ (مريم، الآيتان: ٧٧، ٧٨).

وعن خباب قال كنت قينًا في الجاهلية وكان لي دين على العاصي بن وائل قال فأتاه يتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال والله لا أكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدًا فأقضيك فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ (مريم، الآية: ٧٧)[2].

---

(١) صحيح البخاري ٣٢١٨.

(٢) صحيح البخاري ٤٧٣٣-٤٧٣٤.

فكان الكفار من قريش لايؤمنون بالبعث بعد الموت، فجاءت الآيات لاثبات البعث والنشور وابطال ماكانوا يعتقدون

وتعرض الآيات ما عليه الكفار من الاستهزاء بالمؤمنين، والغرور بأنفسهم وأموالهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ (مريم، الآية: ٧٣).

فهم في الدنيا يتنعمون بها لكن مآلهم في الآخرة العذاب الأليم حينئذ يعلمون سوء مكانهم ومكانتهم وسيظهر لهم عز المؤمنين وعلو مكانتهم فأهل الضلالة والشرك يزدادون ضلالا وشركًا وكفرًا وأهل الهداية يزدادون هداية ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ (مريم، الآيتان: ٧٥، ٧٦).

ويأتي التوجيه للنبي ﷺ وأصحابه بلزوم عتبة العبودية، والصبر على ذلك ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ (مريم، الآية: ٦٥).

وتوضح الآيات ما عليه الكفار من الشرك واتخاذ الأصنام ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ (مريم، الآيتان: ٨١، ٨٢).

وتأتي الآيات موضحة عظمة الله تعالى، ونفي الولد والشريك عنه تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وتبين الآيات أن أهل الإيمان الذين ينبذهم المشركون ستكون لهم المحبة في قلوب الناس وتكون لهم حسن العاقبة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (مريم، الآية: ٩٦).

وأما هؤلاء الكفار المغترين بقوتهم وجبروتهم قد أهلك الله قبلهم، من هم أشد منهم قوة وأكثر جمعا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾ (مريم، الآية: ٩٨).

***

الهجرة إلى أرض الحبشة

سبب الهجرة:

١- إيذاء قريش وعدوانها.

لما كثر المسلمون، وظهر الإيمان أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم، يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم. قال: رسول الله ﷺ لمن آمن به: «**تفرقوا في الأرض، فإن الله تعالى سيجمعكم**». قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «**ها هنا**»، وأشار بيده إلى أرض الحبشة، فهاجر إليها ناس ذوو عدد، منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، حتى قدموا أرض الحبشة (١).

قالت أم سلمة: "لما ضاقت مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا مايصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعه من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن بأرض الحبشة ملكًا لا يظلم أحد عنده، فألحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه، فخرجنا إليها إرسالا حتى اجتمعنا بها**»(٢).

وعن أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة،

---

(١) مصنف عبدالرزاق (٥/ ٣٨٤) ٩٧٤٣.

(٢) سنن البيهقي (٩/ ٩) و(الدلائل) (٢/ ٣٠١) وسنده صحيح انظر: السيرة لابن كثير ١/ ١٧،، وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٥٧٧).

وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليَّ، وهو على شركه، قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا، قالت: فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله، قالت: فقلت: نعم والله لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا مخرجًا، قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه، - فيما رأى - خروجنا قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله: لو رأيت عمر آنفًا ورقته وحزنه علينا، قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: نعم، قال: فلا يسلم الذي رأيت، حتى يسلم حمار الخطاب، قالت: يأسًا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام[1].

٢- الفرار بالدين.

الفرار بالدين خشية الفتنة من أسباب الهجرة إلى الحبشة، فالإيمان أغلى ما يملكه الإنسان، فخرج المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله بدينهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ (الحج، الآية: ٤٠).

٣-نشر الإسلام.

لم يخرج المهاجرون إلى الحبشة لأنفسهم فقط، بل لنشر دعوة الإسلام في أرجاء المعمورة.

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام ١/ ٣٦٥، ورواها الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٢٧٩، و إسناده حسن و مجمع الزوائد ٦/ ٢٤. وقال الهيثمي - بعد سياق القصة -:رواه الطبري، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فهو صحيح.

وكان خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة.

وأن أول من هاجر منهم اثني عشر رجلا، وأربع نسوة، وخرجوا سرًا وانتهوا إلى البحر، ما بين ماش وراكب، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة.

وانقطعت أخبارهم عن النبي ﷺ بعد هجرتهم فترة، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته، قال: على أي حال رأيتهما؟ قالت: رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة، وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ: «**صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط**»[1].

وهم:

١-عثمان بن عفان.

٢-وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

٣-وأبو حذيفة بن عتبة.

٤-وامرأته سهلة بنت سهيل.

٥-والزبير بن العوام.

٦- ومصعب بن عمير.

٧- وعبد الرحمن بن عوف.

---

(١) المستدرك (٤/ ٥٠) ٦٨٤٩و المعجم الكبير للطبراني (١/ ٦١،)١٤١، ورواه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٥ قال الهيثمي وفيه الحسن بن زياد البرجمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد ٩/ ٨٠، ٨١ قال ابن حجر، وأخرجه الفسوي بسند موصول إلى أنس، وسكت عنه الحافظ في الفتح ٧/ ١٨٨ وضعفه الألباني في الضعيفة.

٨- وأبو سلمة بن عبد الاسد.

٩-وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية.

١٠-وعثمان بن مظعون.

١١-وعامر بن ربيعة العنزي.

١٢-وامرأته ليلى بنت أبي حثمة.

١٣-وأبو سبرة بن أبي رهم.

١٤-وحاطب بن عمرو.

١٥- وسهيل بن بيضاء.

١٦-وعبد الله بن مسعود.

رضي الله عنهم أجمعين.

فأقاموا فيها شهرين، وسمعوا أن الإسلام أخذ ينتشر في مكة، فعادوا ولقوا من المشركين أشد مما عهدوا، وقدموا مكة في شوال سنة خمس من البعثة.

وذلك أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم بين قريش، وسجد وسجد معه المسلمون والمشركون.

عن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفا من حصى، أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفيني هذا فلقد رأيته بعد قتل كافرًا[1].

---

(١) صحيح البخاري ١٠٧٠.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس [١].

وذلك في رمضان من السنة الخامسة خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وفيه جمع كبير من قريش فقرا سورة النجم حتى قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾ ثم سجد، فلم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجدًا.

فرجع المهاجرون حين سمعوا بإسلام أهل مكة وذلك في شوال من السنة الخامسة، بسبب سجود المشركين مع النبي ﷺ والمسلمين في سورة النجم، فشاع أن المشركين أسلموا وسجدوا، فرجع من رجع من الحبشة.

وكذلك مشاعر الغربة كانت قاسية عليهم، الأمر الذي جعلهم يرون إيذاء قومهم محتملا إزاء ما كانوا يعانون من غربتهم.

فرجعوا إلى مكة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار وعرفوا حقيقة الأمر، فرجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفيًا، أو في جوار رجل من قريش، واستعد المسلمون للهجرة مرة أخرى، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلًا، وثماني عشرة أو تسع عشرة امرأة.

---

(١) صحيح البخاري، ١٠٧١.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

خرج المهاجرون إلى الحبشة فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلًا، وثماني عشرة أو تسع عشرة امرأة.

وهم:

١- سليط بن عمرو.

٢-أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاربًا عن أبيه بدينه

٣-ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغمة لأبيها فارة عنه بدينها، فولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة.

٤- مصعب بن عمير.

٥-عبد الرحمن بن عوف.

٦-أبو سلمة بن عبد الأسد.

٧-وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية.

٨-عثمان بن مظعون.

٩-عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب.

١٠-وامرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم العدوية.

١١-أبو سبرة أبي رهم العامري.

١٢-وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

١٣-سهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة الفهري.

١٤- جعفر بن أبي طالب.

١٥-وامرأته أسماء بنت عميس، فولدت له هناك بنيه: محمدًا وعبد الله وعونًا.

١٦-عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية.

١٧-وامرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية.

١٧- خالد بن سعيد بن العاص.

١٨-وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع الخزاعية، فولدت له هناك ابنه سعيدًا وابنته أم خالد واسمها أمة بنت خالد.

١٩-عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي.

٢٠- عبيدالله بن جحش.

٢١-وامرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فمات عنها زوجها.

٢٢-قيس بن عبد الله حليف لبني أمية بن عبد شمس.

٢٣-وامرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب.

٢٤-معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي حليف لبني العاص بن أمية.

٢٥-عتبة بن غزوان بن جابر المازني، من بني مازن بن منصور أخي سليم بن منصور، حليف بني نوفل بن عبد مناف.

٢٦-يزيد بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد.

٢٧-عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد.

٢٨-الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد.

٢٩-طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد قصي.

٣٠-سويبط بن سعد بن حرملة، ويقال حريملة، بن مالك العبدري.

٣١-جهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدري.

٣٢-وامرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة من خزاعة، وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بنت جهم.

٣٣-أبو الروم بن عمير أخو مصعب بن عمير.

٣٤-فراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار.

٣٥-عامر بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص.

٣٦-المطلب بن أزهر بن عبد عوف.

٣٧-وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة السهمية، ولدت له هناك عبد الله بن المطلب.

٣٨-عبد الله بن مسعود الهذلي.

٣٩- عتبة بن مسعود.

٤٠-المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراني، ويقال له المقداد بن الأسود لأن الأسود بن عبد يغوث الزهري تبناه وهو حليف له.

٤١-الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

٤٢-و امرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة بن عامر من تيم بن مرة، فولدت له هناك موسى وزينب وعائشة وفاطمة.

٤٣-عمرو بن عثمان بن عمرو التيمي عم طلحة.

٤٤-شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي واسمه عثمان بن عثمان.

٤٥-هبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومي.

٤٦- عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومي.

٤٧-هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٤٨-عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي.

٤٩-معتب بن عوف بن عامر الخزاعي، يعرف بمعتب بن حمراء حليف بني مخزوم.

٥٠-السائب بن عثمان بن مظعون.

٥١- قدامة بن مظعون.

٥٢-عبد الله بن مظعون.

٥٣-حاطب بن الحارث بن معمر الجمحي.

٥٤-وزوجته فاطمة بنت المجلل العامرية، ولدت له هناك محمدًا والحارث ابني حاطب.

٥٥-حطاب بن الحارث بن معمر الجمحي.

٥٦-و زوجته فكيهة بنت يسار.

٥٧-سفيان بن معمر بن حبيب الجمحي، ومعه ابناه جابر وجنادة ابنا سفيان.

٥٨-وزوجته حسنة.

٥٩- شرحبيل بن حسنة، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكندي.

٦٠-عثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح.

٦١-خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي.

٦٢- قيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي.

٦٣-عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي.

٦٤-سعيد بن عمرو أخو بشر بن الحارث بن قيس بن عدي لأمه.

٦٥-هشام بن العاص بن وائل أخو عمرو بن العاص.

٦٦-عمير بن رئاب بن حذيفة السهمي.

٦٧-أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي.

٦٨- الحارث بن الحارث.

٦٩-معمر بن الحارث.

٧٠-سعيد بن الحارث.

٧١-السائب بن الحارث.

٧٢-بشر بن الحارث.

٧٣-محمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم.

٧٤-معمر بن عبد الله بن نضلة العدوي من بني عدي بن كعب.

٧٥-عروة بن عبد العزي بن حرثان العدوي.

٧٦-عدي بن نضلة بن عبد العزى العدوي.

٧٧- النعمان بن عدي بن نضلة بن عبد العزى العدوي.

٧٨-مالك بن ربيعة بن قيس العامري.

٧٩-وامرأته عمرة بنت أسعد بن وقدان بن عبد شمس العامرية.

٨٠-سعد بن خولة من أهل اليمن حليف لبني عامر بن لؤي.

٨١-عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى العامري.

٨٢-عبد الله بن سهيل بن عمرو العامري.

٨٣- سليط بن عمرو.

٨٤-السكران بن عمرو.

٨٥- وامرأته سودة بنت زمعة.

٨٦-أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري.

٨٧-عمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب.

٨٨-عياض بن زهير بن أبي شداد الفهري.

٨٩-عثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد.

٩٠-سعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر الفهري.

وهؤلاء المهاجرين من بطون شتى من قريش، فقد تنوعت بطونهم، واختلفت أحوالهم ومكانتهم في قريش، ففيهم الغنيّ والفقير، والكهل والشّابّ، والرجال والنساء، يدلّ على هدف الدعوة في الهجرة.

وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، وكان أول خروجهم من مكة في شوال من السنة الخامسة من البعثة وتكامل خروجهم في ذي القعدة من السنة الخامسة.

ولما نزل المهاجرون بأرض الحبشة أمنوا على دينهم وأقاموا بخير دار عند خير جار، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ، لما فتن أصحابه بمكة أشار عليهم أن يلحقوا بأرض الحبشة، فخرجنا أرسالا فلما قدمنا أصبنا خير دار، وأصبنا قرارًا وجاورنا رجلا حسن الجوار، وائتمرت قريش أن يبعثوا إليه فينا رجلين جلدين من قريش، وأن يهدوا إليه من طرائف بلادهم من الأدم وغيره، وكان الأدم يعجب النجاشي أن يهدى إليه، وأن يهدوا لبطارقته ففعلوا، وبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، قالت أم سلمة كان عبد الله بن أبي ربيعة أتقى الرجلين، حتى قدموا علينا فلما قدما، قدّما للبطارقة الهدايا ووصفاحاجتهم عندهم، ثم دخلا على النجاشي فقالا أيها الملك إن شبانًا فينا، خرجوا وقد ابتدعوا دينًا سوى دينك، ودين من مضى من آبائنا، ودين لا نعرفه من الأديان فارقوا به أشرافهم وخيارهم وأهل الرأي منهم، فانقطعوا بأمرهم منهم، ثم خرجوا إليك لتمنعهم من عشائرهم وآبائهم، وكانوا هم بهم أعلى عينًا، فارددهم إلينا لنردهم على آبائهم وعشائرهم، فقالت بطارقته صدقوا أيها الملك، فارددهم فهم أعلم بقومهم فغضب النجاشي ثم قال والله ما أفعل قوم نزلوا بلادي ولجأوا إليَّ، قالت أم سلمة فأرسل إلينا فاجتمع المسلمون فقالوا ما تكلمون به الرجل، فقالوا نكلمه بالذي نحن عليه فأرسل النجاشي فجمع بطارقته وأساقفته، وأمرهم فنشروا

المصاحف حوله، فتكلم جعفر بن أبي طالب وقال لهم النجاشي إن هؤلاء يزعمون أنكم فارقتم دينهم، ولم تتبعوا ديني ولا دين اليهود، فأخبراني بدينكم الذي فارقتم به قومكم، فقال جعفر كنا على دينهم وأمرهم فبعث الله إلينا رسولا ﷺ نعرف نسبه وصدقه وعفافه وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر وأمرنا بإقام الصلاة والصيام والصدقة وصلة الرحم، وكل ما تعرف من الأخلاق الحسنة، وتلا علينا تنزيلا لا يشبهه شيء غيره فصدقناه وآمنا به وعرفنا أن ما جاء به هو الحق من عند الله، ففارقنا عند ذلك قومنا فآذونا وقسوا علينا، فلما بلغ منا ما نكره ولم نقدر على الامتناع، أمرنا نبينا ﷺ أن نخرج إلى بلادك اختيارًا لك على من سواك، لتمنعهم من الظلم فقال النجاشي فهل معكم مما نزل عليه من شيء تقرأونه عليَّ، فقال جعفر نعم، فقرأ جعفر كهيعص فلما قرأها عليه، بكى النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال النجاشي والله إن هذا الكلام، والكلام الذي جاء موسى ليخرجان من مشكاة واحدة، ثم قال والله لا أسلمهم إليكما، ولا أخلي بينكم وبينهما، فالحقا بشأنكما قالت أم سلمة فخرجا مقبوحين مردود أمرهما، فقال عمرو بن العاص والله لآتينه غدًا بقول أبتر به خضراءهم، فقال عبد الله بن أبي ربيعة لا تفعل فإن للقوم رحمًا، وإن كانوا قد خالفونا فما نحب أن يبلغ منهم، فلما كان من الغد دخلا عليه فقالا أيها الملك إنهم يخالفونك في عيسى بن مريم ويزعمون أنه عبد فسلهم عن ذلك، قالت أم سلمة فما نزل بنا قط مثلها قالوا قد عرفتم أن عيسى إلهه الذي يعبد، وقد عرفتم أن نبيكم جاءكم بأنه عبد وأن ما يقولون هو الباطل فماذا تقولون؟ فقالوا: نقول بما

جاء من الله ورسوله فأرسل إليهم فدخلوا عليه فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال جعفر: نقول إنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى العذراء البتيل، فأخذ النجاشي عودًا وقال ما عدا عيسى ما تقولون مثل هذا العود قال فنخرت أساقفته فقال: وإن نخرتم اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، يقولون أنتم آمنون من سبكم غرم، ما أحب أني آذيت رجلا منكم، وأن لي دبرًا من ذهب، والدبر بلسانهم الجبل، والله ما أخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي، وما أطاع الله في الناس فأطيعهم فيه، قالت أم سلمة فجعلنا نتعرض لعمرو بن العاص وصاحبه أن يسبانا فيغرمهما فخرجا خائبين، وأقمنا في خير دار وفي خير جوار، فبينا نحن عنده قد آمنا واطمئننا إذ شغب عليه رجل من قومه، فنازعه في الملك فما علمنا أصابنا خوف أشد مما أصابنا عند ذلك فرقًا من أن يظهر ذلك الرجل، فيتبوأ منا منزلنا، ويأتينا رجل لا يعرف منا مثل ما كان يعرف النجاشي، وكنا ندعو ليلا ونهارًا أن يعزه الله ويظهره، فخرج النجاشي سائرًا إلى ذلك الرجل فقلنا من ينظر لنا ما يفعل القوم، فقال الزبير بن العوام أنا وكان أحدثهم سنًا، فأخذ قربة ففتحها ثم ربطها في صدره، ثم وقع في النيل وهو بينه وبينهم، ثم التقى القوم ناحية القصوى فهزم جند ذلك الرجل، وأقبل الزبير حتى إذا كان عند شط النيل ألاح بثوبه، وصرخ أبشروا فقد أعز الله النجاشي وأظهره وكانت أم سلمة تقول فما أذكرني فرحت فرحًا قط مثله حين بدا، أن يقوم قوم يأتوا مكة من غير كره [1].

(١) انظر مسند إسحاق بن راهويه (٤/ ٧٣) برقم١٨٣٥ورجاله ثقات سوى محمد بن إسحاق وقد صرح هنا بالسماع فإسناده حسن به.

السنة السادسة من البعثة:

دخلت السنة السادسة من البعثة، ومضت خمس سنوات من الجهاد والدعوة، مضت تلك السنوات، وسلاح النبي عليه الصلاة والسلام الصبر والفأل والأمل، والدعاء.

دخلت السنة السادسة، وأصحاب رسول الله ﷺ منهم الذي في الحبشة، ومنهم الذي في مكة، وهم يزيدون ولا ينقصون، ويتعلمون العلم والقرآن.

إسلام عمر بن الخطاب:

وهو عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح، بن عبد اللهَّ بن قرط بن رزاح، بن عديّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشي العدوي. أبو حفص أمير المؤمنين. (١)

كان عمر بن الخطاب تؤثر فيه الآيات التي يسمعها، ويعيش في نفسه صراعًا داخليًا حول ما كان عليه آباؤه، وبين ما يدركه عقله من الحق.

وكان خروج المسلمين إلى الحبشة مؤثرًا قويًا عليه، فعن أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه فقالت: وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٨٤).

قلت: نعم والله لنخرجن في أرض من أرض الله - إذ آذيتمونا وقهرتمونا - حتى يجعل الله لنا مخرجًا.

قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا، قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفًا ورقته وحزنه علينا، قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، قالت: يأسًا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام (١).

ووردت قصص متعددة في إسلامه، تدل على تأثره بالقرآن، حتى تشهد شهادة الحق، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله وبحمزة حتى غاظوا قريشًا .

فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه(٢) .

وعن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب (٣).

وقال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا وإن هجرته كانت نصرًا وإن إمارته، كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة، حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه(٤) .

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٢٢) وصحيح السيرة النبوية للألباني(ص: ١٨٩).

(٢) المستدرك (٣/ ٩٠)برقم٤٤٨٧ وصححه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري ٣٦٨٤.

(٤) المعجم الكبير (٨/ ٧٥) برقم٨٧١٨ للطبراني وهو صحيح.

قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة [1].

ولعل ابن مسعود رضي الله عنه، رجع مع من رجع في الهجرة الأولى، ولم يخرج من مكة إلى الحبشة مرة أخرى، إلا بعد إسلام عمر، فيكون خروجه إلى الحبشة لنشر الإسلام، ثم رجع إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وهو يتهيأ للخروج لبدر.

وقال ابن اسحاق وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟

فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر واتبعته أنا حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .

قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٤٣)و دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٢١)و سيرة ابن اسحاق = السير والمغازي (ص: ١٨١).

قال: وطلح [١] فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش - عليه حلة حبرة وقميص موشى - حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صبأ عمر قال: فمه رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فو الله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه.

قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي [٢].

عن عبد الله بن عمر قال بينما هو في الدار خائفًا إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية فقال له ما بالك قال زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت قال لا سبيل إليك بعد أن قالها أمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون فقالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ قال لا سبيل إليه فكر الناس [٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما أسلم عمر اجتمع الناس إليه عند داره وقالوا

---

(١) تعب وأجهد.

(٢) انظر مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٢١) ٩٧١٩ وقال الألباني هذا إسناد جيد قوي في صحيح السيرة النبوية (ص: ١٩٣).

(٣) صحيح البخاري، ٣٨٦٤.

صبأ عمر وأنا غلام فوق ظهر بيتي، فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال قد صبأ عمر فما ذاك فأنا له جار قال فرأيت الناس تصدعوا عنه فقلت من هذا قالوا العاص بن وائل [(١)].

وكان عمر عبدالله بن عمر أربع سنوات، فقد أسلم أبوه في آخر السنة السادسة.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك**»: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب قال: فكان أحبهما إليه عمر [(٢)].

وعن ابن عباس قال: أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب [(٣)].

وعن عمر أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لا أدع مجلسًا جلسته في الكفر إلا أعلنت فيه الإسلام، فأتى المسجد وفيه بطون قريش متحلقة فجعل يعلن الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فثار المشركون فجعلوا يضربونه ويضربهم فلما تكاثروا خلصه رجل، فقلت لعمر: من الرجل الذي خلصك من المشركين؟ قال: ذاك العاص بن وائل السهمي [(٤)].

---

(١) صحيح البخاري ٣٨٦٥.

(٢) سنن الترمذي ٣٧٦٤ وقال: (حديث حسن صحيح) والطبقات لابن سعد (٣ / ٢٣٧) والمستدرك للحاكم (٣ / ٨٣) ومسندأحمد (٢ / ٩٥) وقال الحاكم: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وصححه الألباني.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٢٣٠قال الألباني وإسناده حسن.

(٤) المعجم الأوسط (٢/ ٧٤) للطبراني برقم١٢٩٣ ورجاله ثقات كما قال الهيثمي.

عرض نفسه ودعوته على القبائل في الحج:

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم و بمجنة وبعكاظ، وبمنازلهم بمنى يقول: «من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة»؟، فلا يجد أحدًا ينصره ويؤويه، حتى إن الرجل يرحل من مضر، أو من اليمن، إلى ذي رحمه، فيأتيه قومه، فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع [1].

و عن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «**هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**»، فأتاه رجل من همدان فقال: «**ممن أنت**»؟ فقال الرجل: من همدان قال: «**فهل عند قومك من منعة**»؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم، فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل، قال: «نعم»، فانطلق...الحديث[2].

وعن ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهليًا أسلم، فقال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز، يقول: «**يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا**» ويدخل في فجاجها، والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدًا يقول شيئًا، وهو لا

---

(١) مسند أحمد ١٤٦٥٣ واسناده حسن.

(٢) مسند أخرجه أحمد ١٥١٩٢ وصححه الألباني.

يسكت، يقول: «**أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**» إلا أن وراءه رجلا أحول وضيء الوجه، ذا غديرتين يقول: إنه صابئ، كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب، قلت: إنك كنت يومئذ صغيرًا، قال: لا والله إني يومئذ لأعقل[1].

السنة السابعة من البعثة:

دخلت السنة السابعة من البعثة، وقريش تصد عن سبيل الله، وتؤذي المسلمين، وتعذبهم.

محاولة اغتيال النبي ﷺ:

عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ (سورة يس، الآية: ٩) قال: (سدًا) غطاء (فأغشيناهم) يقول ألبسنا أبصارهم وغشيناهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيؤذونه.

وذلك أن أناسًا من بني مخزوم تواصوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتلوه، منهم: أبو جهل، والوليد بن المغيرة، ونفر من بني مخزوم، فبينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلي، فلما سمعوا قراءته أرسلوا الوليد ليقتله، فانطلق حتى انتهى إلى المكان الذي كان يصلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه، فجعل يسمع قراءته ولا يراه، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك، فأتاه من بعده: أبو جهل،

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في المسند ١٦٠٢٣ وهو صحيح.

والوليد، ونفر منهم، فلما انتهوا إلى المكان الذي هو فيه يصلي سمعوا قراءته فيذهبون إلى الصوت فإذا الصوت من خلفهم فينتهون إليه فيسمعونه أيضًا من خلفهم، فانصرفوا ولم يجدوا إليه سبيلا، فذلك قوله: وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا إلى آخر الآية»[1].

وعن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قال فقيل نعم. فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب - قال - فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته - قال - فما فجأهم منه، إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه - قال - فقيل له ما لك فقال إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً، وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**». قال فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ (العلق، الآيات: ٦-١٣)- يعنى أبا جهل - ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾[2].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٩٦).

(٢) صحيح مسلم ٧٢٤٣ وهو في صحيح البخاري ٤٥٥٨ عن ابن عباس مختصرًا.

دعاء النبي ﷺ على قريش:

عن مسروق قال: قال عبد الله إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾ (الدخان، الآيتان: ١٠، ١١) قال فأتي رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت قال لمضر إنك لجريء فاستسقى فسقوا فنزلت: ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ (الدخان، الآية: ١٥) فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾ (الدخان، الآية: ١٦) قال يعني يوم بدر[١].

نزول سورة الدخان[٢]:

هذه السورة تظهر دلالة الآيات الكونية على التوحيد، وتدعو المكذبين إلى إفرادالله بالعبادة والإيمان بالبعث والرسالة.وتذكر مشاهد القيامة، ومصارع المكذبين،

بدأت السورة بذكر القرآن وإنزاله على محمد ﷺ في ليلة مباركة فيها تقدر المقادير السنوية والله سبحانه قدر مقادير الخلق قبل أن يخلقهم فهو المستحق للعبادة وحده لاشريك له.

---

(١)صحيح البخاري ٤٨٢١.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

وتذكر الآيات حال المكذبين من قريش: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩﴾ (الدخان، الآية: ٩) فهم يعيشون الشك واللعب في حياتهم: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الدخان، الآيتان: ٩، ١٠) فأصابتهم مجاعة فطلبوا من النبي ﷺ كشف العذاب عنهم فكُشف عنهم. وتذكرهم الآيات بأن هذا العذاب لم يأت بعد،، فليستغلوا الفرصة، قبل أن يرجعوا إلى ربهم، فيكون ذلك العذاب المخوف، فإن لم ينتهوا فلهم عذاب في الدنيا يوم بدر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ (الدخان، الآية: ١٦).وفي هذا وعد للنبي ﷺ وبشارة له بهلاك المكذبين وتسلية له، فهم ليسوا أشد من طغيان فرعون حين كذب الرسول فكانت نهايته وهوانه بعد الاستعلاء: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝٢٩﴾ (الدخان، الآيات: ٢٦-٢٩) فهل سيكذبون بالآخرة؟ ويقولون كما يقولون في الدنيا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٣٦﴾ (الدخان، الآيتان: ٣٥، ٣٦)، فهاهي مصارع المكذبين ألا يعتبرون بها

فهذا المخلوقات، لم تخلق عبثًا وإنما لحكم عظيمة ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان، الآيتان: ٣٨، ٣٩).

ولكن موعدهم يوم القيامة: ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الدخان، الآية: ٤٠).

حيث العذاب للمكذبين حين يقال للمكذب: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (الدخان، الآيتان: ٤٩، ٥٠).

وتذكر الآيات ما يجده الموحدون من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

وتختم السورة بأن هذا القرآن ذكرى لمن أرادها: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (الدخان، الآية: ٥٨). فإن لم يؤمنوا بهذا القرآن: ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

قريش تطلب من أبي طالب أن يوقف دعوة النبي ﷺ:

عن عقيل بن أبي طالب، قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا، وفي مجلسنا فانهه عن إيذائنا، فقال لي: يا عقيل ائت محمدًا، فانطلقت إليه فأخرجته من كبس، وهو بيت صغير، فجاء في الظهر، فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة حر الرمضاء، فأتيناهم، فقال أبو طالب: إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم، وفي مجلسهم، فانته عن ذلك فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «**ما ترون هذا الشمس**»؟ قالوا: «نعم»، قال: «**ما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم أن تشعلوا منها شعلة**» قال أبو طالب: ما كذبنا ابن أخي قط فارجعوا[1].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ١٣٦) ١٣٩٤٦ ومسند أبي يعلى (١٢/ ١٧٦) و المستدرك (٣/ ٦٦٨) ٦٤٦٧ واسناده قوي وصححه الألباني.

وفي رواية: «فذهبت فأتيته به فجاء في نصف النهار يتخلل الفيء، **فجلس** عند أسكفة الباب، وقريش عند أبي طالب، فقال: يا ابن أخي إن بني عمك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن ذلك، قال: فحلّق رسول الله ﷺ بصره إلى السماء ثم قال: «**هل ترون هذه الشمس**»؟ قالوا: «نعم»، قال: «**ما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا لي منها شعلة**»، قال: فقال أبو طالب: ما كذبنا ابن أخي فارجعوا، قال: فرجعوا.[1]

سؤال قريش المعجزات:

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ (سورة الأنعام، الآيات: ١٠٩-١١١).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ (الإسراء، الآية: ٥٩).

---

(١) مسند البزار (٦/ ١١٥) ٢١٧٠.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (سورة الإسراء، الآيات: ٩٠-٩٣).

عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ، أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: «لا، بل أستأني بهم» فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ (الإسراء، الآية: ٥٩)[1].

وعن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك يصبح لنا الصفا ذهبة، فإن أصبحت ذهبة اتبعناك، وعرفنا أن ما قلت كما قلت: فسأل ربه عز وجل، فأتاه جبريل، فقال: إن شئت أصبحت لهم هذه الصفا ذهبة، فمن كفر منهم بعد ذلك، عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت، فتحنا لهم أبواب التوبة، قال: «يا رب، لا، بل افتح لهم أبواب التوبة »[2].

---

(١) مسند أحمد ٢٣٣٣ وهو صحيح.

(٢) مسند أحمد ٣٢٢٣ و المستدرك ٣٢٢٥ وهو صحيح.

السنة الثامنة من البعثة:

مضت سبع سنوات من الدعوة، والرسول عليه الصلاة والسلام قد انقطع للدعوة، وترك الدنيا خلف ظهره، وتفرغ للدعوة، وانشغل بها عما سواها، فليله ونهاره ونشاطه وهمته في الدعوة إلى التوحيد، يحمل لهم الرحمة والشفقة، ويحرص على هدايتهم، ويؤلمه صدودهم وإعراضهم.

حصار بني هاشم في الشعب:

حين رأى الكفار أن النبي ﷺ ثابت على دعوته، وأن نشاطه مستمر بشجاعة لا نظير لها وعزيمة لا تلين، اتفقوا في السنة الثامنة من البعثة النبوية على أن يقاطعوا بني هاشم قبيلة النبي ﷺ رغم أنها لم تسلم، ولم تساند النبي ﷺ على ألا يناكحوهم ولا يبيعوهم ولا يشتروا منهم شيئًا، ولا يجالسوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يُسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق: لا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: حين أراد قدوم مكة «**منزلنا غدًا إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر**»[١].

وذلك أن قريشًا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ [٢].

---

(١) صحيح البخاري ١٥٨٩.

(٢) صحيح البخاري ١٥٩٠.

تحالفوا وتعاهدوا على أمور وخصال من خصال الكفر والباطل، كقطيعة الرحم، ومحاربة النبي ومقاطعة أهله، وهو تحالفهم على إخراج النبي ﷺ وبني هاشم وبني المطلب من مكة إلى هذا الشعب، وهو خيف بني كنانة وكتبوا بينهم الصحيفة المشهورة، ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ليقتلوه[1].

ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعب أبي طالب في المحرم من السنة الثامنة وبقوا فيه إلى السنة العاشرة مدة ثلاث سنوات

فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعامًا يقدم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ.

فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد به مكرًا أو اغتيالا له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه.

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٥/ ٣٣٩).

وبلغ الجهد الشديد ببني هاشم وبني المطلب حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع[١].

وقد كان النبي ﷺ يواصل دعوته إلى الله تعالى فلم يثنه عن الدعوة حصار ولا تضييق.

وكان النبي ﷺ في موسم الحج، يخرج من الشعب يدعو الناس إلى الإيمان بالله، وكان الشقي التعيس أبو لهب يمضي خلف النبي ﷺ يكذبه ويخذل الناس عنه.

وكان لا يصل إليهم شيء من الطعام إلا سرًا، مستخفيًا به، من أراد صلتهم من قريش، وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحًا يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب، فتعلق به، وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام فقال: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البختري: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل، قال: فأبى أبو جهل، حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه به فشجه، ووطئه وطئًا شديدًا، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٧٣) عيون الأثر (١/ ١٤٨) مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير جمع. د. محمّد مصطفى الأعظمي ص ٧٨.

يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم، ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلًا ونهارًا، وسرًا وجهارًا، مباديًا بأمر الله، لا يتقي فيه أحدًا من الناس.

وكان هشام بن عمرو العامري؛ أوصل قريش لبني هاشم، حين حصروا في الشعب أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعامًا، فعلمت بذلك قريش، فمشوا إليه حين أصبح فكلموه في ذلك، فقال: إني غير عائد لشيء خالفكم، فانصرفوا عنه، ثم عاد الثانية فأدخل عليهم ليلًا حملًا أو حملين فغالظته قريش وهمت به، فقال أبو سفيان بن حرب: دعوه، رجل وصل أهل رحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا.[1].

نزول سورة الروم [2]:

ابتدأت السورة بذكر غلبة فارس على الروم، وكان المشركون يحبون نصر الفرس، لأنهم أهل وثنية، وكان المؤمنون يحبون نصر الروم، لأنهم أهل كتاب دينهم النصرانية، فوجد المشركون من أهل مكة في هذا النصر استعلاء للشرك على عقيدة التوحيد، ونزلت الآيات تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح بها المؤمنون، الذين يودون انتصار ملة الإيمان من كل دين، ونزول هذه الآيات والرسول عليه الصلاة والسلام محاصر في شعب أبي طالب لتؤكد نصرة المؤمنين من أمته على الروم في أرض الشام.

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (٢/ ٥) الروض الأنف ت الوكيل (٣/ ٢٨٥) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ٢١١).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

عن ابن عباس، في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ قال: غلبت وغلبت، قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنهم سيغلبون**» قال: فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا، كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم، كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلا خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ، فقال: «ألا جعلتها إلى دون، قال: أراه قال: العشر»؟ - قال: قال سعيد بن جبير: البضع: ما دون العشر - ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ قال: يفرحون ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾[1].

وتربط الآيات بين نصر المؤمنين ونصرة الحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض وما بينهما، ويرتبط به أمر الدنيا والآخرة. وتذكرهم بمشاهد القيامة وما يكون فيها للمؤمنين والكافرين.

وتؤكد الآيات أن هذه الآيات الكونية فيها دلالة على التوحيد وإفراد الله بالعبادة وحده لاشريك له.

فقد خلق الله السموات والأرض، وهي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٢٩٦) ٢٤٩٥وسنن الترمذي -برقم ٢٩٣٥ وهو صحيح.

إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرج الأموات من قبورهم أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، وكل من في السموات والأرض ملكه وعبيده، كل له خاضعون خاشعون طوعًا وكرهًا، وهو الذي خلقهم ابتداء، وسيعيدهم والإعادة أهون عليه من البداءة، هو الله لا إله إلا هو، ولا رب غيره، ليس كمثله شيء وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد غلب كل شيء، وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه، وهو الحكيم في أفعاله وأقواله شرعًا وقدرًا.

وقد ضرب الله للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له، هذا المثل يشهدونه ويفهمونه من أنفسهم، فإن أحدهم لا يرتضي أن يكون عبده شريكًا له في ماله، فهو وإياه فيه على السواء يخاف أن يقاسمه الأموال، وليس له ذاك، كذلك الله لا شريك له، فإن كان العبد يأنف من ذلك، فكيف يجعلون لله الأنداد من خلقه، وإنما عبد المشركون غير الله سفهًا من أنفسهم وجهلا وهوى، وقد كتب الله عليهم الضلالة، فلا أحد يهديهم إذا كتب الله إضلالهم، و ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير، ولا محيد لهم عنه؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

والمسلم مأمور بالاستقامة على التوحيد، وهو الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هدى الله له المؤمنين، وهو الفطرة السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله إلا وحده لا شريك له، فلا يبدل

المسلم خلق الله بتغيره فطرة الله التي فطره عليها، فإن الله تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك.

وتكشف الآيات عن طبيعة الإنسان وحالته في الرحمة والضر، وعند بسط الرزق وقبضه.

وتظهر الآيات ما عليه المشركون مع شركائهم الذين لا يرزقون ولا يميتون ولا يحيون. ويربط بين ظهور الفساد في البر والبحر وعمل الناس وكسبهم ويوجههم إلى السير في الأرض، والنظر في عواقب المكذبين من قبل.

وتوجه الآيات الرسول ﷺ إلى الاستقامة على دين الفطرة، من قبل أن يأتي اليوم الذي يجزى فيه كل بما كسبت يداه.

وتبين الآيات أن الرسول ﷺ لا يملك إلا البلاغ، فهو لا يهدي العمي ولا يسمع الصم.

وتذكر الآيات الناس بأنفسهم وبأطوار نشأتهم من بدئها إلى منتهاها، منذ الطفولة إلى الموت والبعث والقيامة، وتختم السورة بتوجيه الرسول ﷺ إلى الصبر على دعوته، وما يلقاه من الناس فيها والاطمئنان إلى أن وعد الله حق وهو آت لا محالة.

لقد حصروا جسده عليه الصلاة والسلام، ولم يحاصروا قلبه فالوحي من السماء يثبته ويرشده ويؤنسه ويواسيه.

نزول سورة الجاثية[1]:

هذه السورة تصور حال المشركين مع دعوة النبي ﷺ، وطريقتهم في مواجهتها، وتعنتهم، وإتباعهم للهوى، فهم يحاولون قتل النبي ﷺ استكبارًا عن قبول الحق وإتباعًا للهوى، وماهذه المقاطعة إلا صورة من صور التعنت، فقد نزل القرآن ليصلح تلك القلوب المعاندة المستكبرة عن الحق، وتصور الآيات ماعليه هؤلاء المكذبون من الضلال، فمنهم المصر على الضلالة، المكابر في الحق، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾ (الجاثية، الآيات: ٧-١٠).

والقرآن يؤكد الفرق بين المؤمن والكافر، والمصدق والمكذب﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢﴾ (الجاثية، الآيتان: ٢١، ٢٢).

فلا يستوي هؤلاء المستكبرون عن الحق، وهؤلاء المستضعفون المحاصرون ففي القيامة تتغير الموازين.

ومن هؤلاء المعاندين من لا يعرف إلا هواه، فهو إلهه الذي يعبده ﴿أَفَرَءَيْتَ

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الجاثية، الآية: ٢٣).

فهو ينكر البعث والحساب، ويطلب المستحيل ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الجاثية، الآيات: ٢٤-٢٦) إنه الجحود والاستكبار والتعنت.

وقد بين القرآن لهؤلاء المكذبين آيات الله الكونية الدالة على ألوهيته وانفراده بالعبادة دون ماسواه ﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (الجاثية، الآيات: ٣-٦)» .

وذكرتهم الآيات بالنعم التي أنعم الله بها عليهم: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الجاثية، الآيتان: ١٢، ١٣).

ذكرهم القرآن بحالهم يوم القيامة الذي ينكرونه ويجادلون فيه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الجاثية، الآيات: ٢٧-٣٥).

فكيف أنتم يا من تصدون عن الحق، وتريدون قتل النبي ﷺ وتسخرون من الذين آمنوا وتستهزئون بآيات الله كيف بكم إذا كانت النار مصيركم.

حياة النبي ﷺ في الشعب:

حياته عليه الصلاة والسلام محاطة بالتيقظ والترقب من بني هاشم، الذين لا يغفلون عنه ساعة خشية عليه من قريش، وكانت زوجته خديجة تأتي إليه، وتجيء بالأطعمة معها لبني هاشم، وتبقى معه تواسيه وتصبره وتعينه، مع ثباته ﷺ، مع أنه كان يعيش في حصار، لا يجد فيه الطعام ولا الشراب ولا الكساء ولا

الدواء، يقضي وقته بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن والدعوة وتعليم الصحابة رضي الله عنهم.

فهو وإن كان في بقعة من الأرض، وفي شعب من الشعاب إلا أن قلبه معلق بالسماء، يأتيه المدد والعون والتأييد، والتسلية، وقد حمل في قلبه هم تبليغ الرسالة، فهم وإن تقاسموا على الكفر إلا أنه يحمل لهم الهداية والرحمة، يدعوهم إلى النجاة، ويدعونه إلى النار.

نزول سورة سبأ(١):

هذه السورة تؤكد وجوب توحيد الله، والإيمان بالوحي، والايمان بالبعث بعد الموت، وتبين حالة المشركين من قريش المنكرين للبعث قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ (سبأ، الآية: ٣).

وتؤكد الآيات الجزاء لجميع العباد يقول الله تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ (سبأ، الآيتان: ٤، ٥).

فمن كان سببًا لغواية الناس وصدهم عن التوحيد له العذاب يوم القيامة.

وتصف الآيات استبعادهم للبعث بعد الموت: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨ ﴾ (سبأ، الآيتان: ٧، ٨).

وتصف الآيات موقف المكذبين بالقرآن في يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٣٣ ﴾ (سبأ، الآيات: ٣١-٣٣).

إنه المصير المحتوم لكل مكذب ومعاند فليس لهم يوم القيامة إلا العذاب: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٥١ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝٥٤ ﴾ (سبأ، الآيات: ٥١-٥٤).

وتؤكد الآيات علم الله تعالى بعباده،: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ (سبأ، الآية: ٢). فلا يخفى عليه خافية: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ، الآية: ٣).

فمن يسعون في حياتهم الصد عن الحق، واغواء الناس عن الهدى، فإن الله يوحي بالحق إلى نبيه وهو أعلم بعباده من أنفسهم: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٤٨﴾ (سبأ، الآية: ٤٨).

وتصف الآيات موقف الكفار وهم تتلى عليهم آيات القرآن: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٤٣﴾ (سبأ، الآية: ٤٣).

ويامر الله نبيه ﷺ يا محمد قل لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون إنما آمركم بواحدة، أن تقوموا قيامًا خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضًا، و ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ فسيكون الجواب: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ، الآية: ٤٦).

والباطل مآله إلى البوار مهما طغى وتجبر، فهؤلاء الكفار الذين يحاصرون المؤمنين مآلهم إلى الزوال، وتلك بشارة للنبي ﷺ المحاصر في شعب أبي طالب

بظهور الحق و زهوق الباطل وقد قرأ الآية رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو يحطم الأصنام بعد ثلاث عشرة سنة.: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ (سبأ، الآيتان: ٤٩، ٥٠).

فوصفهم للنبي ﷺ بالضلالة إنما هو افتراء، وإنما هو على نور من ربه، هذا النبي الذي تحاصرونه في الشعب قد بعث لجميع أهل الأرض جميعًا، ليس لكم بل لجميع الثقلين الجن والانس: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

وتذكرهم الآيات بمملكة سبأ الآمنة التي رزقت برغد العيش وطيب المقام فكفرت بنعمة الله واختارت الشقاء والعناء والكفر بآيات الله فكانوا أثرًا بعد عين، وإنما كان ذلك لإتباعهم الشيطان فليحذر العباد أن يكونوا مثلهم وليعتبروا بهم.

وتأتي الآيات تحاور المشركين المكذبين ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (سبأ، الآية: ٢٢): من الآلهة التي عبدت من دونه ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (سبأ، الآية: ٢٢).

فالله الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض،

أما آلهتهم لا تملك شيئًا استقلالا، ولا على سبيل الشركة، وليس لله من هذه الأنداد من ظهير، يستظهر به في الأمور ولا معين، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

صدود المشركين وعنادهم:

لم تزد الآيات المكذبين إلا عنادًا، واستكبارًا، وكيدًا للمؤمنين، وتعذيبًا واضطهادًا للموحدين.

وإصرارًا لقتل النبي ﷺ، واستمرارًا للحصار الاقتصادي والاجتماعي والنفسي لبني هاشم وبني المطلب ومن دخل معهم في الشعب.

مع وجود نداءات ترى في الحصار ظلم وقطيعة وعدوان، وتنادي بقطع الصحيفة وعودة المحاصرين إلى بيوتهم.

نزول سورة المؤمنون[1]:

سورة المؤمنون، سورةٌ تبشر المضطهدين في دينهم، ممن يقاسون آلالام الظلم والاستبداد بالفلاح والفوز وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وتؤكد أن العاقبة لهم في الدارين، فالفلاح للمؤمنين لا لغيرهم الذين صدقوا بنبوة النبي ﷺ ورسالته: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ (المؤمنون، الآية: ١) وتبين الآيات صفات هؤلاء المفلحين وتُذكر هذه البشرية نشأتها وخلق الله لها، كيف خُلق الإنسان منذ نشأته الأولى إلى نهايتها في الحياة الدنيا إلى البعث يوم القيامة.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

ثم تذكر الآيات على دلالة الكون على التوحيد في خلق السماء، وفي إنزال الماء، وفي إنبات الزرع والثمار. ثم إلى بهيمة الأنعام المسخرة للإنسان والفلك التي يحمل عليها وعلى الحيوان.

وتبين الآيات دعوة التوحيد. التي دعا إليها الرسل كلهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.. قالها نوح- عليه السلام- وقالها كل من جاء بعده من الرسل، حتى انتهت إلى محمد ﷺ كلهم دعوا إلى التوحيد - وكان جواب المكذبين، جواب متشابه على مر العصور: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾(المؤمنون، الآية: ٣٣)، وكان انكارهم للبعث بعد انكارهم للتوحيد: ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥﴾ (المؤمنون، الآية: ٣٥).

ويوجه النداء للرسل جميعًا وللمؤمنين بالأكل من الطيبات واجتناب الخبائث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ (المؤمنون، الآية: ٥١).

وتوجه الآيات أهل الإيمان بالتزام الأمة الواحدة، تلك الأمة التي صدقت بالرسالة وآزرت النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢﴾ (المؤمنون، الآية: ٥٣). فالفرقة عذاب ومحنة وبلاء: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ (المؤمنون، الآية: ٥٣).

وابتلاء الله لعباده بالنعمة أشد وأعظم، فلا يغتروا بما هم فيه من المتع الدنيوية،، فالمؤمنون دائمًا مشفقون من خشية ربهم، يعبدون ولا يشركون به، ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ (المؤمنون، الآية: ٦٠).

أما المشركون الغافلون فيأخذهم العذاب على حين غرة وغفلة: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (المؤمنون، الآيتان: ٦٦، ٦٧).

والمشركون في تهجمهم على رسول الله ﷺ، وعلى القرآن في نواديهم وفي سمرهم، إنما هو الصدود والاستكبار على الحق.

ويستنكر القرآن موقفهم من رسولهم الأمين عليه الصلاة والسلام، وهم يعرفونه ولا ينكرونه وقد جاءهم بالحق لا يسألهم عليه أجرًا. فلماذا ينكرون ماجاء به، فقد جاءهم بالحق؟ وهم يقرون بخلق الله للسماوات والأرض، وربوبيته للسماوات والأرض، وبعد هذا التسليم ينكرون البعث، ويزعمون أن لله ولدًا سبحانه، ويشركون به آلهة أخرى «﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (المؤمنون، الآية: ٩٢).

ويتوجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ أن يدفع السيئة بالتي هي أحسن ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ (المؤمنون، الآيتان: ٩٦، ٩٧)، فالاستعاذة بالله من الشياطين، حفظ ووقاء.

وتصور الآيات مشاهد القيامة ومايتنظر المكذبين من عذاب ومهانة وتأنيب، فقد كانوا يكذبون ويستهزئون. وكل إشراك في الألوهية، فهو ضلال وإضلال.

فتعالى الله وتنزه سبحانه عما يقوله المشركون: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون، الآية: ١١٦).. وتختم السورة بنفي الفلاح عن الكافرين في مقابل تقرير الفلاح في أول السورة للمؤمنين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

السنة التاسعة من البعثة:

دخلت السنة التاسعة، والنبي ﷺ محصور في شعب أبي طالب، يبلغ رسالات ربه، ويدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك، ويتنزل القرآن عليه بكرة وعشيًا، يثبته ويواسيه، ولم تكن تلك الشدائد تفت في عضده أو توهن من عزيمته، بل كانت نفسه متصلة بالله، وقلبه يحمل هم الدعوة، ويقينه بنصر الله عظيم، فكان يرى النصر بعينيه وقلبه، ويأمر أصحابه بالصبر، وكان يتفاءل بتغير الحال، ويؤمل في إسلام قريش عليه الصلاة والسلام.

نزول سورة النمل[١]:

السورة تؤكد على وجوب التوحيد: الإيمان بالله، وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث، وما في الآخرة من ثواب وعقاب، وتأتي قصص الأنبياء تعرض دعوة التوحيد، وتذكر عاقبة المكذبين بالتوحيد، وعاقبة المؤمنين.

تأتي هذه القصص لتثبيت قلب النبي ﷺ، وهو في هذه الحالة، فتأتي قصة موسى عليه السلام في مقدمة السورة. كيف خرج من بلده وعاش في الغربة ورجوعه وتكليفه بالرسالة من رؤيته للنار وذهابه إليها، وندائه من الملأ الأعلى، وتكليفه بالرسالة إلى فرعون وملئه.

وكيف قابلوه بالتكذيب بآيات الله وهم على يقين من صدقه، وتبين الآيات عاقبة التكذيب مع اليقين﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النمل، الآية: ١٤). وكذلك كان شأن المشركين في مكة مع آيات القرآن العظيم، كفروا بالآيات وضيقوا على نبيهم عليه الصلاة والسلام..

وتأتي قصة داود وسليمان، ونعمة الله على داود وسليمان- عليهما السلام، فتظهر وحدة دعوة التوحيد التي يدعو إليها كل رسول.

وتأتي قصة صالح مع قومه ثمود، وكيف تآمر عليه المفسدون منهم وعلى

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

أهله، وحاولوا قتله، ثم مكر الله بالقوم، ونجاة نبي الله صالح عليه السلام، والمؤمنين معه، وتدمير ثمود مع المتآمرين: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ (النمل، الآية: ٥٢).. وهاهي قريش تتآمر على رسول الله ﷺ وتبيت له، كما بيتت ثمود لصالح وللمؤمنين.

وتختم القصص بقصة لوط مع قومه، ومحاولتهم إخراجه من قريتهم هو والمؤمنين معه، بحجة طهارتهم من الشرك ومن أفعالهم الخبيثة، وما كان من عقوبتهم بعد إذ هاجر لوط من بينهم، وتركهم للدمار: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾ (النمل، الآية: ٥٨).

و قريش تخطو الخطوة نفسها بإخراج الرسول ﷺ وتتآمر في ذلك، وتضيق عليه.

وتبين الآيات أن العلم كله في القرآن فهو من الله العليم: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ (النمل، الآية: ٦). وتأتي الآيات: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (النمل، الآيتان: ٦٥، ٦٦). وتوضح الآيات علم الله بعباده وما يقع في الكون: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾ (النمل، الآيتان: ٧٤، ٧٥) فهم وإن اختفوا في الظلام ليكيدوا للنبي ﷺ، ولدعوته فإن الله بهم عليم.

وتأتي الآيات بالتأكيد على التوحيد بقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ (النمل، الآية: ٥٩).

فآيات الله الكونية، تؤكد استحقاق العبودية للمدبر الخالق الرازق، الذي يعلم الغيب وحده، وهم إليه راجعون، ثم تؤكد الآيات على قيام الساعة وعلى علاماتها ومنها خروج الدابة آخر الزمان، وبعض مشاهد القيامة، وما ينتظر المكذبين بالساعة في ذلك اليوم العظيم.

وتختم السورة بالتأكيد على التوحيد: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾ (النمل، الآيات: ٩١-٩٣).

فهذه البلدة الحرام التي حرمها الله سبحانه، لا يعبد سواه، وبيان دعوة النبي ﷺ في الدعوة إلى التوحيد والتمسك بهدى القرآن.

إنه حين تقرأ هذه الآيات في هذه السورة، لتعلم أن هذه الآيات نزلت لتكون هداية لقلب محمد ﷺ وأصحابه، تذكرهم بالأنبياء وما لاقوه في سبيل الدعوة إلى التوحيد، وترسم الطريق للخروج من هذا الواقع، وتوضح المنهج النبوي في التزام التوحيد والعيش مع القرآن والدعوة إلى الاسلام، وما على الرسول إلا البلاغ.

وتتوالى الآيات تنزل على قلب محمد ﷺ، وهو محاصر في شعب أبي طالب وقد ظن الأشقياء أنهم بفعلتهم تلك أنهم يحجبون دعوته، ويقطعون صلته بربه، وماعلموا أن رسول الله ﷺ، متصل بالله تعالى يتنزل عليه الوحي فيرشده ويصبره ويسليه.

نزول سورة النحل[(١)]:

هذه السورة تؤكد وجوب التوحيد، وإن دين هذا النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام مرتبط بدين إبراهيم- عليه السلام -: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ (النحل، الآية: ١٢٣).

وتؤكد الآيات أن الكفار يمكرون بالمؤمنين، ولكن مكرهم مآله إلى الزوال: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النحل، الآية: ٢٦).

وتؤكد الآيات ضلال أهل الجاهلية، في التحليل والتحريم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (النحل، الآية: ١١٦).

وما يعيشه الكفار من الضلال، ومن ذلك كراهة البنات: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩).

وتؤكد الآيات أن الهجرة في سبيل الله طريق إلى مرضاة الله وما أعده الله للمهاجرين من الثواب ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣)

ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النحل، الآيتان: ٤١، ٤٢) فتلك تذكير لهم بالهجرة من أوطانهم لتكون لهم حسن العاقبة.

وتذكر الآيات حال المهاجرين إلى الحبشة ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (النحل، الآية: ١١٠).

وتذكر حال المؤمنين المضطهدين في دينهم، وما لاقاه بعض المسلمين من الكفر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (النحل، الآية: ١٠٦).

وتؤكد الآيات ما كانت عليه قريش من الضلال والعناد والاستكبار والصدود، ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (النحل، الآيتان: ٢٢، ٢٣).

وتؤكد الآيات أن دعوة الرسل هي التوحيد وما كانت عليه الأمم من التكذيب: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النحل، الآية: ٣٦).

وتوضح الآيات ما كان عليه قلب النبي ﷺ من الحرص على هدايتهم

وإسلامهم: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يعلم قِنًا بمكة، وكان اسمه بلعام، وكان أعجمي اللسان، وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ ﴾ (النحل، الآية: ١٠٣).

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز و جل: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل، الآية: ١٠٣) قالوا: إنما يعلم محمدًا عبد ابن الحضرمي وهو صاحب الكتب، فقال الله لسان الذين يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله[1].

ويؤمر النبي ﷺ بالصبر على ما هو عليه من التضييق، ولا يحزن من صدود قومه وعنادهم، ويبشره بمعيته وحفظه له من مكر قريش: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النحل، الآية: ١٢٧).

---

(١) المستدرك (٢/ ٣٨٩) ٣٣٦٣ وهو صحيح.

نزول سورة الغاشية[1]:

هذه السورة تؤكد الإيمان باليوم الآخر وتسمى القيامة: بـ«الغاشية» التي تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها.

وهو خطاب لرسول الله ﷺ: «**هل أتاك** » والخطاب عام لكل من يسمع هذا القرآن. فحديث الغاشية هو إعلام القرآن عن القيامة وأهوالها وأحوالها، يذكر هذا النبي عليه الصلاة والسلام بهذ القرآن وينذر به ويبشر به.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ (الغاشية، الآيات: ٢-٧).

فتلك الوجوه الخاشعة التي تعبت، وتحملت المشاق ليس لها من عملها نصيب في الآخرة، لأنها في ضلال وانحراف عن الهدى والتوحيد، عملت في الضلال وفي الشرك والبدعة. فكان هذا العمل والكد شقاء وعناء في الدنيا.

وفي الآخرة إلى النار: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ (الغاشية، الآية: ٤) و﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝٥﴾ (الغاشية، الآية: ٥).. شديدة الحرارة.

وفي المقابل تللك النفوس التي كدحت، وأوذيت وضيق عليها في الدنيا فصبرت: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

(الغاشية، الآيات: ٢-١٦).

نعيم أهل الإيمان الذين صبروا على الأذى وتحملوا المشاق وجوه تشرق من النعيم.

وهؤلاء المكذبين ألا يرون دلائل التوحيد في مخلوقات الله ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ (الغاشية، الآية: ١٧) فالإبل يسافرون ويحملون عليها أثقالهم. ومنها يشربون ويأكلون. ومن أوبارها وجلودها يلبسون ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ (الغاشية، الآية: ١٧).. توجيه للتفكر في ملكوت السماء فينظرون إليها كيف رفعت؟ من ذا رفعها بلا عمد؟ وخلق فيها النجوم بلا عدد؟، وإلى الجبال كيف نصبت؟» تلك الجبال التي تحيط بهم وهم في مكة ألم يتفكروا في خلقها؟، ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية، الآية: ٢٠).. تلك الأرض الممدودة يسيرون على ثراها يقطعون الفيافي والقفار في التنقل والأسفار

ويوجه الرسول ﷺ إلى القيام برسالته: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ (الغاشية، الآيات: ٢١-٢٦).

فذكرهؤلاء الكفار بهذا القرآن، ذكرهم باليوم الآخر وما فيه. وذكرهم بالكون وما فيه. إنما أنت مذكر. تلك رسالتك البلاغ، ليس عليك هدايتهم.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الغاشية، الآية: ٢٢). فأنت أيها النبي لا تملك من أمر قلوبهم شيئًا، حتى تقهرهم وتجبرهم على الإيمان.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ (الغاشية، الآيتان: ٢٣، ٢٤) فالجميع راجعون إلى الله وحده، وهو مجازيهم بأعمالهم.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ (الغاشية، الآيتان: ٢٥، ٢٦). فالحساب والجزاء عند الله تعالى حين يبعث الخلائق يوم القيامة.

نزول سورة الكهف[1]:

هذه السورة جاءت بالدعوة إلى التوحيد، والتأكيد على هداية القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ (الكهف، الآيات: ١-٥). فقرر عقيدة التوحيد ونبذ الشرك

وفي ختامها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف، الآية: ١١٠).

فهو إعلان للوحدانية وإنكار للشرك والوثنية، وإثبات للوحي، والآيات تدل على التوحيد، ففي قصة أصحاب الكهف يقول الفتية الذين آمنوا بربهم: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ (الكهف، الآية: ١٤).

فهؤلاء الفتية الذين فروا بدينهم وتوحيدهم عن الشرك وأهله، وحصروا أنفسهم في هذا الكهف كيف كتب الله لهم الكرامة والعزة والرفعة، في وقت تتنزل هذه الآيات على قلب الرسول ﷺ وهو محصور في شعب أبي طالب، لتؤكد لهؤلاء المؤمنين أنهم سبقهم على هذا الطريق فتية تمسكوا بدينهم وعقيدتهم.

لقد حصر أهل الكهف أنفسهم في كهفهم، فصبروا وابتعدوا عن مواطن الشرك فكانت لهم العاقبة الحسنة.

وفي قصة الجنتين يقول المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الكهف، الآيتان: ٣٧، ٣٨).

فكانت النتيجة: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الكهف، الآيتان: ٤٣، ٤٤) فالمشركون مهما أوتوا من نعيم الدنيا فإنه لا يدوم بل سرعان مايزول.

وتؤكد الآيات ضلال المشركين، وما هم عليه من عبادة الأصنام وإتخاذ الشركاء: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (الكهف، الآية: ٥٢)، وفي الإنكار على المشركين: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الكهف، الآية: ١٠٢).

وتأتي الآيات باستنكار دعاوى المشركين، بنسبة الولد إلى الله ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ (الكهف، الآيتان: ٤، ٥).

وتأتي الآيات بأن الحياة لا عز فيها و لاشرف، إلا بالإيمان والعمل الصالح، وأما الاعتزاز بالمال والحسب والنسب والجاه لا يساوي شيئًا عند الله.

وتأتي الآيات ببيان ما يعتز به الإنسان: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف، الآية: ٤٦).

فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء والاختبار، ونهايته إلى الفناء والزوال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ (الكهف، الآيتان: ٧، ٨).

والخطاب للرسول ﷺ، وهو محصور في ذلك الشعب ليصبر على دعوة التوحيد، ويصبر نفسه مع أهل الإيمان لا يبالي بزينة الحياة الدنيا، وأهلها الغافلين

عن الله ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ (الكهف، الآيتان: ٢٨، ٢٩).

وفي قصة الجنتين تؤكد كيف يعتز المسلم بدينه وعقيدته في وجه المال: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ ﴾ (الكهف، الآيات: ٣٤-٤١).

ذلك مثل الحياة الدنيا وسرعة زوالها بعد ازدهارها: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ﴾ (الكهف، الآية: ٤٥).

وتقرر الآيات أن أخسر الخلق أعمالا، الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه

وهؤلاء لا وزن لهم ولا قيمة وإن حسبوا أنهم يحسنون صنعًا: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ (الكهف، الآيات: ١٠٣-١٠٥).

حياة الشعب:

كان المسلمون يجتمعون برسول الله ﷺ في الشعب، ويصلي بهم، ويعلمهم ويصبرهم، ويذكرهم بالأجر واحتساب الثواب، ويبشرهم بحسن العاقبة ويتلو عليهم آيات القرآن التي تداوي جراحهم، وتشد من عزائمهم، وكان أقاربه من بني هاشم، وبني المطلب ممن لم يسلم، يحوطونه ويمنعونه ويقدمونه على أنفسهم حمية له، وكانت ليالي الشعب تشهد اجتماع النفوس المؤمنة، فلم تكن شدة المكان والحال تعيق تلك النفوس الطيبة من الحياة في أجواء روحانية، وإيمانية تسري فيها أصوات الصحابة بالقرآن، فتبدد ظلام الحال وتنير القلوب والأرواح.

نزول سورة الفرقان[(١)]:

هذه السورة نزلت لتسلية رسول الله ﷺ، وتطمين قلبه وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، وجدالهم بالباطل، ووقوفهم

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

في وجه الهدى وصدهم عنه، فهو اليوم محصور في شعب أبي طالب مع شظف العيش، وقلة الزاد ومحاربة العدو.

فهذه السورة من صور اللطف بالنبي ﷺ من اللطيف الخبير الذي أحاط به عبده ورسوله عليه الصلاة والسلام، وهذه الآيات تمسح آلامه ومتاعبه، وتزيده من الثقة والطمأنينة، والسكينة، والصبر واليقين.

فهي تُظهر صورة الصراع بين النبي ﷺ وقومه المكذبين، وهم يردون الحق، بعناد واستكبار، فهم يقدحون في صحة القرآن العظيم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ (الفرقان، الآية: ٤) ويدعون أنه: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان، الآية:٥) ويقولون عن الرسول الكريم ﷺ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (الفرقان، الآية: ٨). ويبالغون في الاستهزاء: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ (الفرقان، الآية: ٤١) ويتطاولون على الله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ (الفرقان، الآية: ٦٠) ويتعنتون فيقولون: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ (الفرقان، الآية: ٢١) ويعترضون على بشرية الرسول ﷺ، فقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ (الفرقان، الآية: ٧) ويعترضون على مكانته وماله، فقالوا: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ

يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ويعترضون على إنزال القرآن مفرقًا فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان، الآية: ٣٢).

ومع هذا التكذيب والاستهزاء والافتراء، وقف الرسول ﷺ، يواجه هذا الاستكبار والصدود والتكذيب والاستهزاء بمفرده، لاحول له ولا قوة إلا بربه وخالقه.

وآيات القرآن، ومنه هذه السورة تمسح عنه عليه الصلاة والسلام الآلام والمتاعب، تهون عليه مشقة ما يلقى من عنت المكذبين وتطاولهم عليه، بأنهم يشركون بربهم وخالقهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ (الفرقان، الآية: ٥٥) وتظهر عجز آلهة المشركين ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ (الفرقان، الآية: ٣).. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ (الفرقان، الآية: ٦٠).

ويبين القرآن إنما هم يتبعون أهواءهم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ (الفرقان، الآيتان: ٤٣، ٤٤).

والقرآن يرد على هؤلاء المكذبين بالآيات البينات التي تظهر الحق وتدحر الباطل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ (الفرقان، الآية: ٣٣).

وتذكر الآيات مصارع المكذبين من قبل: قوم موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وما بين ذلك من القرون: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ (الفرقان، الآية: ٣٤).. ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ (الفرقان، الآيات: ١١-١٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا معيط كان يجلس مع النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم بمكة لا يؤذيه، وكان رجلا حليمًا، وكان بقية قريش اذا جلسوا معه آذوه، وكان لابي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبأ أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلا، فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه فقالت: أشد مما كان أمرًا، فمر أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية، فقال: مالك، لا ترد علي تحيتي فقال: كيف أرد عليك تحيتك، وقد صبوت قال: أوقد فعلتها قريش قال: نعم، قال فما يبرىء صدورهم إن أنا فعلت قال: تأتيه في مجلسه وتبصق في وجهه وتشمته، بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل، فلم يزد النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أن مسح وجهه من البصاق ثم التفت اليه فقال: إن وجدتك خارجًا من جبال مكة أضرب عنقك صبرًا، فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا قال: قد وعدني هذا الرجل ان وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبرًا فقالوا: لك جمل أحمر لا

يدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وَحَل به جَمَلُه في جَدَد من الأرض [١]، فأخذه رسول الله ﷺ أسيرًا، في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء قال: نعم، بما بصقت في وجهي فانزل الله في أبي معيط ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾(الفرقان، الآية: ٢٧) إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾(الفرقان، الآية: ٢٩)[٢].

عن عمرو بن ميمون في قوله: ويوم يعض الظالم على يديه قال:نزلت في عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف قال: دخل النبي ﷺ على عقبة في حاجة وقد صنع طعامًا للناس قال: فدعا النبي ﷺ إلى طعامه فقال قد علمت أني لا آكل طعامك. ولست على ديني قال: لا حتى تسلم قال: فأسلم وجلس النبي ﷺ فأكل وبلغ الخبر أبي بن خلف فأتى عقبة فذكر له ما صنع فقال له عقبة أترى مثل محمد يدخل منزلي وفيه طعام ثم يخرج ولا يأكل قال أبي فوجهي من وجهك حرام حتى ترجع إليه وتتفل في وجهه وترجع عما دخلت فيه قال: فجاء ففعل ذلك ونزل القرآن: ويوم يعض الظالم على يديه [٣].

والآيات القرآنية تسلي النبي عليه الصلاة والسلام ببيان ما كان عليه الرسل كلهم قبله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان، الآية: ٢٠).. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

---

(١) وحل: وقع في الوحل وهو في الطين، ثم والوجدد: ما استوى من الأرض.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١١/ ١٦٣) وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل وهو صحيح.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٤)، ١٥٠٩٥.

عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الفرقان، الآية: ٣١).

ويأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر والمصابرة، وبجهاد الكافرين بالقرآن: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (الفرقان، الآية: ٥٢) فأعظم الجهاد، جهاد المشركين بالقرآن العظيم.

ويأمره بالتوكل على مولاه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (الفرقان، الآية: ٥٨).

وصفات عباد الرحمن تذكر ما عليه أهل الإيمان من الصفات الكريمة مما يجعلهم قادة للبشرية، ولولا تلك القلوب المؤمنة التي تلتجئ إليه وتدعوه وتعبده وتؤمن به للزم البشرية العذاب: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الفرقان، الآية: ٧٧).

نزول سورة الرعد[1]:

هذه السورة يتركز الحديث فيها عن توحيد الألوهية، والوحي والبعث بعد الموت، فتحث على التفكر في الكون كله في السماوات، وفي الشمس والقمر، وفي الليل يغشاه النهار، وفي الأرض الممدودة وما فيها من الأنهار الجارية، والجنات والزروع والنخيل يختلف في الشكل والطعم واللون، وهو ينبت في أرض واحدة ويسقى بماء واحد.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

وفي البرق، والرعد يسبح بحمد الله، والملائكة تخضع وتخشع، والصواعق والسحاب الثقال، كل ذلك آيات دالة على عظمة الله وعلى استحقاقه للعبودية دون ما سواه.

وتعرض الآيات علم الله بالعباد في جميع أحوالهم، ويحصي ما تكنه صدورهم وما تسره نفوسهم، وتعرض الآيات مشاهد القيامة، وصور النعيم والعذاب، وتقف بالمشركين المكذبين على مصارع الغابرين، وفي سنة الله في المكذبين..

وتعرض الآيات لدعوة التوحيد مع دعوة الباطل، ويتقابل الذين يفرحون من أهل الكتاب بالقرآن مع من ينكر بعضه.

والكون كله يسجد لله ويعبده، والمشركون يأبون السجود لله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ (الرعد، الآية: ١٥) فلا يستوي المؤمنون والكفار: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ (الرعد، الآية: ١٩).

ويستمر العناد والاستكبار والتعنت من المكذبين ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ (الرعد، الآيات: ٢٧-٢٩).

فرق بين الفريقين بين العمى والبصيرة، وبين الضلالة والهداية.

وتتأكد الوصية للنبي ﷺ بالتوحيد والثبات عليه وعدم الالتفات لما يقوله المشركون من الكفر والشرك: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ

لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ (الرعد، الآية: ٣٠).

ويستمر تكذيبهم وجحودهم: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ (الرعد، الآية: ٤٣) فالله الذي يعلم صدق نبيه عليه الصلاة والسلام ولو كذب برسالته المشركون، وأهل الكتاب الذين يعلمون صدق نبوته.

السنة العاشرة من البعثة:

دخلت السنة العاشرة، ورسول الله ﷺ، محاصر في شعب أبي طالب، واستمرت هذه المقاطعة الظالمة ثلاثة أعوام متتابعة، لم يجرؤ أحد من بني هاشم وبني المطلب خلالها أن يدخل مكة إلا خفية، أو في شهر حرام، وقد ضربوا أروع الأمثلة في الصبر والاحتمال، وكان أبو طالب يعلن لقريش أنه سيظل مؤيدًا لمحمد ﷺ مهما بلغت التضحيات وعظمت المتاعب، واشتدت الكروب، وكثرت المحن.

نقض الصحيفة:

قام في نقض الصحيفة نفر من قريش رأوا أن فيها من الظلم والقطيعة ما يجب ازالته، وقد أبلى في نقضها بلاء حسنًا هشام بن عمرو بن الحارث، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه، وكان هشام لبني هاشم واصلا، وكان ذا شرف في قومه.

مشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو

بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء، وأخوالك حيث علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم؟، أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدًا.

قال: ويحك يا هشام، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر، لقمت في نقضها. قال: قد وجدت رجلا.، قال: من هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبغنا ثالثًا.

فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعًا.

قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: وجدت لك ثانيًا. قال: من؟ قال: أنا.

قال: أبغنا ثالثًا، قال قد فعلت قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال أبغنا رابعًا.

فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال نحو ما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل تجد أحدًا يعين على هذا؟ قال: نعم.

قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي وأنا معك.

قال: أبغنا خامسًا. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه

وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمى القوم.

فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام على الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل إلى الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل: وكان في ناحية المسجد: والله لا تشق.

قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت.

قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به.

قال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك.

قال أبو جهل: هذا أمر قد قضي بليل وتشووِر فيه بغير هذا المكان.[1]

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد.

---

(١) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (٢/ ١٧) والطبقات الكبرى١/ ١٨٧.

وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم» وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عبد شرحبيل بن هاشم من بني عبدالدّارِ فشلت يده.[1]

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: **«يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسمًا هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان»**، فقال: أربك أخبرك بهذا؟ قال: **«نعم»**.

قال: فو الله ما يدخل عليك أحد، ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها، وإن كان كاذبًا دفعت إليكم ابن أخي.

فقال القوم: قد رضينا، فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شرًا.[2]

فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا، ومزقت وبطل ما فيها[3]

وكان خروجهم في جمادى الثانية من سنة عشر من البعثة[4]

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل (٣/ ٣٥٤).

(٢) سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (٢/ ١٩).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٦٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١٥) والطبقات الكبرى١/ ١٨٧ وهو مرسل صحيح.

(٤) اختلف في مكوثهم في الشعب والراجح أنهم مكثوا سنتين وبضعة أشهر فمن جبر العدد قال ثلاث ومن حذفه قال سنتين كعادة العرب في حسابهم.

وقد كان حصار الشعب، وتقاسم المشركين على الكفر، للنبي ﷺ، ومن معه من المؤمنين الذين بقوا في مكّة، ولم يهاجروا مع إخوانهم أصحاب الهجرة الثانية إلى الحبشة مدرسة لهم في التضحيات.

وكانت هذه المحنة تربية للنبي ﷺ، وأصحابه لتحمّل أعباء الدعوة إلى الله، وتبليغ الرسالة، وكان ما فيها من الشدائد والمحن تمحيص لعزائم أهل الإيمان.

انشقاق القمر:

عن أنس، أن أهل مكّة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما [1]

وعن عبد الله بن مسعود، قال:انشقّ القمر على عهد النبي ﷺ شقّين، فقال النبي ﷺ: «**اشهدوا**» [2].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما: أن القمر انشقّ زمان النبي ﷺ [3].

نزول سورة القمر[4]:

هذه السورة تعرض مشاهد القيامة في أولها، وفي ختامها، وبينهما عرض لمصارع المكذبين من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وملائه.

فقد اتهم الرسول ﷺ بالسحر لما رأوا انشقاق القمر، فقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟

---

(١) صحيح البخاري ٣٦٣٧، وانظر ٣٨٦٨، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨، وصحيح مسلم ٢٨٠٢.

(٢) صحيح البخاري ٣٦٣٦، وانظر ٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥، وصحيح مسلم ٢٨٠٠.

(٣) صحيح البخاري ٣٦٣٨، وانظر ٣٨٧٠، ٤٨٦٦.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

أَهْوَآءَهُمْۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ (القمر، الآيات: ١-٥) ومع اقتراب الساعة، ووقوع هذا الحادث الكوني، ورؤيتهم للآيات قلوبهم تتمادى في العناد، والاستكبار، وتصر على الضلال والغواية، ولا تتأثر بالوعيد كما لا تتأثر بالآيات

وتعرض الآيات لمشهد القيامة والبعث بعد الموت ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ وتعرض الآيات قصة نوح مع قومه وما قابلوه به من التكذيب وما وقع من العذاب عليهم آية للأجيال والأمم ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر، الآية: ١٥) يتذكر ويعتبر؟ فهؤلاء المكذبين من قريش أينتظرون مثل الأمم قبلهم؟

وتعدد الآيات مصارع عاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه، وتذكر الآيات ما أعده الله للمكذبين من العذاب الأخروي ومصير كل شقي، مع مالهم في الدنيا من العذاب والهزيمة والذلة والصغار، فهذه مصارع المكذبين، «فهل من مدكر؟» فهل يتذكر ويعتبر كفار قريش بهم.

وكل أعمالهم مكتوبة في الصحائف ليوم الحساب: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (القمر، الآية: ٥٣) وتختم السورة بصورة المتقين الأبرار الذين صبروا وثبتوا ونصروا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ (القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥).

نزول سورة إبراهيم[1]:

هذه السورة تؤكد على وجوب التوحيد، وعلى البعث والحساب والجزاء، وتضمنت وحدة دعوة الأنبياء في دعوتهم إلى التوحيد، ووقوفهم ضد الشرك والوثنية.

وحقيقة نعمة الله على البشر بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وزيادة النعم تكون بالشكر وحال أكثر الناس مقابل النعم هو الجحود والكفران.

فقد بعث الله رسوله بالكتاب لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم، الآية: ١) فقد جاءهم رسول الله ﷺ يريد إخراجهم من الظلمة والحيرة والشك والشرك إلى النور والتوحيد واليقين والإيمان فأبوا وكذبوا وجحدوا.

والقرآن تذكرة وتبليغ الناس بالتوحيد ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ (إبراهيم، الآية: ٥٢).

وفي الآيات ذكر موسى عليه السلام فقد بعث بما بعث به محمد ﷺ، ولمثل ما أرسل به: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ والرسل وظيفتهم البيان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ لا يملك النبي أن يأتي بمعجزة إلا بإذن الله، وحين يشاء الله ضلالهم، فالنبي لا يملك أن يهدي قومه أو يضلهم، فالهدى والضلال من الله.

وبشرية الرسل هي حجة المكذبين في رد دعوتهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم، الآية: ١٠) وإخراج الناس من الظلمات إلى النور إنما هو ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وكل رسول يبين لقومه ويبلغهم رسالة ربه ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم، الآية: ٤).

وتؤكد الآيات صدق وعد الله لرسله وللمؤمنين، بالنصر والتمكين في الأرض، وفي الآخرة بعذاب المكذبين ونعيم المؤمنين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ (إبراهيم، الآيات: ١٣-١٥).

وتبين الآيات مصير المؤمنين في يوم القيامة: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ (إبراهيم، الآية: ٢٣) ومصير الكافرين ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾

(إبراهيم، الآيتان: ٤٩، ٥٠).

وتظهر الآيات حقيقة كلمة التوحيد وثباتها في قلوب المؤمنين: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥).

وتظهر الآيات حقيقة كلمة الشرك في خبثها وزوالها ونهايتها: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (إبراهيم، الآيتان: ٢٦، ٢٧) فكلمة التوحيد هي الباقية الثابتة وكلمة الكفر والشرك هي الزائلة، وأعمال المشركين في الدنيا تزول ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ (إبراهيم، الآية: ١٨).

وتظهر الآيات مشهد رسل الله في دعوتهم إلى التوحيد، وفي المقابل الأمم المكذبة لهم ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ (إبراهيم، الآية: ٩).

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

حوار يتجدد في كل أمة، فما كان في الأمم السابقة حصل لهذه الأمة، فلقي رسول الله ﷺ، ما لقي إخوانه من الأنبياء من التكذيب والعناد والصدود.

وفي يوم القيامة يتنهي الصراع بين الشرك والإيمان: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِىۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ (إبراهيم، الآيات: ٢١-٢٣).

فهمها طغوا ومكروا وظلموا فإن الله مجازيهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ (إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣).

فقد مكروا وخططوا، وأردوا طمس الحق ومحاربة التوحيد ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ (إبراهيم، الآيات: ٤٦-٥٠).

ويتمثل الصبر والشكر في إبراهيم عليه السلام في موقف واحد، وفي دعاء جامع، عند البيت الله الحرام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ (إبراهيم، الآيات: ٣٥-٤١).

دعا لهذا البيت وأهله بالخيرات والبركات، ودعا بالثبات على التوحيد

والبراءة من الشرك، إنه التاريخ الأصيل لهذا النبي الكريم محمد ﷺ، فهو دعوة الخليل لأهل هذا البلد، وفي ذلك بشارة خفية للنبي ﷺ بالنصر والتمكين.

ولكن الكفار بدلوا النعمة وأحلوا في ديارهم النقمة، فبدلوا التوحيد بالشرك، والإيمان بالكفر ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ (إبراهيم، الآية: ٢٨) وفي ذلك بشارة للنبي ﷺ بهلاك المكذبين أهل الشرك والعناد والاستكبار، وذلك في بدر بعد عدة سنوات.

مرض أبي طالب ودعوة الرسول ﷺ له:

عن أنس، قال: مرض أبو طالب فعاده النبي ﷺ، فقال: يا ابن أخي، ادع ربّك الّذي بعثك يعافيني. فقال: «**اللَّهمّ اشف عمّي**». فقام كأنما نشط من عقال، فقال: يا ابن أخي، إن ربك ليطيعك، فقال: «**وأنت يا عمّاه لو أطعته ليطيعنك**»[1].

وعن ابن عباس قال مرض أبو طالب فجاءه رسول الله ﷺ يعوده[2].

اجتماع رؤوس الكفر عند أبي طالب

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مرض أبو طالب، فجاءت قريش، فجاء النبي ﷺ، وعند رأس أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك، وشكوه إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟ قال: «**يا عمّ، إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب، وتؤدّي إليهم بها جزية العجم**»، قال: كلمة واحدة"!

قال: ما هي؟ قال: «**لا إله إلا الله**»! قال: فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾

---

(١) المستدرك (١/ ٧٢٧) ١٩٩١ والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٩٧) والمعجم الأوسط (٤/ ٢٠٠) ٣٩٧٣ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨٠٧ (٢/ ٣٠٠) رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الهيثم بن جماز البكاء وهو ضعيف.

(٢) مصنف عبدالرزاق (٦/ ٣٦) ٩٩٢٤ وهو صحيح ويشهد لما فيه.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ⑦﴾ (ص، الآيات: ٥-٧)[١].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه– قال: نزل ص والقرآن ذي الذكر فيهم وفي مجلسهم ذلك يعني مجلس أبي طالب، وأبي جهل واجتماع قريش إليهم، حين نازعوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم[٢].

نزول سورة ص[٣]:

هذه السورة تدعو إلى التوحيد، والايمان بالوحي، واليوم الآخر، وتعرض الآيات الكريمة دهشة كبار المشركين من قريش لدعوة النبي ﷺ لهم إلى توحيد الله وإخبارهم بقصة الوحي واختياره رسولا إليهم من عند الله: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ④ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ⑤ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ⑥ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ⑦ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ (ص، الآيات: ٤-٨).

وتعرض الآيات استهزاءهم واستنكارهم للعذاب: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ⑯﴾ (ص، الآية: ١٦).

ومن سخريتهم بالنبي ﷺ انكارهم أن يختار الله رجلا منهم، لينزل عليه القرآن. فجاءهم السؤال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ⑨ أَمْ لَهُم مُّلْكُ

---

(١) سنن الترمذي ٣٢٣٢ ومسند أحمد ٢٠٠٨ والمستدرك ٣٦١٧ وسنن النسائي الكبرى (٥/ ٢٣٥) ٨٧٦٩وقال الحاكم صحيح ووافقه الذهبي.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٦١٨ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠﴾ (ص، الآيتان: ٩، ١٠).. فجميع الخلق لايملكون شيئًا، والله يهب رزقه ورحمته من يشاء. و يختار من عباده من يشاء، فقد وهب الله داود وسليمان النبوة والملك، وسخر الجبال والطير، والجن والريح

وذكر دواد وسليمان عليهما السلام توجيه للنبي ﷺ إلى الصبر على ما يلقاه من المكذبين، وسؤال الله من فضله.

وقصة أيوب عليه السلام تمثل الابتلاء للمخلصين من العباد بالضراء، وصبر الأنبياء، فكانت له حسن العاقبة، وفي ذكر هذه القصة تسلية للرسول ﷺ وللمؤمنين، عما كانوا يلقونه من الضراء والبأساء في مكة وتذكير إلى ما بعد الابتلاء من رحمة الله.

وتذكر الآيات هؤلاء المشركين بمصارع الغابرين، الذين طغوا وتجبروا وتكبروا على الرسل والمؤمنين، كيف انتهوا إلى الهزيمة والخذلان: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٌ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٍ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾ (ص، الآيات: ١١-١٤).

وتعرض الآيات مصير الفريقين، تصور النعيم الذي ينتظر المتقين. والجحيم التي ينتظر المكذبين. حين يرى المتكبرون مصيرهم ومصير الضعفاء، الذين يستهزئون بهم ويسخرون منهم ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥١ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ٥٢﴾ (ص، الآيات: ٥٠-٥٢).. وفي المقابل: ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ

حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ (ص، الآيات: ٥٦-٥٨).. وهم يتخاصمون في النار: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ (ص، الآيتان: ٦٢، ٦٣).

وتختم السورة أن دعوة النبي ﷺ لهم إنما هي لنجاتهم، وهو مبلغ عن رب العالمين وهو لا يطلب على ذلك أجرًا،: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ (ص، الآيات: ٨٦-٨٨).

وفاة أبي طالب:

في رمضان من السنة العاشرة من المبعث توفي أبو طالب عم النبي عليه الصلاة والسلام، بعد الخروج من الشِّعب.

عن سعيد بن المسيّب عن أبيه أنه أخبره:أنه لمَّا حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «**يا عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة، أترغب عن ملّة عبد المطّلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: هو على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنْهَ عنك**»، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾(التوبة، الآية: ١١٣).

زاد مسلم: فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾

وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (القصص، الآية: ٥٦) [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «**قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة**». قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٢].

وعن علي بن أبي طالب: "أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات فقال له ﷺ: «**اذهب فواره**». فقال: إنه مات مشركًا فقال: «**اذهب فواره**»، فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ فقال لي: «**اغتسل**». [٣]

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» [٤].

وعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل نعلين من نار، يغلي منهما دماغه**»[٥].

---

(١) صحيح البخاري: ٣٨٨٤، وصحيح مسلم ٢٤.

(٢) صحيح مسلم ٢٥.

(٣) مسند أحمد٧٥٩ وسنن أبي داود رقم:٣٢١٤وسنن النسائي (١/ ١١٠) ١٩٠ وصححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري ٣٨٨٣.

(٥) مسند احمد ٢٦٣٦وهو في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير.

وفاة خديجة رضي الله عنها:

ماتت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام، في رمضان من السنة العاشرة من الهجرة.

عن الزبير، قال توفيت خديجة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين[١] وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها همومه فتواسيه، وتسليه وتبعث في قلبه التفاؤل والصبر والثبات.

توفيت وعمرها يومئذ ثلاث وخمسين سنة، فخرجوا بها من منزلها حتى دفنوها بالحجون، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها، ولم تكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها[٢].

وكانت مدة إقامتها معه خمسًا وعشرين سنة، تؤازره في أصعب المواقف، وتعينه على تبليغ الدعوة، وتشاركه الآلام والمصاعب، وتواسيه بنفسها ومالها، يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها دفء المشاعر وصدق المواساة والعون، قال صلى الله عليه وسلم: **«آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها، إذا حرمني أولاد النساء»**[٣].

توفيت الزوجة الوفية البرة التقية النقية الطاهرة، وافتقدها النبي صلى الله عليه وسلم، افتقد ذلك الحب وتلك المودة، افتقد المواساة والعون.

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٧١) ٣٨٩٦.

(٢) وقبرها معروف الآن في مقبرة المعلاة بمكة.

(٣)مسند أحمد٢٤٨٦٤ والطبراني في المعجم الكبير ١٨٥٥٥ وهو حسن.

عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ﷺ هذه خديجة، قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب (١).

لم ينسها المصطفى ﷺ، ولايزال يذكرها حتى توفاه الله، يصل صديقاتها وأقاربها وفاء وإحسانًا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها. قالت وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: « **أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**». قالت فأغضبته يومًا فقلت خديجة فقال رسول الله ﷺ: «**إني قد رزقت حبها**». (٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك فقال: «**اللهم هالة بنت خويلد**». فغرت فقلت وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرًا منها (٣).

وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – عن النبي ﷺ قال: «**خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة**» فهن خير نساء السماء والأرض(٤).

---

(١) صحيح البخاري ٣٨٢٠ وصحيح مسلم ٦٤٢٦.

(٢) صحيح البخاري٣٦٠٧ وصحيح مسلم ٦٤٣١.

(٣) صحيح البخاري٣٦١٠ وصحيح مسلم٦٤٣٥

(٤) أخرجه البخاري٣٦٠٤ومسلم ٦٤٢٤

توفيت خديجة ولها من الأولاد:

١-هند بنت أبي هالة مالك بن النباش بن زرارة التميمي الأسدي حليف بني عبد الدار بن قصي.

٢-هالة بن أبي هالة.

٣-طاهر بن أبي هالة.

٤-هند بنت عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [1] تزوجها صيفي بن أمية بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمها فولدت له محمد بن صيفي، فولد محمد يقال لهم بنو الطاهرة لمكان خديجة [2].

٥- زينب بنت رسول الله ﷺ تزوجت بأبي العاص بن الربيع.

القرشي خالته خديجة رضي الله عنهم، وأمه هالة بنت خويلد.

٦- رقية بنت رسول الله ﷺ تزوجت بعثمان بن عفان رضي الله عنه.

٧- أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ تزوجت بعثمان بن عفان رضي الله عنه.

٨- فاطمة بنت رسول الله ﷺ تزوجت بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

توفيت خديجة ورسول الله ﷺ في بيتها وابنتيه أم كلثوم وفاطمة عنده في البيت.

---

(١) انظر أسد الغابة (ص: ١٣٣٧)ونسب قريش (ص: ٣٣٤).

(٢) انظر: أسد الغابة (ص: ١٣٣٧)، ونسب قريش (ص: ٣٣٤).

قدوم وفد من النصارى:

قدم وفد النصارى على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة، حين ظهر خبره من أرض الحبشة، فوجدوه في المجلس، فكلموه وسألوه، ورجال قريش في أنديتهم حول الكعبة.

فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا من عنده، اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبًا أحمق منكم.

فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، وفيهم نزلت هذه الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (القصص، الآيات: ٥٢-٥٤).

وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين»(١).

عن أبي أمامة، قال: «قدم وفد النجاشي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام يخدمهم، فقال أصحابه نحن نكفيك، فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافئهم» (٢).

نزول سورة القصص(٣):

نزلت هذه السورة، تصف ماكان عليه المشركون من النفوذ والغلبة والقوة والطول والجاه والاستكبار والصدود عن الحق، والمسلمون في مكة قلة قليلة يستضعفون في الأرض.

وتذكر الآيات قصة موسى وفرعون، فرعون الذي طغى وتجبر واستكبر، علا في الأرض، واستضعف بني إسرائيل، يذبح أبناءهم، ويبقي نساءهم للخدمة، وهو على حذر منهم.

فالقصة متشابهة في المعنى والواقع، فمع طغيان المتجبر والمستكبر، إلا إنه يخشى ظهور هؤلاء المستضعفين فيزيد في الطغيان والاستبداد.

ومع حذر فرعون ويقظته، لم يغن عنه شيئًا، فحفظ الله موسى عليه السلام، وأدخل بيت فرعون وأحبته امرأته واتخذته ولدًا لها، فوقع ما يحذره ويخشاه.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٠٦) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٠).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٠٧) ومعجم الشيوخ، (ص٩٧) ٤٣ وقال ابن أبي حاتم حديث باطل وضعفه الألباني فيه طلحة بن زيد.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

وتعرض الآيات للوفد الذي وفد على رسول الله ﷺ من الذين أوتوا الكتاب من النصارى، وكيف استقبلوا آيات القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ (القصص، الآيات: ٥٢-٥٥).

وتعرض الآيات لموقف النبي ﷺ، مع عمه حيث حرص على هدايته ردًا للجميل الذي قدمه من النصرة والحمية والدفاع عنه، لكن الهداية بيد الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾. فكانت الآية تعزية للنبي ﷺ وتسلية له في فقد عمه.

وتؤكد الآيات سنة الله التي لا تتخلف ولا تتبدل على مر الزمان فيمن طغى، وتجبر وعلا. وقد قال المشركون لرسول الله ﷺ: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ (القصص، الآية: ٥٧). فاعتذروا عن الإيمان بالخوف من الناس.

فجاءت قصة موسى وفرعون، تبين لهم مكان الأمن، وأين يكون مكان الخوف، وتؤكد أن الأمن إنما يكون في توحيد الله، وبالإيمان بالله، والخوف يكون في الشرك والكفر.

وقد أنعم الله عليهم بنعمة الأمن في حرم الله، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص، الآية: ٥٧).. فهو سبحانه الذي آمنهم من الخوف فجعل لهم البلد الآمن، وهو القادر على أن يسلبهم الأمن، إذا كفروا وبطروا: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾ (القصص، الآية: ٥٨).

ويخوفهم القرآن عاقبة كفرهم بالرسول عليه الصلاة والسلام، وقد مضت سنة الله بإهلاك المكذبين: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ (القصص، الآية: ٥٩).

ثم تعرض الآيات مايكون عليه المشركون في يوم القيامة حين يتخلى عنهم الشركاء: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۝٦٣ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ۝٦٤﴾ (القصص، الآيات: ٦٢-٦٥).

وتعرض الآيات قصة قارون الذي طغى بماله وتكبر، فخسف الله به وبداره الأرض، فلم يغن عنه ماله، فهؤلاء المكذبين من مشركي العرب الذين آذوا رسول الله ﷺ واغتروا بأموالهم فمصيرهم مصير قارون، فقد بغى فرعون على

بني إسرائيل واستطال بالقوة والملك، وبغى قارون عليهم بالعلم والمال فكانت النهاية واحدة.

و يأتي الوعد الصادق من الله لرسوله الكريم ﷺ أنه بعد إخراجه من مكة، أن يرده منصورًا مؤزرًا إلى بلده.

فقد عاد موسى عليه السلام إلى مصر وقد خرج منه خائفًا طريدًا. وأخرج معه بني إسرائيل واستنقذهم، وأهلك الله فرعون وجنوده.

وتختتم السورة بالتأكيد على التوحيد: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾ (القصص، الآية: ٨٨).

عرض نفسه على القبائل:

١ - عرضه نفسه على بني عامر بن صعصعة:

أتى النبي ﷺ بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس، والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من يخالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟؛ فقال له رسول الله: «**الأمر لله يضعه حيث شاء**»، فقال الرجل: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.

فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم مجرب كان قد أدركه السن،

فحدثوه بخبر رسول الله ﷺ وما قالوه له، فوضع يده على رأسه متأسفًا على ما فاتهم من فضل إتباعه وإيوائه، وأقسم لهم بأنه ما تقوّلها إسماعيلي قط، يعني أحد من ولد إسماعيل وإنها لحق، وإن رأيكم غاب عنكم[1].

إسلام رجل من بني عامر:

عن ابن عباس، قال: أتى النبي ﷺ رجل من بني عامر، فقال: يا رسول الله، أرني الخاتم الذي بين كتفيك، فإني من أطب الناس، فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا أريك آية**»؟ قال: بلى، قال: «**فنظر إلى نخلة**»، فقال: «**ادع ذلك العذق**»، قال: فدعاه، فجاء ينقز، حتى قام بين يديه، فقال له رسول الله ﷺ: «**ارجع**»، فرجع إلى مكانه، فقال العامري: يا آل بني عامر، ما رأيت كاليوم رجلا أسحر[2].

وعن ابن عباس، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال بم أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله؟ فدعاه رسول الله ﷺ، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ، ثم قال: ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي[3].

وفي رواية الطبراني عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال:«**إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله**»؟قال: نعم فجاء العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقز، حتى أتى النبي ﷺ ثم قال له:ارجع فرجع حتى عاد إلى مكانه فقال: أشهد أنك رسول الله وآمن[4].

---

(١) انظر السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٤)،والطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢١٦.

(٢) مسند أحمد ١٩٥٤ وهو صحيح.

(٣) سنن الترمذي ٣٦٢٨ وهو صحيح.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٢٤٥٦.

٢- عرضه نفسه على بني شيبان

عن عليّ بن أبي طالب في خروجها هو وأبو بكر مع رسول الله ﷺ، قال عليّ: وكان أبو بكر في كل خير مقدّمًا فقال: ممن القوم؟ فقالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمّي، هؤلاء غرر في قومهم، وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، ومثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولسانًا، وكانت له غديرتان، وكان أدنى القوم مجلسًا من أبي بكر رضي الله عنه، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف، ولن تغلب الألف من قلّة، فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد ولكل قوم جد، فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوّكم؟ فقال مفروق: إنا لأشدّ ما نكون غضباً حين نلقى، وإنا لأشدّ ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرّة، ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش، فقال أبو بكر: أو قد بلغكم أنه رسول الله، فها هو ذا، فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فقال: **«أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّي رسول الله، وأن تؤووني وتنصروني؛ فإن قريشًا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»**.

فقال مفروق: وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ (الأنعام، الآية: ١٥١).

فقال مفروق: وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (النحل، الآية: ٩٠).

فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذّبوك، وظاهروا عليك، وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: هذا هانئ بن قبيصة، شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش، وإنّي أرى إن تركنا ديننا، واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا، ليس له أول ولا آخر، زلّة في الرأي، وقلّة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلّة مع العجلة، ومن ورائنا قوم، نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر وتنظر، وكأنه أحبّ أن يشرك في الكلام المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة، شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا، واتباعنا دينك، لمجلس جلسته إلينا، ليس له أول ولا آخر، وإنا إنما نزلنا بين صَريي اليمامة السماوه فقال رسول الله ﷺ: «ما هذان الصريان»؟ فقال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وأما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حديثاً، ولا نؤوي محدثاً، وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه أنت، هو مما يكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم في الصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من أحاط من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدّسونه»**؟.

فقال النعمان بن شريك، اللهم لك ذا، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦).

ثم نهض رسول الله ﷺ فأخذ بيدي، فقال: يا أبا بكر، يا أبا حسن، أيّة أخلاق في الجاهليّة؟ ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتجاوزون فيما بينهم)[1].

٣- عرضه نفسه على قبيلة عبس:

عن عبد الله بن وابصة العبسي، عن أبيه، عن جده قال: جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا أي منازل بني عبس بمنى، ونحن نازلون بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف وهو على راحلته مردفًا خلفه زيد بن حارثة، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا قال: وقد كنا سمعنا به وبدعائه في الموسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي فقال: أحلف بالله لو صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط رحالنا لكان الرأي؛ فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ، فقال له القوم: دعنا عنك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به، فطمع رسول الله ﷺ في ميسرة فكلمه فقال ميسرة: ما أحسن كلامك وأنوره، ولكن قومي يخالفونني، وإنما الرجل بقومه فإن لم يعضدوه فالعدى أبعد، فانصرف رسول الله ﷺ، وخرج القوم صادرين إلى أهلهم فقال لهم ميسرة: ميلوا بنا إلى فدك، فإن بها يهود نسألهم عن هذا الرجل فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفرًا لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ: النبي الأمي العربي يركب الجمل ويجتزئ

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٢٢) واللفظ له، ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢٨٢) وإسناده جيد.

بالكسرة وليس بالطويل، ولا بالقصير ولا بالجعد، ولا بالسبط في عينيه حمرة مشرب اللون فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه، وادخلوا في دينه فإنا نحسده فلا نتبعه ولنا منه في مواطن بلاء عظيم، ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه أو قاتله، فكونوا ممن يتبعه فقال ميسرة: يا قوم إن هذا الأمر بيّن قال القوم: نرجع إلى الموسم فنلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذاك عليهم رجالهم، فلم يتبعه أحد منهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وحج حجة الوداع لقيه ميسرة فعرفه، فقال: يا رسول الله والله ما زلت حريصًا على اتباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان، وأبى الله إلا ما ترى من تأخير إسلامي وقد مات عامة النفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا نبي الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار»**، فقال: الحمد لله الذي أنقذني فأسلم فحسن إسلامه[1].

٤- عرضه نفسه على قبيلة همدان

عن جابر بن عبد الله، قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: **«هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»**، فأتاه رجل من همدان فقال: **«ممن أنت»**؟ فقال الرجل: من همدان قال: **«فهل عند قومك من منعة»**؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم، فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل، قال: **«نعم»**، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب[2].

---

(١) البداية والنهاية ط هجر (٤/ ٣٦١)ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٩٣)وأسد الغابة ط الفكر (٤/ ٥٠٩) ٥١٤٨.

(٢) مسند أحمد ١٥١٩٢ وهو صحيح.

وفد الأوس إلى قريش وإسلام إياس بن معاذ:

قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة، ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: «**هل لكم في خير مما جئتم له**»؟ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: «**أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل علي الكتاب**».

قال: ثم ذكر لهم الإِسلام وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ وكان غلامًا حدثًا: أي قوم وهذا والله خير مما جئتم له. قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، وقال قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلمًا. لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع[1].

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٣٠) ٢٣٦١٩ و الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٦٧) ٣٨٧ ٢٣٦١٩وأسد الغابة ط الفكر (١/ ١٨٦) ٣٤٧وهو حسن.

زواج النبي ﷺ بسودة بنت زمعة:

هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدُ وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

أمها: الشموس بنت زيد بن عمرو من بني النجار، من الأنصار، وكانت قبل النبي ﷺ عند السكران بن عمرو، أسلمت بمكة قديمًا، وهاجرت هي وزوجها إلى الحبشة الهجرة الثانية، مات زوجها بمكة بعد رجوعه إلى مكة، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، وانفردت به نحوًا من أربع سنين، وهي سيدة جليلة ونبيلة.

وكانت رأت في النوم كأن رسول الله ﷺ وطىء على عنقها، فأخبرت السكران بذلك. فقال: لئن صدقت رؤياك، لأموت، وليتزوجك محمد. فقالت: حجرًا وسترًا. ثم رأت ليلة أخرى كأن قمرًا انقض عليها من السماء. فتزوّجها النبي ﷺ.

فإنه لما توفيت خديجة، جاءت خولة بنت حكيم امرأةُ عثمان بن مظعون، فعرضت على رسول الله ﷺ التزويج. فقال: بمن؟ قالت: بسودة وعائشة رضي الله عنهما فزوّجها إياه أبوها وهو شيخ كبير.

وتوفيت في سنة ثلاث وعشرين. وصلى عليها عمر بن الخطاب. ويقال إنها توفيت في خلافة عثمان، ولها نحوًا من ثمانين سنة[1].

---

(١) انظر شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين (ص: ١٥)و أنساب الأشراف (١/ ١٨١).

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا.

قال: فمن البكر؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة ابنة أبي بكر.

قال: ومن الثيب؟ قالت سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك.

قال: فاذهبي فاذكريهما علي.

فخرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ ! قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

قالت: وددت، ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له، وكان شيخًا كبيرًا قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم.

قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبدالله أخطب عليه سودة.

فقال: كفء كريم، ما تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك.

قال ادعيها إلى. فدعتها، قال: أي بنية، إن هذه تزعم أن محمدًا بن عبدالله بن عبدالمطلب قد أرسل يخطبك، وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك به؟ قالت: نعم.

قال: ادعيه لي. فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.

فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج، فجعل يحثي على رأسه التراب.

فقال بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة ! [1]

---

(١) مسند أحمد ٢٥٧٦٩ والمعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٢٧٨) ١٩٥٧٦ وهو حسن.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما رأيتُ امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة**»[١].

السنة الحادية عشرة من البعثة:

دخلت السنة الثالثة عشرة من بعثة النبي ﷺ، وقد فقد النبي ﷺ عمه الذي يناصره ويحوطه ويدافع عنه، وفقد زوجته التي كانت تسليه وتثبته وتمسح عنه ألم المشقة والأذى، وأصبح وحيدًا.

اشتداد الأذى على رسول الله بعد وفاة أبي طالب:

نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابًا.

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال: لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: «**لا تبكي يا بنية، فإن الله مانع أباك**». قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه، حتى مات أبو طالب.[٢]

وفي البخاري، عن عروة بن الزبير، قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ؟ فقال: بينما النبي ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ١٤٦٣.

(٢) الروض الأنف ت الوكيل (٤/ ١٤).

يصلي في الحجر، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فأقبل أبوبكر ﷺ فأخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (غافر، الآية: ٢٨) الآية)[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يصلي عند الكعبة، وقريش في مجالسهم في المسجد، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور بني فلان، فيجيء بسلاها فيضعه بين كتفيه إذا سجد؟ فانبعث أشقاهم- وفي رواية: أنه عقبة بن أبي معيط ففعل ذلك، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، وثبت النبي ﷺ ساجدًا، فانطلق منطلق إلى فاطمة رضي الله عنها- وهي يومئذ جويرية - فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاثًا، ثم سمى رجالا [٢]. قال عبد الله: فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب - قليب بدر [٣].

---

(١) صحيح البخاري، ٣٦٤٣.

(٢) وهم: عمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد.

(٣) صحيح البخاري، ٢٣٧- ٤٩٨.

خروج النبي ﷺ إلى الطائف:

خرج النبي ﷺ إلى الطائف يلتمس النُصرة من ثقيف، فلم يجد ما كان يتمنّاه من النصر والتمكين، بل ناله منهم ما لم ينله من أحد قط.

عن عائشة رضي الله عنها: قالت: قلت للنبي ﷺ: «**هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد**»؟ قال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمر بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال يا محمَّد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، قال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[١].

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن زياد، عن محمَّد بن كعب القرظي، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف، وعند أحدهم امرأة من قريش من

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١) و مسلم (١٧٩٥).

بني جمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإِسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه؛ فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة [١] إن كان الله أرسلك؛ وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا. لئن كنت رسولًا من الله كما تقول؛ لأنت أعظم خطرًا من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي علي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم - فيما ذكر لي -: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه، فيذئرهم ذلك عليه.

فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظلّ حبلة من عنب، فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف.

قال: فلما رآه ابنا ربيعة، عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له عداس، فقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه. ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده، قال: باسم الله، ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه، ثم قال: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: **«ومن أهل أي البلاد أنت يا عدّاس، وما دينك»**؟ " قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال

---

(١) معنى ذلك هو يمزق ثياب الكعبة إن محمد رسولا.

رسول الله ﷺ: «**من قرية الرجل الصالح يونس بن متى**»؛ فقال له عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي**»، فأكب عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك يا عدّاس! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلّا نبي، قالا له: ويحك يا عدّاس، لا يصرفنّك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.[1]

فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال - فيما ذكر لي-: «**اللَّهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[2].

---

(١) أخرج قصة خروجه ﷺ إلى الطائف بطولها ابن هشام: ١/ ٤١٩ والطبري في التاريخ: ٢/ ٣٤٤ - ٣٤٦ وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤١٥)ووالطبراني كما في مجمع الزوائد: ٦/ ٣٥، بسند صحيح عن ابن إسحاق عن محمّد بن كعب القرظي مرسلًا وله شواهد يتقوى بها.

(٢) أخرجه الطبراني الدعاء (ص: ٣١٥) ١٠٣٦ وفي المعجم الكبير (١٣/ ٧٣) ١٨١ ومن طريق الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٣/ ٤٣٣) ١٦٢ قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق؛ وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات» وضعفه الألباني في الضعيفة ٢٩٣٣.

وعن خالد العدواني: "أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس، أو عصًا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: فسمعته يقرأ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ حتى ختمها، قال: فوعيتها في الجاهلية: وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإِسلام قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقًّا لاتبعناه"[1].

عن رقيقة الثقفية قالت لما جاء النبي ﷺ يبتغي النصر بالطائف دخل عليَّ فأخرجت له شرابًا من سويق فقال يا رقيقة لا تعبدي طاغيتهم ولا تصلي إليها قالت إذا يقتلوني قال فإذا صليت فوليها ظهرك ثم خرج من عندي.

وفي لفظ آخر قال فإن جاءوك فقولي ربي رب هذه الطاغية ووليها ظهرك إذا صليت قالت أميمة فحدثني أخواي وهب وسفيان ابنا قيس قالا لما أسلمت ثقيف قال لنا النبي ﷺ ما فعلت أمكما قالا ماتت على الحال التي فارقتها عليها قال أسلمت أمكما إذن[2].

---

(١) مسند أحمد١٨٩٥٨ وانظر صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٤٠) ١٧٧٨ وضعفه الألباني.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٦٤٧) ١١١٧٧-(٣/ ١٢٨) ٣٣٢٨.

استماع الجن إلى قراءة النبي ﷺ:

فلما نزل النبي ﷺ نخلة بعد مرجعه من الطائف قام يصلي من الليل فصرف إليه نفر من الجن، سبعة من أهل نصيبين، فاستمعوا إليه، وهو يقرأ سورة الجن، ولم يشعر بهم رسول الله، ﷺ، حتى نزلت عليه: وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن؛ فهم هؤلاء الذين كانوا صرفوا إليه بنخلة، وأقام بنخلة أيامًا. (١)

وعن ابن عباس قال انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا ما لكم، فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب قال ما حال بينكم وبين خبر السماء، إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ (الجن، الآية: ١) وإنما أوحي إليه قول الجن. (٢)

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢١٢).

(٢) صحيح البخاري ٤٩٢١.

نزول سورة الجن:

في هذه السورة ذكر الجن وهم من مخلوقات الله خلقهم من النار، وكلفهم بالأعمال والتوحيد والإخلاص واتباع الرسل، وقد استمعوا للقرآن فأمنوا به وصدقوا رسالة النبي ﷺ، وقالوا لقومهم لما رجعوا إليهم، إنا سمعنا كلامًا مقروءًا عجبًا في فصاحته وبلاغته، و عجبًا في مواعظه و في بركته، يهدي إلى مراشد الأمور، وهي الحقّ والصواب، و إلى توحيد الله، فصدّقنا به بأنه من عند الله ولن نتخذ مع الله إلهًا آخر؛ لأنه المتفرّد بالربوبية، فهو المتفرد بالألوهية وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجنّ بسماع القرآن مرّة واحدة، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرّات متعدّدة، وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم يتلوه عليهم بلسانهم.

فأفرد الجن ربهم بالعبادة، وعظموه وقالوا ارتفعت عظمة ربنا وجلاله، وآلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه، وتعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، فنزهوا الله تعالى جل جلاله وعظمته، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن، ونزهوه عن اتخاذ الصاحبة والولد، وأنه كان يقول إبليس على الله جورًا، و ظلمًا كبيرًا، وقد كانوا قبل إسلامهم، يقولون على الله باطلا وزورًا؛ وقد كان من عادة العرب في جاهليتها أنهم يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم خوفًا وإرهابا

وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، وقد ظن الجن كما ظن الإنس أن لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا، وحين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه الله له أن السماء ملئت حرسًا شديدًا، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق، وهذا من لطف الله بخلقه ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز.

والجن منهم المؤمنون الصالحون ومنهم الكفار فصاروا طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، فمن أسلم منهم فقد طلب لنفسه النجاة، وأما الكافرون فهم وقود جهنم تسعر بهم، ولو أنهم آمنوا واستقاموا على الإسلام لوسع الله عليهم أرزاقهم،

ولما دعا النبي ﷺ إلى التوحيد، اجتمعت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه، وفي يوم القيامة حين يرى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدو، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل؟ بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عددًا من جنود الله عز وجل.

دخول النبي ﷺ في جوار المطعم بن عدي:

في طريق النبي ﷺ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم، يعني قريشًا، وهم أخرجوك؟ فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه، ثم انتهى إلى حراء، فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي: أدخل في جوارك؟ فقال: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول الله، ﷺ، ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدًا فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله، ﷺ، إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدي وولده مطيفون به(١).

إنه التفاؤل وحسن الظن بالله واليقين ففرج الله عنه ودخل مكة مؤيدًا مكرمًا معززًا.

وعن محمد بن جبير، عن أبيه، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له(٢).

وهذا من وفائه ﷺ فإن له يدًا، بإجارته له حين رجع النبي ﷺ من الطائف

وعن جبير قال: مات المطعم بن عدي قبل وقعة بدر، وله بضع وتسعون سنة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢١٢).

(٢) صحيح البخاري٣١٣٩.

نزول سورة الطور[1]:

يقسم الله سبحانه بجبل الطور، واللوح المحفوظ، والبيت المعمور، بوقوع يوم القيامة، والعذاب فيه للمشركين: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ (الطور، الآيات: ٨-١٠) فهو يوم تتغير فيه السموات والأرض والجبال، وهو يوم توعد الله فيه المكذبين برسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ (الطور، الآيات: ١١-١٦).

وأما الذين صدقوا وآمنوا وصبروا على الأذى فلهم حسن العاقبة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾(الطور، الآيات: ١٧-٢٨).

ويأتي التوجيه لرسول الله ﷺ ليمضي في دعوته إلى التوحيد، مع عنادهم واستكبارهم: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الطور، الآيات: ٢٩-٤٣).

فهم في غيهم مستمرون في الصدود والعناد لا يملكون شيئًا ولا يستطيعون، مهما جاءتهم الآيات: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾(الطور، الآية: ٤٤) لكن لهم يوم يجازون فيه: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ

ٱلَّذِى فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِى عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (الطور، الآيتان: ٤٥، ٤٦). كما أن لهم عذاب القبر يعذبون في قبورهم ويعذبون بالدنيا: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (الطور، الآية: ٤٧).

وتختم السورة بتوجيه للرسول ﷺ الذي يسمع مقالتهم وعنادهم واستكبارهم، وتأتي الآيات تسليه النبي ﷺ في تعزيز وتكريم: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ فإننا نراك بأعيننا ونراقبك، وهو بحفظ الله ومعيته لا يقدرون على الإضرار به، فهما كادوا ومكروا فهو في حفظ الله، فليفعلوا ماشاؤا فإن عاقبة النصر والتمكين له، ويوجه القرآن الرسول ﷺ بالتسلح بالتسبيح والصلاة والذكر ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ (الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩).

زواج النبي ﷺ بعائشة:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: لها أريتك في المنام مرتين أرى أنك في سرقة من حرير ويقول هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه.[1]

تزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، وهي بنت ست سنين، وبنى بها بعد الهجرة بالمدينة، وهي بنت تسع سنين على رأس سبعة أشهر، وقيل: على رأس ثمانية عشر شهرًا. ومات

(١) صحيح البخاري ٣٨٩٥.

النبي ﷺ وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع، أوصت بذلك، سنة ثمان وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرًا غيرها، وكُنيتها أم عبد الله.

خطبتها خولة بنت جكيم قالت:فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة، قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: انظري أبا بكر حتى يأتي.

فجاء أبو بكر فقلت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: «**ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي**».

فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري، وخرج.

قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعدًا قط فأخلفه. فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي.

فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصبئ صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟ ! فقال أبو بكر للمطعم بن عدي أقولُ هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذلك.

فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده.

فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ، فدعته فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين[1].

---

(١) مسند أحمد ٢٥٧٦٩ وهو صحيح.

إسلام ضماد بن ثعلبة:

عن ابن عباس أن ضمادًا قدم مكة وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدًا مجنون، فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي- قال - فلقيه فقال يا محمد إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفى على يدي من شاء فهل لك فقال رسول الله ﷺ «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله أما بعد**». قال فقال أعد على كلماتك هؤلاء.

فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات - قال - فقال لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر[1] - قال:فقال هات يدك أبايعك على الإسلام، قال - فبايعه. فقال رسول الله ﷺ: «**وعلى قومك**». قال وعلى قومي قال فبعث رسول الله ﷺ، سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش هل أصبتم من هؤلاء شيئًا فقال رجل من القوم أصبت منهم مطهرة. فقال ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد[2].

---

(١) الناعوس: لجة البحر ووسطه أو قعره الأقصى.

(٢)صحيح مسلم ٢٠٤٥.

نزول سورة الملك[1]:

تؤكد هذه السورة حقيقة التوحيد ووجوب إفراد الله بالعبادة، فهي تربط توحيد الإلوهية بالربوبية، فالخالق المدبر المحيي والمميت والرازق هو المستحق للعبادة.

وتؤكد على أن خلق الموت والحياة، لحكمة عظيمة وهو تحقيق التوحيد وإفراد الله بالعبادة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ (الملك، الآية: ٢) فالعمل لا يكون حسنًا إلا إذا كان خالصًا لله وصوابًا على سنة رسول الله ﷺ.

والآيات تحث المؤمنين إلى التفكر في آيات الله الكونية التي تدل على الوحدانية: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ (الملك، الآيات: ٣-٥).

والآيات تعرض للإيمان باليوم الآخر والبعث بعد الموت وحالة المكذبين لرسول الله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (الملك، الآيات: ٥-١١). فليتعظوا وليعتبروا وليؤمنوا بهذا النبي الذي بينهم قبل أن يندموا، فإن للمؤمنين عند ربهم الجنة والجزاء العظيم فقد آمنوا بالغيب الذي غاب عن أبصارهم ولكن أمنت به قلوبهم تصديق لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (الملك، الآيات: ١٢-١٤) يعلم مكرهم و إيذاؤهم لنبيه ورسوله ويعلم استكبارهم وصدودهم وتكذيبهم، أفلا يؤمنوا بمن خلق الأرض والسماء وجعلها لهم مذللة يتقلبون فيها.

ألا يرون قدرة الله الذي صور وقدر: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ (الملك، الآية: ١٩).

ألا يوحدوا الله وهم آمنون في بلادهم، مطمئنون في مساكنهم، والخلق تحت قهر الله وقدرته: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ (الملك، الآية: ٢٠). يعيشون في الحياة حياة الأنعام في عقولهم وأفكارهم قد غرهم إمهال الله لهم.

والرزق الذي ينعمون به ويتمتعون به من الذي رزقهم ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ (الملك، الآية: ٢١).. ولكنه الاستكبار والصدود عن الحق.

وهم في هذا الاستكبار يرون أن حالهم خير من حال المؤمنين بما أوتوا من الدنيا: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ٢٢﴾. لا يستوون أبدًا.

ومع ما وهبهم الله من الحواس التي يدركون بها الأشياء لم ينتفعوا بها انتفاع هدى ورشد: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشْكُرُونَ ٢٣ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤﴾ (الملك، الآيتان: ٢٣، ٢٤).

وهم يكذبون بالبعث والحشر، ويسألون عن موعده: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٢٥ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةٗ سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ (الملك، الآيات: ٢٥-٢٧).

وهم يتربصون بالنبي ﷺ ومن معه أن يهلكوا: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٨ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَاۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩﴾ (الملك، الآيات: ٢٨، ٢٩).

فهلاك المؤمنين لا يؤثر، فيما ينتظرهم من عذاب الله على كفرهم وتكذيبهم.

كيف لو فقدوا الماء الذي به يعيشون من يستطيع أن يسقيهم! ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرٗا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ (الملك، الآية: ٣٠).

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي:

كان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش حين منعه الله منهم، يحذرون الناس منه ومن قدم عليهم من العرب، فكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفًا شاعرًا لبيبًا فقالوا له يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وفرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل وبين ابنه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئًا، ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا فرقًا، من أن يبلغني شيء من قوله، قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال فقمت قريبًا منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلامًا حسنًا، قال فقلت في نفسي واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل، ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، قال فمكثت حتى انصرف رسول الله إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لأن لا أسمع قولك، ثم أبى الله تبارك وتعالى، إلا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنًا، فاعرض عليَّ أمرك فعرض رسول الله ﷺ

على الإسلام وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله لي أن يجعل لي آية تكون لي عونًا فيما أدعوهم إليه، فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر، وقع نور بين عيني مثل المصباح، قال فقلت اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم، قال فتحول فوقع في رأس سوطي فجعل أهل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أنهبط إليهم من الثنية، حتى جئتهم فأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخًا كبيرًا فقلت إليك عني يا أبة، فلست مني ولست منك، قال لم يا بني قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ، قال أي بني فديني دينك، قال قلت فاذهب يا أبة فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت، قال فذهب فاغتسل وغسل ثيابه، ثم جاء فعرضت إليه الإسلام، فأسلم ثم أتتني صاحبتي فقلت لها إليك عني فلست مني ولست منك فقالت لم بأبي أنت وأمي، قال قلت فرق الإسلام بيني وبينك أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ قالت فديني دينك، قال قلت فاذهبي إلى حناذي الشرى فتطهري منهن وكان ذو الشرى صنمًا لدوس، وكان الحنا حمى حموه له، به وشل من ماء، يهبط إليه من جبل، قال قالت بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئًا، قال قلت لا أنا ضامن لذلك، قال فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام، فأبطأوا علي فجئت رسول الله ﷺ بمكة

فقلت يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسًا، ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم، فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله وإلى والإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة [١].

عن أبي هريرة ﵁ قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله إن دوسًا عصت وأبت فادع الله عليها فقيل هلكت دوس قال اللهم اهد دوسًا وأت بهم [٢].

نزول سورة يس:

هذه السورة تؤكد صدق رسالة النبي ﷺ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ (يس، الآيات: ١-٥) هذه الرسالة المنزلة من رب العالمين وتؤكد على صدق القرآن ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ۝٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ (يس، الآيتان: ٦٩، ٧٠).

وذكر قصة أصحاب القرية تحذير من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة، وتعرض الآيات وجوب التوحيد وانكار الشرك: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي

---

(١) أخرجه البيهقي معلقا في دلائل النبوة (٥/ ٣٦٠) وانظر دلائل النبوة لإسماعيل للأصبهاني (ص: ٢١٣) ٢٩٥ ودلائل النبوة لأبي نعيم برقم ١٩١والطبقات لابن سعد (٤/ ٢٧٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٥٩) والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٢١) ٤٢٥٨ والحديث الذي بعده يشهد لقصة الطفيل رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري، ٢٩٣٧.

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (يس، الآيات: ٢٢-٢٤).. وتعرض الآيات حال المكذبين: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (يس، الآيتان: ٧٤، ٧٥).

والآيات تظهر ضلال المشركين في التكذيب بالبعث والنشور، في مواطن كثيرة من السورة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (يس، الآية: ١٢).. وفي الآيات بشارة، للمؤمنين المضطهدين في دينهم أن لهم العاقبة في الآخرة فما يلقونه من المشركين إنما هو كبد الدنيا وشدتها ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (يس، الآيتان: ٢٦، ٢٧).. وتصف الآيات ماعليه المشركون من الشك في يوم القيامة: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (يس، الآيات: ٤٨-٥٠).

ثم تذكر الآيات موقف ابن أبي معيط في فته العظم في وجه الرسول ﷺ وقال تزعم يا محمد أن الله يحيي هذا بعد ما أرم؟ قال نعم يحييك ويدخلك النار:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩).

وتعرض الآيات صور المكذبين في عدم قبولهم الحق فقد غُلت أيديهم عن كل خير، وغطيت أبصارهم عن رؤية الحق: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ (يس، الآيتان: ٨، ٩).

وتعرض الآيات لقدرة الله في الخلق: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (يس، الآية: ٨٢).

نزول سورة الليل:

في هذه السورة يقسم الله تعالى بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه، ويقسم بالنهار إذا تجلى بضيائه وإشراقه، وجواب القسم: إن أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومتخالفة، فمن فاعل خيرٍ ومن فاعل شرٍ، فمنهم الذي أعطى ما أمر الله بإخراجه، واتقى الله في أموره، وصدق بالثواب، وبالخلف، فثوابه في الدنيا أن ييسر الله له طرق الخير، ويقوده ذلك إلى الجنة، وأما الذي بخل بماله، واستغنى عن ربه، عز وجل، وكذب بالجزاء في الدار الآخرة، فمن العقوبة المعجلة أن ييسر الله له طرق الشر، فمن جزاء السيئة السيئة بعدها؛ فالإنسان لا يغني عنه ماله الذي بخل به، والله، عز وجل، يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل

السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء، فالله سبحانه يبين لعباده الحلال والحرام، والدنيا والآخرة ملك الله وهو المتصرف فيهما، وقد حذر الله عباده وخوّفهم من نار تتوقد وتتوهج، وهي لا تحرق إلا من كتبت عليه الشقاوة الذي كذب بالحق الذي جاءت به الرسل، وأعرض عن الطاعة، وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، الذي ينفق ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله، وما وهبه الله من دين ودنيا، و ليس بذله مكافأة لمن أسدى إليه معروفًا، وإنما بذل ماله طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، ولهذا وأمثاله الثواب الذي يرضى به عن ربه.

نزول سورة التغابن[1]:

سورة التغابن تقرر وجوب التوحيد وتظهر انقسام الناس إلى فريقين: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٤﴾ (التغابن، الآيات: ١-٤).

وخلق الله الإنسان في أحسن صورة دلالة على التوحيد، والبعث بعد الموت، وكل الرسل جاءوا بالتوحيد، فدين الله واحد منذ أول الرسل إلى خاتمهم.

وكل من في السماوات والأرض يعبد الله ويسبحه، فله سبحانه القدرة على كل شيء: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) الاستيعاب في بيان الأسباب (٣/ ٤٢٢).

وهو مطلع على خلقه، عالم بما تكنه صدروهم وما يعلنون: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ ﴾ (التغابن، الآية: ٤).

وتعرض الآيات لمصير المكذبين بالرسل، المعترضين على بشرية الرسول ﷺ ويكفرون بما جاء به من البينات: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾ (التغابن، الآيات: ٤-٦).. لقد اختاروا لأنفسهم الشرك والكفر بعنادهم واستكبارهم

﴿ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾.. استغنى الله عن إيمانهم وعن عبادتهم، فهذا خبر الذين كفروا من قبل، فمن كذب فسيلقى مصيرًا كهذا المصير؟

وتعرض الآيات للذين كفروا بالبعث و بالرسول ﷺ وهو يدعوهم إلى التوحيد: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠ ﴾ (التغابن، الآيات: ٧-١٠).

لقد دعاهم القرآن إلى الإيمان بالله ورسوله والنور الذي أنزله مع رسوله، وهو القرآن.

والآيات تدعوهم إلى التوحيد وطاعة الله وطاعة الرسول: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾.

فمن تولى بعد هذه الدعوة فإن وظيفة الرسول البلاغ وهو الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ (التغابن، الآية: ١٣)..

وحقيقة التوحيد إخلاص العمل لله تعالى في جميع أنواع العبادة القلبية والقولية والفعلية

الرسول عليه الصلاة والسلام والدعوة:

لم ينقطع النبي ﷺ عن الدعوة، ونشر الرسالة، وتعليم الصحابة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يهيىء الصحابة على تحمل أعباء الرسالة، ويعدهم لقيادة الأمة، ويوطن في قلوبهم الصبر والمصابرة والمرابطة، وكان قدوتهم في ذلك فحياته مليئة بجهاد البيان واللسان والجهاد بالقرآن، في كل لحظة، وفي كل زمان، ومكان.

نزول سورة نوح[1]:

هذه السورة تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه، وتوضح ما لقي نوح عليه السلام، من قومه من الكفر والتكذيب والصدود والإعراض، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ الذي يلقى من قريش ما لقي نوح من قومه.

هذه القصة توضح صورة من صور التكذيب والضلال، والاعراض عن دعوة الرسل، وتكشف رحمة الله بعباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية البشرية.

و تعرض الآيات صورًا من صور الجهد والتعب، الذي يلقاه الرسل صلوات الله عليهم في دعوتهم لأممهم، يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۞ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۞ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۞ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۞﴾ (نوح، الآيات: ٥-٢٠).

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

وبعد هذا الجهد يقابلون بالتكذيب والاعراض: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝٢١ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ (نوح، الآيات: ٢١-٢٤).

تلك دعوة نبي الله نوح عليه السلام تعرض على رسول الله ﷺ ليرى فيها صورة الثبات والإصرار والصبر والعزم والهمة.

وتعرض على المشركين ليروا فيها مصير من سبقهم من المكذبين، ويدركوا رحمة الله بهم في إرساله إليهم رسولا رحيمًا بهم، لا يدعو عليهم، فقد دعا نوح على قومه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ (نوح، الآيتان: ٢٦، ٢٧). و قال محمد ﷺ انتظر أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

لقاء النبي ﷺ برجال من الخزرج:

حين أراد الله سبحانه إعزاز نبيه، وسياقة خير الدنيا والآخرة إلى الأنصار لقي النفر الستة الخزرجيين عند العقبة، فعرض عليهم ما عرض على غيرهم، فقالوا فيما بينهم، والله انه للنبي الذي تواعدنا به اليهود، فلا تسبقنا إليه ثم صدقوه وآمنوا بما جاء به، وأخبروه إنهم خلفوا قومهم وبينهم العداوة والبغضاء وقالوا إن جمعنا الله بك فلا رجل أعز منك.

وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن عجلان، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب، ولما قدموا المدينة أخبروا قومهم بذلك ففشا فيهم الإسلام، فلم يبق دار من دورهم إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[1]

وكان إسلامهم وإيمانهم فرجًا لرسول الله ﷺ، وأملا في انتشار الدعوة.

***

(١) دلائل النبوة للبيهقي(٢/ ٤٣٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم ٣٢٣ وهو حسن.

السنة الثانية عشرة من البعثة

نزول سورة غافر[(١)]:

هذه السورة تظهر ما وقع بين الأنبياء وأقوامهم، وماكان بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، وبين المتكبرين المتجبرين في الأرض والرسل عليهم السلام.

ففي افتتاح السورة المغفرة للمؤمنين، والعقاب للكافرين، واعلان التوحيد: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ (غافر، الآية: ٣).

وتعرض لمصارع الأمم السابقة من المكذبين: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ (غافر، الآية: ٥).

لقد هموا بما هم به كفار قريش بالنبي ﷺ، وقد كانوا أقوى منهم: ﴿۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ۝٢١ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢٢﴾ (غافر، الآيتان: ٢١، ٢٢).

أفلا يعتبر هؤلاء الكفار بهذه الأمم حين كذبوا رسول الله ﷺ، وتذكرهم الآيات بيوم القيامة: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧).

لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ (غافر، الآية: ١٨).. في يوم يذهب فيه الأهل والأولاد والأموال، ولا تنفعهم شفاعة أحد: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾(غافر، الآيات: ٧٠-٧٢).

وأما الذين أمنوا وصدقوا، فلهم الرحمة والدعاءمن ملائكة السماء من حملة العرش ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ (غافر، الآيات: ٧-٩).

فلو فكر المكذب في نفسه وكيف خُلق لعلم ضعفه وبؤسه، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ (غارف، الآيتان: ٦٧، ٦٨) فليوحدوا الخالق وليخلصوا له العبادة، ولا يشركوا معه أحد.

وتعرض الآيات لنعم الله على عباده، فليدرك هؤلاء المكذبون هذه النعم وليؤمنوا برسول الله ﷺ، وتعرض الآيات لموقف الكافرين يوم القيامة موقف الذلة والانكسار بعد الاستكبار: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (غافر، الآية: ١٠).

وتدعوا الآيات المكذبين إلى الإيمان والتوحيد وهم ينعمون بنعم الله: ﴿فَٱدْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ (غافر، الآية: ١٤).

وتعرض الآيات إلى مصارع الأمم قبلهم، في قصة موسى- عليه السلام- مع فرعون وهامان وقارون. وهي تمثل موقف الجبابرة من دعوة الحق.

وتعرض الآيات الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانه. يدفع عن موسى كلما هموا بقتله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ (غافر، الآية: ٢٨).

وقد قالها أبوبكر لما هم المشركون قتل النبي ﷺ: «أتقتلون رجلا أن يقول: ربي الله».

وتذكر الآيات حال المشركين وهم يتحاجون في النار، حوار بين الضعفاء والذين استكبروا، وحوار لهم مع خزنة جهنم يطلبون فيه الخلاص: ﴿وَإِذْ

يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ (غافر، الآيات: ٤٧-٥٠).

وتوجه الآيات رسول الله ﷺ إلى الصبر والثقة بوعد الله الحق: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ (غافر، الآية: ٧٧) وتعرض الآيات إلى واقع هؤلاء المشركين وما هم عليه من الكبر والاستعلاء عن قبول الحق، وهم أصغر وأحقر وأذل.

نزول سورة الشورى(١):

هذه السورة تؤكد حقيقة الوحي المنزل على محمد ﷺ والرسالة التي أرسل بها: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ (الشورى، الآية: ٣). فالرسالة حق في الأولين والآخرين، وتذكر الآيات حقيقة القرآن الكريم الذي نزل على قلب محمد ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ (الشورى، الآية: ٧) فأول دعوته لأهل مكة ومن حولها.

وتقرر الآيات أن الدين وحي من الله، وهو دعوة الرسل جميعًا: ﴿شَرَعَ

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ (الشورى، الآيات: ١٣-١٥).

فالإتباع للوحي وليس لأهواء المكذبين، الذين كذبوا الرسالة وجحدوا بها:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَٰغُ﴾ (الشورى، الآية: ٤٨).

وتعرض الآيات لأنواع الوحي وأن هذا الوحي حياة للناس جميعًا: ﴿

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُۥ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَآ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى، الآيات: ٥١-٥٣).

وتوضح الآيات وحدانية الله سبحانه وحده لا شريك له، وتفرده بالعبادة.

فالكون كله يعبد الله ويسبحه: ﴿ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾ (الشورى، الآيتان: ٥، ٦).

وتعرض الآيات لمشهد الكفار إذا رأوا العذاب: ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ (الشورى، الآيتان: ٤٤، ٤٥). وعلو المؤمنين يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى، الآية: ٤٥).

فهل يفكر المكذبون بمصيرهم، فيؤمنوا برسالة النبي الخاتم: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ (الشورى، الآية: ٤٧).

نزول سورة السجدة[1]:

هذه السورة تؤكد رسالة النبي ﷺ بالدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالبعث بعد الموت، وتؤكد الآيات صدق الرسول ﷺ في التبليغ عن رب العالمين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ (السجدة، الآية: ٣).. فأنكر هؤلاء المكذبين أن القرآن منزل على رسول ﷺ فجاء الرد عليهم: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

وتعرض الآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية بالاستدلال بالربوبية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (السجدة، الآية: ٤).

وتعرض الآيات البعث بعد الموت، وشك المكذبين فيه: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ (السجدة، الآية: ١٠) ويرد على هذا الشك: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾. ويؤكد بعثهم بعد موتهم: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ (السجدة، الآية: ١١).

وتعرض الآيات مشهد الكفار يوم القيامة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (السجدة، الآية: ١٢) فيرون الآخرة عين اليقين فيطلبون الرجعة إلى الدنيا: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة، الآية: ١٢).

وإلى جانب هذا الموقف، موقف المؤمنين المصدقين وما عندهم من اليقين بالآخرة: ﴿إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (السجدة، الآيتان: ١٥، ١٦). فكان جزاؤهم وثوابهم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (السجدة، الآية: ١٧).

وتختم السورة بتساؤل المشركين عن يوم القيامة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

(السجدة، الآيات: ٢٨-٣٠).

فريق التصديق وفريق التكذيب:

في نزول هذه السور، بيان لحال الكفار مع دعوة التوحيد، وما هم عليه من العناد والصدود والاستكبار، وانكار التوحيد، والبعث بعد الموت، فقد كانت الحياة في مكة فريق التصديق وفريق التكذيب، مع استكبار المكذبين واستعلاءهم بالكفر والشرك، وآيات القرآن ترد عليهم، وتبين حالهم، ومصيرهم، وضعف حجتهم، وبطلان مذهبهم، وتبث روح التفاؤل واليقين، وتبشر المؤمنين بحسن العاقبة.

نزول سورة القلم:

في هذه السورة يقسم الله بالقلم، وهو قسم منه تعالى، تنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، وقدخلق الله القلم الذي أجراه الله بالقدر فكتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة، ومما قضاه الله وقدره إرسال خير البشر محمد ﷺ الذي رماه هؤلاء المكذبون بالجنون، فنفى الله عنه الجنون، وجعل له الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغه رسالة ربه إلى الخلق، وصبره على أذاهم مع ماجبله الله عليه من الأخلاق العظيمة، فقد كان خلقه القرآن، وأرسله

بالدين العظيم، وهو الإسلام، وسيعلم النبي ﷺ، يوم القيامة وسيعلم مخالفوه ومكذبوه، من المفتون الضال، ومن هو أولى بالشيطان، فالله يعلم تعالى أي الفريقين من هو المهتدي، ومن هو الضال عن الحق، ونهى الله نبيه ﷺ عن طاعة المكذبين، فإنهم يودون، لو يركن إلى آلهتهم، ويترك ما هو عليه من الحق، ونهاه عن طاعة كثير الحلف بالباطل الذي يغتاب الناس ويمشي بين الناس، بالنميمة ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهو الحقير عند الله والوضيع والذليل، يمنع ما عليه، وما لديه من الخير، يتعدى حدود ما أحل الله له، ويتجاوز فيها الحد المشروع.

والمكذبون بآيات الله تعالى يبين الله أمرهم بيانًا واضحًا، حتى يعرفون، كما لا تخفى السمة على الخراطيم، فكل من كذب بآيات الله فهو من أهل النار، لهم سمة لا تفارقهم، يعرفون بها من سواد الوجوه يوم القيامة، والذلة والمهانة، وقد ضرب الله تعالى لكفار قريش مثلا، فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهي بعثه محمدًا ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة؛ فقد كان ذلك اختبارًا لهم، كما كان لأصحاب الجنة الذين لم يشكروا الله على ما أعطاهم وأنعم به عليهم، وبدلوا نعمة الله كفرًا، فكان مصير بستانهم الحرق.

وأما من آمن بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فله في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد، فهل يساوى بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب

الأرض والسماء، فلا يظن ظان أن الله يسوي بينهم، وهل بأيديهم كتاب منزل من السماء يدرسونه ويحفظونه أن الله يساوي بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصي؟

والرسول ﷺ يدعو إلى الله، عز وجل، بلا أجر يأخذه من الكفار، بل يرجو ثواب ذلك عند الله، عز وجل، وهم يكذبون بما جاء به بمجرد الجهل والكفر والعناد، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالصبر على أذى قومه له وتكذيبهم، فإن الله سيحكم له عليهم، ويجعل العاقبة له ولأتباعه في الدنيا والآخرة، ولا يستعجل على قومه كيونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبًا على قومه

ومن شدّة بغض الكفار وعداوتهم للرسول ﷺ، يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوه ويعينونه، حسدًا من عند أنفسهم، ولولا وقاية الله له، وحمايته إياه منهم، لأصابه ما يريدون، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل وهم يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون إنه لمجنون لأنه أتى بالقرآن، وما علموا أن القرآن ذكر للعالمين.

نزول سورة الإنسان[1]:

هذه السورة تذكر حقيقة وجود الإنسان في هذه الحياة ونعمة الله بإنزال الهداية له، هذا الانسان المكذب والمعاند والمصر والمستكبر، لو أدرك حقيقته وضعفه وهوانه لما فعل ذلك ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾ (الإنسان، الآية: ١) فلا عزة للإنسان إلا إذا اعتز بالايمان والتقوى، وتبين الآيات

(١) ذكره السيوطي في (الدر المنثور) (٨/ ٣٦٥) ونسبه للنحاس. وقال:وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما-؛ قال: أنزلت بمكة سورة -هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ-.. الاستيعاب في بيان الأسباب (٣/ ٤٨٦).

قدرة الله في خلق الإنسان: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ (الإنسان، الآية: ٢) وتبين هداية الله لعباده فقد جعل لهم اختيارًا ومشيئة: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ (الإنسان، الآية: ٣).

وتعرض الآيات ما أعد الله للمكذبين، وما أعد الله للمؤمنين: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ (الإنسان، الآيات: ٤-٦).

ثم تعرض الآيات جزاء المؤمنين في الاخرة: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ ﴾ (الإنسان، الآيتان: ١١، ١٢).

ذلك النعيم الموعود فيه تسلية للمضطهدين في دينهم، الذين يقاسون أنواع التعذيب والتنكيل.

وتوجه الآيات رسول الله ﷺ بالصبر والتسلح بالصلاة والذكر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝٢٤ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦ ﴾ (الإنسان، الآيات: ٢٣-٢٦).

فإن ذلك استعدادًا ليوم القيامة، ذلك اليوم الثقيل الذي يخافه الأبرار ويتقونه.

بيعة العقبة الأولى:

فشا الإسلام في المدنية ووفد الأوس والخزرج إلى الموسم، منهم من أسلم ومنهم، من هو على دين قومه.

عن عبادة بن الصامت ﵁ وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك [١].

وعن عبادة بن الصامت قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلًا، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفترض الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئًا فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم. [٢]

وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، عوف بن الحارث، رافع بن مالك، قطبة بن عامر، عقبة بن عامر، معاذ بن الحارث، ذكوان بن عبد قيس، خالد بن مخلف، عبادة بن الصامت، عباس بن عبادة، أبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة.

---

(١) صحيح البخاري١٨ وصحيح مسلم١٧٠٩.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ٤١٥) ٢٢٧٥٤ وانظر مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ٣٧٣) ٢٢٧٠٠ وهو حسن.

وكانوا عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، مما يدل على جهود وفد الخزرج الذين أسلموا في العام الماضي، حيث تمكنوا من دعوة الأوس، فكان بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الإسلام.

وبيعة العقبة كانت منشأ نصرة الإسلام، وانتشاره، ولما تمت بيعة العقبة الأولى، وعاد الأنصار إلى المدينة بعث رسول الله معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين. فقام بمهمته خير قيام وانتشر على يديه الإسلام.

نزول سورة فاطر:

تبدأ السورة بالحمد والثناء على خالق السماوت والأرض ومبدعهما، وخلق الملائكة ذوي أجنحة يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعًا، وهو المستقل بالخلق والرزق، وهو المستحق للعبادة، ولا يشركوا به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان؛ فكيف بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، يصرفون عن الحق وهو توحيد الله وشكره، ويعبدون الأنداد والأوثان.

وتصف الآيات حال المكذبين للرسول ﷺ وما هم عليه من العناد والاستكبار والصدود عن الحق، فلم تنفعهم الآيات والنذر والمعجزات، ولم يستجيبوا لنداء التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لاشريك له.

وتوضح الآيات أن على الانسان أن لا يفتننه الشيطان ويصرفه عن اتباع رسل الله وأما المؤمنون بالنبي عليه الصلاة والسلام فلهم المغفرة من كل ذنب والأجر الكثير على ما عملوه من خير.

ومن الدلائل الواضحات على المعاد إحياء الأرض بعد موتها، وكذلك الأجساد، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، ومن قدرة الله العظيمة خلقه الأشياء المختلفة، وخلق البحرين العذب الزلال، والملح المر، ومن كلها يستخرج السمك، واللؤلؤ والمرجان حلية تتزين بها النساء، والمخلوقات كلها إليه مفتقرة، ومتذللة بين يديه، فالعباد محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات.

وتصف الآيات الكافر بالعمى والصمم فهو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به إلى النار، وقد أرسل الله رسوله بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر: أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة، فلئن كذب الكفار رسول الله ﷺ فقد كذبت الأمم قبلهم جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، بالكتب الواضحة البينة، فكان إنكار الله عليهم عظيمًا شديدًا بليغًا.

والقرآن العظيم أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، صدقت به الكتب المتقدمة، وهو يصدقها، وفضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميعهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

وتصف الآيات ما للمؤمنين يوم القيامة فلهم جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على ربهم عز وجل يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا

وأما الأشقياء، فهم في النار لا يموتون فيها ولا يحيون فهم في حال،

وتصف الآيات حال المشركين في عبادتهم لأصنامهم وأوثانهم يعبدون ما لا يخلق شيئًا، ومن كذب الكفار أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نبي ليكونن أهدى من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل.

فلما جاءهم محمد ﷺ بما أنزل معه من الكتاب العظيم، ما ازدادوا، إلا كفرًا إلى كفرهم، واستكبروا عن اتباع آيات الله، ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله، وما يعود وبال المكر إلا على أنفسهم دون غيرهم.

وسيحل بهم ما حل بالأمم قبلهم من عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، وتلك سنة الله في المكذبين لا تتغير ولا تتبدل، بل هي جارية كذلك في كل من كذب، وجحد واستكبر.وليسيروا في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها.

السنة الثالثة عشرة من البعثة:

نزل مصعب على أسعد بن زرارة، فكان يسمى بالمدينة المقرئ.فبدأ بالدعوة إلى الإسلام وكان يعلم من أسلم القرآن.

قال ابن إسحاق: خرج أسعد بن زرارة بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زبير بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد ابن زرارة، فدخل به حائطًا من حوائط بني ظفر يقال لها: بئر مرق.

فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد ابن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وأنههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدمًا.

قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة، قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

قال: فوقف عليهما متشتمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإِسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإِسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام، وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد

بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك.

قال: فقام سعد مغضبًا مبادرًا، تخوفًا للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشمتًا، ثم قال لأسعد ابن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره -وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان- قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإِسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإِسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته، فأقبل عامدًا إلى نادي قومه، ومعه أسيد بن حضير.

قال: فلما رآه قومه مقبلًا: قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله ﷺ.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإِسلام، حتى لم يتبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمه، ووائل، وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة [1].

بعد بيعة العقبة الأولى:

بعد هذه البيعة اطمأن النبي ﷺ فلم تبدو عليه آثار القلق على الدعوة وكان الإسلام ينتشر في المدينة، وظنت قريش أن النبي ﷺ فتر عن الدعوة، بعد أن لقي التضييق من قريش وثقيف، فخففت قريش من حدة العداء، ولم يعلموا أن النبي ﷺ اهتم بأهل المدينة الذين بايعوه وصدقوا في البيعة، واجتهدوا في الدعوة إلى الإسلام، فقد كانت نفوسهم متلهفة إلى دين يوحد كلمتهم ويجمع صفوفهم، ويطهر نفوسهم من العداوة والبغضاء والفرقة والاختلاف.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة كما في سيرة ابن هشام: ١/ ٤٣٥ - ٤٣٧ والطبري في التاريخ: ٢/ ٣٥٧، ٣٥٩، وهو مرسل حسن،، وانظر ابن كثير في السيرة: ٢/ ١٨١ - ١٨٥، السيرة النبوية للذهبي: ١٩٨ - ٢٠٠، وهو بمجموع طرقة يرتقي لدرجة الحسن.

وكان الرسول ﷺ يسمع بالأخبار المفرحة لأهل المدينة، وكان يدعو لمصعب بالتوفيق، ولأهل المدينة بالخير والهداية.

فقد أقاموا صلاة الجمعة، وصلى بهم مصعب بن عمير بأمر أسعد بن زرارة رضي الله عنهم، ودخل الإسلام في كل بيوت الأوس والخزرج.

وكان الرسول ﷺ يتحرى أخبارهم، فيفرحه ما هم عليه من الرغبة في الاسلام..

نزول سورة المعارج [١]:

لا تزال قريش مستمرة بالتكذيب والعناد فقد جاء النضر بن الحارث بن كلدة يسأل النبي ﷺ عن العذاب وموعده فنزلت هذه السورة تقرر حقيقة الآخرة، وما أعده الله للمكذبين وما أعده للمؤمنين.

حيث تبين الآيات الفارق بين ما عند الله من الأيام، وحساب البشر، وتقدير الله لليوم الآخر وتقدير المكذبين: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ (المعارج، الآيات: ٤-٧).

فقد جاء القرآن ليؤصل التوحيد في النفس البشرية التي فطرت عليه، وينتصر للمؤمنين من كل من عادهم وكادهم، وضيق عليهم وعذبهم، فكان القرآن نصرًا للمؤمنين وتثبيتًا لهم وسعادة وهناء يربي نفوسهم في مكة على الحق والثبات عليه.

وحقيقة الآخرة في أحوال النفس وحالها مع أقرب الناس لها ممن كانت

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

تفتخر به وتتقوى به في الدنيا: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ ﴾ (المعارج، الآيات: ٨-١٣) وتصور لهم الآيات العذاب الأليم: ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝١٨ ﴾ (المعارج، الآيات: ١٥-١٨).

وتصور الآيات يوم البعث وخروج الناس من قبورهم: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝٤٤ ﴾ (المعارج، الآيتان: ٤٣، ٤٤).

وتصور الآيات حالة النفس البشرية في الضراء والسراء، وفي حالة الإيمان وضده: «﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ ﴾ (المعارج، الآيات: ١٩-٢٣).

وأما صفات النفوس المؤمنة: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ ﴾ (المعارج، الآيات: ٢٢-٣٤).

تلك صفة الرعيل الأول من أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين ومن اقتفى أثرهم رضي الله عنهم.

وتصور الآيات غرور الذين كفروا وطمعهم أن يدخلوا الجنات وهم يعيشون في التكذيب والعناد، وقد نفروا عن الحق وتفرقوا فلم يتبعوا نبيهم: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ (المعارج، الآيات: ٣٦-٣٩).

فتلك صورة لحالة المشركين في مكة وما كانوا عليه من التكذيب والاستكبار..: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢﴾ (المعارج، الآية: ٤٢).

نزول سورة النبأ[1]:

يتساءل المشركون عن يوم القيامة الذي يكذبون فيه وقد اختلفوا على نبيهم عليه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥﴾ (النبأ، الآيات: ١-٥).

فتأتي الآيات لتذكرهم بنعم الله عليهم مما يعيشون فيه: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

﴿١٦﴾﴾ (النبأ، الآيات: ٦-١٦). تلك الايات الكونية تؤكد عليهم إفراد الله بالعبادة والاستجابة لرسوله ﷺ.

وتأتي الآيات لذكر حقيقة يوم القيامة وتصور أهواله: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ (النبأ، الآيات: ١٧-٢٠).

وتصور لهم العذاب: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ (النبأ، الآيات: ٢١-٣٠).

فهذا ما ينتظرهم بكفرهم، وعنادهم وصدودهم وتكذيبهم، فكل شيء قد كتب وسيجزون به يوم القيامة، وتصور الآيات النعيم لأهل الإيمان المصدقين المضطهدين في دينهم وما أعد الله لهم من النعيم ليثبتوا ويصبروا: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ (النبأ، الآيات: ٣١-٣٦).

وتختم السورة بما سيكون في يوم القيامة ليستعدوا بالإيمان والتوحيد قبل أن يجيء هذا اليوم: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ (النبأ، الآيات: ٣٧-٤٠).

ذلك اليوم الذي يتمنى فيه المكذبون أن كانوا مثل الحيوان، يصير ترابًا في الأرض بعد العلو والاستكبار والتكذيب والاستهزاء، إنها الحقيقة التي يجب أن يفهمها كل مكذب ومعاند ومستكبر.

نزول سورة النازعات[1]:

يكذب المشركون باليوم الآخر، فيقسم الله تعالى بالملائكة الذين يقبضون أرواح المشركين المكذبين في إشارة إلى أنهم سيموتون ويبعثون، ويقسم بالملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين ومابينهما من الفرق في نزع الروح، ويقسم بالنجوم الكواكب التي تسبح في الكون وتدل على وحدانية الله، ويقسم بالملائكة الذين يأتمرون بأمر الله وينزلون بأمر الله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ (النازعات، الآيات: ١-٥).

يقسم الله بهذه المخلوقات على وقوع الراجفة وهي الساعة التي ترجف القلوب خوفًا وهلعًا: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات، الآيات: ٧-١٤).

ذلك التساؤل الذي يدل على التكذيب والإصرار هل سيردون إلى الحياة بعد ما دفنوا وصاروا ترابًا فكان الجواب إنما هي صيحة واحدة فيحيون جميعًا.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

فهم ليسوا أشد من فرعون الذي كذب موسى، فأخذه الله عبرة لجميع الخلق: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ (النازعات، الآيات: ١٥-٢٦)

وليسوا في خلقهم أشد وأعظم من خلق السموات والأرض: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ (النازعات، الآيات: ٢٧-٣٣) كل ذلك نعمة من الله عليهم وكرم منه لعبادة، أبعد هذا يكفرون ويكذبون؟.

لكن موعدهم يوم تقوم الساعة التي تطم على كل أمر هائل مفظع: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النازعات، الآيات: ٣٤-٤١).

فرق بين الفريقين فرق بين المكذب والمصدق والمؤمن والكافر، فهل بعد ذلك يتساءل المكذبون عن الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ (النازعات، الآيات: ٤٢-٤٦) فهم مهما عمروا في الدنيا فهي بالنسبة للآخرة لا تساوي شيئًا، وعلم الساعة غيب لا يعلمه إلا الله، وإنما ينتفع من ذكر الساعة من استعد لها وآمن بالنبي ﷺ.

نزول سورة الانفطار(١):

لا تزال السور تنزل في تأكيد الإيمان باليوم الآخر، وهذه السورة تذكر ما يكون للكون من تغير في اليوم الآخر، من الأرض والكواكب والبحار، وخروج الناس من قبورهم، في هذا اليوم تعلم كل نفس ماذا قدمت لآخرتها وما أخرته في دنياها.

فكيف يكذب الإنسان ويعاند ويستكبر عن عبادة ربه، كيف يغتر بإمهال الله له: فيزداد في الصدود والعناد وقد نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ فلم تنزل عليه عقوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ (الانفطار، الآيات: ٦-٨) هذا الخلق، وهذا التكريم، وهذا الإمهال يقابل بالتكذيب والكفر باليوم الآخر: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ (الانفطار، الآيات: ٩-١٦) تكتب الملائكة كل ما يعمله بنو آدم من

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

الخير والشر فينقسم الناس إلى فريقين الأبرار والفجار، فالجزاء في يوم تدان فيه النفوس ذلك اليوم الذي لا يملك الإنسان لنفسه ضرًا ولا نفعًا إلا من قدم في حياته: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ (الانفطار، الآيات: ١٧-١٩).

نزول سورة الانشقاق[1]

هذه السورة تؤكد الإيمان باليوم الآخر، وتذكر تغير الكون يوم القيامة، وكيف هذا الكون يستجيب ويستسلم لله، والانسان يكذب ويكفر: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥﴾ (الانشقاق، الآيات: ١-٥) هذا اليوم الذي يلقى العبد فيه ربه فيجازيه بأعماله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥﴾ (سورة الانشقاق، الآيات: ٦-١٥) فما عمله الإنسان في الدنيا سيلقاه في كتاب، فمن عمل خيرًا فيعطى كتابه بيمينه حيث الحساب اليسير والفرح والسرور، لإيمانه بالله واليوم الآخر، وأما المكذب المعاند فليس له إلا دعوة الثبور لتكذيبه للرسول وعدم تصديقه

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧) والبرهان في علوم القرآن (١/ ١٩٣).

باليوم الآخر. ويقسم الله بالحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، وبالليل وما جمع وبالقمر إذا اكتمل، أن أحوال الناس تتغير من حال إلى حال فمن كان في العز والشرف والمال والرئاسة مع التكذيب والإصرار فستكون حالة الذلة والصغار والعذاب ومن كان من المؤمنين مضطهد في دينه مضيق عليه ستكون له العاقبة الحميدة والنصر والتمكين: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ (الانشقاق، الآيات: ١٦-١٩).

وتأتي الآيات بالتعجب من حال المكذبين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ (الانشقاق، الآيتان: ٢٠، ٢١) فهم على التكذيب باقون ومصرون، فلهم العذاب الأليم والعاقبة السيئة، وأما المؤمنون فلهم حسن العاقبة: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾ (الانشقاق، الآيات: ٢٢-٢٥).

نزول سورة العنكبوت[(١)]:

هذه السورة بآياتها نزلت، لتخفف الآلام والمصاعب التي تواجه المؤمنين وتفتح لهم باب التفاؤل فالآيات تذكر سنن الله في خلقه، ومنها سنة الابتلاء وما يجب عليهم، من الصبر على المكاره، وتذكر مصير المؤمنين والمنافقين والكافرين. كل منهم يسأل عن عمله: ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت، الآية: ٣). والآيات تعرض قصص الأنبياء نوح وإبراهيم ولوط وشعيب، وقصص عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، و ما لقي الأنبياء من العقبات والفتن في طريق الدعوة إلى الإيمان. ومصير هؤلاء المكذبين وقد أخذهم الله جميعًا: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ (العنكبوت، الآية: ٤٠).

وتصور الآيات عقيدة المشركين وما فيها من الضعف والهوان والضلال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (العنكبوت، الآية: ٤١).

وتذكر الآيات تناقض المشركين فهم يقرون بالربوبية وينكرون الالوهية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ﴾.. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (العنكبوت، الآية: ٦٣)..

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٩٩) والإتقان في علوم القرآن (١/ ٩٧).

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (العنكبوت، الآية: ٦٣).. ولكنهم مع هذا كله يشركون بالله ويفتنون المؤمنين.

وفي الآيات دعوة للمؤمنين إلى الهجرة فرارًا بدينهم من الفتنة، غير خائفين من الموت ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (العنكبوت، الآيتان: ٥٦، ٥٧). غير خائفين من فوات الرزق: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (العنكبوت، الآية: ٦٠) وفي هذا ايذان بقرب الهجرة من مكة إلى المدينة، وتختم السورة بتسلية المؤمنين الصابرين على دينهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ (العنكبوت، الآية: ٦٩).

نزول سورة الأعراف:

هذه السورة تدعو إلى التوحيد وتعرض رحلة الإنسان في هذا الكون من آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام تعرض دعوة الرسل عليهم السلام، وكيف استقبل الناس هذه الدعوات، وكيف كانت عاقبة المكذبين وعاقبة المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة..

تبدأ رحلة الانسان من آدم وزوجه، ومعهما الشيطان الذي أخرجهما من الجنة، وتمضي الرحلة حيث الأنبياء مع أقوامهم، وما حصل لهم من التكذيب، وكيف كانت النتيجة: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ

عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (العنكبوت، الآيتان: ٢٩، ٣٠).

وتعرض الآيات لدعوة التوحيد في حياة البشر، في صراع بين الشرك والوثنية، والتوحيد والايمان.

لقد عرض القرآن، لقوم كذبوا نبيهم عليه الصلاة والسلام كما كذب الأولون يحذرهم نتيجة تكذيبهم وكفرهم ﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الأعراف، الآيات: ١-٣)..

إنه خطاب لرسول الله ﷺ، وخطاب لقومه الذين يجاهدهم بهذا القرآن، خطاب يخفف عن النبي ﷺ، عناء وأعباء الدعوة، فلا يتحرج من إبلاغ القرآن وإن قابله قومه بالتكذيب والإعراض فيأتي التهديد للمكذبين من قريش، بتذكيرهم بمصائر المكذبين، ويعرض عليهم مصارع المكذبين: ﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ

ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الأعراف، الآيات: ٤-٩).

وتذكر الآيات بنعمة الله بتمكين المكذبين في هذه الأرض والانتفاع بها: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الأعراف، الآية: ١٠) فلم يشكروا ولم يؤمنوا!!!

وتعرض الآيات قصة آدم عليه السلام، لتكون عبرة وعظة بالحذر من الشيطان: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأعراف، الآية: ٢٧).

وتدعوا الآيات هؤلاء المكذبين إلى الإيمان والتوحيد: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الأعراف، الآيتان: ٣٥، ٣٦).

وتذكر الآيات المكذبين بعظمة هذا القرآن وهدايته: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ (الأعراف، الآيتان: ٥٢، ٥٣).

وتذكرهم الآيات أن هذا الكون كله يدين بالعبودية لله وحده، فهو سبحانه ربه وخالقه. فأولى بالإنسان أن يوحد الله ويعبده وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأعراف، الآيات: ٥٤-٥٦).

وتعرض الآيات قصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة لوط، وقصة شعيب، مع المكذبين وهي دعوة واحدة إلى التوحيد: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف، الآية: ٥٩) فيجادلهم قومهم في إفراد الله سبحانه بالألوهية، ويجادلونهم في إرسال الله من البشر.

وتعرض الآيات سنة الله في عبادة في الابتلاء لعلهم يرجعون ويتعظون: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (الأعراف، الآيات: ٩٤-٩٦).

وتعرض الآيات لقصة موسى عليه السلام في مواجهة فرعون بالتوحيد، وما كان من تحدي السحرة، وما أرسله الله عليهم من العقوبة الدنيوية من أخذهم بالسنين والآفات وإرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونهاية فرعون والملأ من قومه.

وتذكر الآيات ما أخذه الله على بني إسرائيل من الإيمان بالنبي الخاتم

وبركته عليهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (الأعراف، الآية: ١٥٧).

ويأمر الله النبي ﷺ بإعلان حقيقة رسالته، ودعوته: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (الأعراف، الآية: ١٥٨).

وتذكر الآيات العهد والميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم وهم في صلب أبيهم آدم عليه السلام بالتوحيد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (الأعراف، الآيتان: ١٧٢، ١٧٣).

وتختم السورة بخطاب رسول الله ﷺ كيف يعامل هؤلاء المكذبين ويصبر على إيذائهم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف، الآية: ١٩٩).

قدوم مصعب بن عمير على رسول الله ﷺ:

قدم مصعب بن عمير على رسول الله ﷺ يحمل التباشير والأخبار السارة بانتشار الإسلام في المدينة، وكيف كانت استجابة الأوس والخزرج لهذا الدين، فلم يبق بيت إلا ودخله الاسلام، وارتفع صوت الحق في المدينة.

بيعة العقبة الثانية:

عن كعب بن مالك، وكان كعب ممن شهد العقبة، وبايع رسول الله ﷺ بها، قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء، إني قد رأيت والله رأيًا، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا، قال: قلنا له: وما ذاك؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أصلي إليها، قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، فقال: إني أصلي إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة، قال أخي: وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ، فاسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك، فلقينا رجل من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ، فقال: هل تعرفانه؟ قال: قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب

عمه؟ قلنا: نعم، قال: وكنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدم علينا تاجرًا، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس، ورسول الله ﷺ معه جالس فسلمنا، ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «**هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل**»؟ قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «**الشاعر**»؟ قال: نعم، قال: فقال البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا، وهداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: «**لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها**» قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم، قال: وخرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوته إلى الإسلام، وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ، فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبًا، قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند

العقبة، ونحن سبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائهم نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع، قال: فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه يومئذ عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم، فقال: يا معشر الخزرج، قال: وكانت العرب مما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها، إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، قال: فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك، ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام، قال: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، وأبناءكم**» قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر، قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها - يعني العهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «**بل الدم الدم، والهدم الهدم أنا منكم، وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم**»، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبًا يكونون على قومهم**»،

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب - والجباجب: المنازل - هل لكم في مذمم والصباة معه؟ قد أجمعوا على حربكم ـ فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب، اسمع أي عدو الله أما والله، لأفرغن لك**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**ارفعوا إلى رحالكم**» قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لم أؤمر بذلك**» قال: فرجعنا فنمنا حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحد أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم، قال: فانبعث من هنالك من مشركي قومنا، يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموا ما كان منا، قال: فبعضنا ينظر إلى بعض، قال: وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر، وأنت سيد من سادتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش، فسمعها الحارث فخلعهما، ثم رمى بهما إلي، فقال: والله لتنتعلنهما قال: يقول أبو جابر: أحفظت - والله - الفتى، فاردد عليه نعليه، قال:

فقلت: والله لا أردهما، فأل والله صالح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه[1].

وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين، يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ، وبمنازلهم بمنى يقول: «**من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة**»؟، فلا يجد أحدًا ينصره ويؤويه، حتى إن الرجل يرحل من مضر، أو من اليمن، إلى ذي رحمه، فيأتيه قومه، فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله عز وجل له من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به، فيقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله، فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم بعثنا الله عز وجل، فأتمرنا، واجتمعنا سبعون رجلا منا، فقلنا: حتى متى نذر رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة، ويخاف، فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فقال عمه العباس: يا ابن أخي، إني لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك؟ إني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا، قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم، هؤلاء أحداث، فقلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة**»، فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن

---

(١) مسند أحمد١٥٧٩٨ وهو صحيح.

زرارة وهو أصغر السبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر عند الله، قالوا: يا أسعد بن زرارة أمط عنا يدك، فو الله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها، فقمنا إليه رجلا رجلا، يأخذ علينا بشرطة العباس،، ويعطينا على ذلك الجنة [1].

أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية:

وعددهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان

أ-فمن الأوس أحد عشر رجلا:

١ - أسيد بن حضير أحد النقباء.

٢-أبو الهيثم بن التيهان بدري.

٣-سلمة بن سلامة ابن وقش بدري.

٤-ظهير بن رافع.

٥-أبو بردة بن نيار.

٦-نهير بن الهيثم بن نابي بن مجدعة بن حارثة.

٧-سعد بن خيثمة أحد النقباء، بدري وقتل بها شهيدًا.

---

(١) مسند أحمد ١٤٦٥٣ وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٧٤) ٧٠١٢ وهوصحيح.

٨-رفاعة بن عبد المنذر بن زنير نقيب بدري.

٩-عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك بدري، وقتل يوم أحد شهيدًا أميرًا على الرماة.

١٠-معن بن عدي بن الجد بن عجلان بن الحارث ابن ضبيعة البلوي حليف للأوس شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليمامة شهيدًا

١١-عويم بن ساعدة شهد بدرًا وما بعدها.

ب-ومن الخزرج اثنان وستون رجلا:

١٢- أبو أيوب خالد بن زيد، وشهد بدرًا وما بعدها، ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيدًا.

١٣-معاذ بن الحارث بن عفراء بدري.

١٤- عوف بن الحارث بن عفراءبدري.

١٥-معوذ بن الحارث بن عفراء بدري.

١٦-عمارة بن حزم شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليمامة.

١٧- أسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء، مات قبل بدر.

١٨-سهل بن عتيك، بدري.

١٩-أوس بن ثابت بن المندر بدري.

٢٠-أبو طلحة زيد بن سهل، بدري.

٢١- قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف، كان أميرًا على الساقة يوم بدر.

٢٢-عمرو بن غزية

٢٣-سعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا.

٢٤- خارجة بن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد.

٢٥-عبد الله بن رواحة أحد النقباء، شهد بدرًا وأحدًا والخندق، وقتل يوم مؤتة أميرًا.

٢٦-بشير بن سعد، بدري

٢٧- عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذي أري النداء، وهو بدري.

٢٨-خلاد بن سويد بدري أحدي خندقي، وقتل يوم بني قريظة شهيدًا، طرحت عليه رحى فشدخته، فيقال إن رسول الله ﷺ قال: «**إن له لأجر شهيدين**».

٢٩-أبو مسعود عقبة بن عمرو البدري.

٣٠-زياد بن لبيد، بدري.

٣١-فروة بن عمرو بن وذفة

٣٢- خالد بن قيس بن مالك بدري

٣٣-رافع بن مالك أحد النقباء

٣٤-ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد، وهو الذي يقال له مهاجري أنصاري، لأنه أقام عند رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها، وهو بدري قتل يوم أحد

٣٥-عبادة بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدري

٣٦- أخوه الحارث بن قيس بن عامر بدري.

٣٧-البراء بن معرور أحد النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سلمة، وقد مات قبل مقدم النبي ﷺ المدينة، وأوصى له بثلث ماله فرده رسول الله ﷺ على ورثته.

٣٨- بشر بن البراء، وقد شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومات بخيبر شهيدًا من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومة، رضي الله عنه.

٣٩-سنان بن صيفي بن صخر بدري

٤٠- الطفيل بن النعمان بن خنساء بدري، قتل يوم الخندق

٤١-معقل بن المنذر بن سرح بدري

٤٢- يزيد بن المنذر السلمي شهد بدرًا وأُحدًا.

٤٣-مسعود بن زيد بن سبيع.

٤٤-الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري.

٤٥-يزيد بن خذام بن سبيع .

٤٦-جبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد بدري

٤٧- الطفيل بن مالك بن خنساء بدري.

٤٨-كعب بن مالك

٤٩-سليم بن عامر بن حديدة بدري.

٥٠-قطبة بن عامر بن حديدة بدري.

٥١-أبو المنذر يزيد بن عامر بن حديدة بدري.

٥٢- أبو اليسر كعب بن عمرو بدري.

٥٣-صيفى بن سواد بن عباد.

٥٤-ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي، بدري واستشهد بالخندق

٥٥-أخوه عمرو بن غنمة بن عدي

٥٦-عبس بن عامر بن عدي، بدري

٥٧-خالد بن عمرو بن عدي بن نابي

٥٨- عبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة.

٥٩-عبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء، بدري واستشهد يوم أحد

٦٠- جابر بن عبد الله

٦١-معاذ بن عمرو بن الجموح بدري

٦٢-ثابت بن الجذع، بدري وقتل شهيدًا بالطائف

٦٣-عمير بن الحارث بن ثعلبة بدري

٦٤-خديج بن سلامة حليف لهم من بلي

٦٥- معاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب.

٦٦-عبادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها

٦٧- العباس بن عبادة بن نضلة، وقد أقام بمكة حتى هاجر منها، فكان يقال له مهاجري أنصاري، وقتل يوم أحد شهيدًا

٦٨-أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم حليف لهم من بنى غصينة من بلي.

٦٩-عمرو بن الحارث بن لبدة

٧٠-رفاعة بن عمرو بن زيد بدري

٧١-عقبة بن وهب بن كلدة حليف لهم بدري وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها، فهو ممن يقال له مهاجري أنصاري.

٧٢- سعد بن عبادة بن دليم أحد النقباء

٧٣-المنذر بن عمرو نقيب بدري أحدي، وقتل يوم بئر معونة أميرًا وهو الذى يقال له: أعنق ليموت.

وأما المرأتان:

فأم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف المازنية النجارية.

والأخرى أم منيع أسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو رضي الله عنها.

ورجع الأنصار إلى المدينة وهم ينتظرون قدوم النبي ﷺ إليهم.

***

السنة الأولى من الهجرة

هجرة الصحابة رضوان الله عليهم المحرم ـ صفر من السنة الأولى:

لما صدر السبعون من أهل بيعة العقبة من عند رسول الله ﷺ طابت نفسه وقد جعل الله له منعة، وقومًا أهل حرب وعدة ونجدة، واشتد البلاء على المسلمين من المشركين لما يعلمون أنهم سيخرجون إلى المدينة فضيقوا على أصحابه، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى، فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ واستأذنوه في الهجرة [1].

فقال رسول الله ﷺ: «**قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين**» [2].

ثم مكث أيامًا ثم خرج إلى أصحابه مسرورًا فقال: «**قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها**»[3].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب**» [4].

وأمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ٢٢٦).

(٢) صحيح البخاري ٢٢٩٧.

(٣) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ٢٢٦).

(٤) صحيح البخاري ٣٦٢٢.

وقال: «**إن الله قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها**»(١).

فجعل القوم يتجهزون، ويترافقون، ويتواسون، ويخرجون ويخفون ذلك.

ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين، وتجهز أبو بكر مهاجرًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي**»، فقال أبو بكر أو ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: «**نعم**»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته(٢).

وكان أول من قدم من المهاجرين عامر بن ربيعة، حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة، وهي أول ظعينة قدمت المدينة، ثم عبد الله بن جحش احتمل بأهله وبأخيه أبي أحمد عبد بن جحش، وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعرًا، وكانت عنده الفارعة ابنة أبي سفيان بن حرب، وهاجر جميع بني جحش بنسائهم، ومنهم عكاشة بن محصن وشجاع وعقبة ابنا وهب، وأربد بن حمير، ومنقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش ومحرز بن نضلة، ويزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمرو بن محصن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو، وربيعة بن أكثم، والزبير بن عبيد، وتمام بن عبيدة، وسخبرة بن عبيدة.

ومن نسائهم زينب بنت جحش، وأم حبيبة بنت جحش، وجذامة بنت

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٨).

(٢)صحيح البخاري ٢٢٩٧.

جندل، وأم قيس بنت محصن، وأم حبيب بنت ثمامة، وآمنة بنت رقيش، وسخبرة بنت تميم، وحمنة بنت جحش.

وعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها، قال بعضهم: إنه باعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي، فذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارًا في الجنة خيرًا منها**»؟.

قال أبو أحمد بن جحش:

لما رأتني أم أحمد غاديًا ... بذمة من أخشى بغيب وأرهب

تقول فإما كنت لا بد فاعلا ... فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب

فقلت لها: بل يثرب اليوم وجهنا ... وما يشأ الرحمن فالعبد يركب

إلى الله وجهي والرسول ومن يقم ... إلى الله يومًا وجهه لا يخيب

فكم قد تركنا من حميم مناصح ... وناصحة تبكي بدمع وتندب

ترى أن وترًا نأينا عن بلادنا ... ونحن نرى أن الرغائب نطلب

دعوت بني غنم لحقن دمائهم ... وللحق لما لاح للناس ملحب

أجابوا بحمد الله لما دعاهم ... إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا

وكنا وأصحابًا لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا

كفوجين أما منهما فموفق ... على الحق مهدي، وفوج معذب

طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم ... عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا

ورعنـا إلى قـول النبـي محمـد فطـاب ولاة الحـق منـا وطيبـوا
نمـت بأرحـام غلـيهم قريبـة ولا قـرب بالأرحـام إذ لا تقـرب
فـأي ابـن أخـت بعـدنا يـأمننكم وأيـة صـهر بعـد صـهري ترقـب
سـتعلم يومًـا أينـا إذا تزايلـوا وزيل أمر النـاس للحـق أصـوب [١]

هجرة عمر ـ رضي الله عنه:

قال عمر بن الخطاب ﷺ لما أردنا الهجرة إلى المدينة اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل السهمي، الميضأة، ميضأة بني غفار فوق شرف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه.

قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند الميضأة، وفطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وفتن فافتتن [٢].

ثم إن أبا جهل، والحارث بن هشام - وأسلم بعد ذلك - خرجا حتى قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فقالا لعياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما: إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها.

فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

---

(١) سيرة ابن هشام، (١/ ٤٧١).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٥٤٠) أخرجه بن السكن بسند صحيح عن ابن اسحاق بسنده عن عمر.

فقال: أبر قسم أمي ولي هنالك مال فأخذه.

فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريشًا مالا فلك نصف مالي ولا تذهب معهما.

فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما.

فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى.

قال: فأناخ وأناخ ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطًا وفتناه فافتتن ودخلا به مكة نهارًا موثقًا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

وهاجر مع عمر أخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي، وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده – وحفصة أم المؤمنين مع زوجها، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل؛ زوج أخته فاطمة، وفاطمة معه، وواقد بن عبد الله التميمي، حليف لهم وخولي بن أبي خولي ومالك بن أبي خولي حليفان لهم[1].

و هاجر بنو البكير أربعتهم إياس بن البكير، وعاقل بن البكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٢٠) وما ورد أن عمر بن الخطاب هاجر علانية فهو ضعيف وهو في أسد الغابة (٣/ ٦٤٩).

هجرة بقية الصحابة رضوان الله عليهم:

خرج طلحة بن عبيد الله بن عثمان مهاجرًا، وحمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مرثد كناز بن حصن وابنه، و أنسة، وأبو كبشة، موليا رسول الله ﷺ.

وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه الطفيل بن الحارث، والحصين بن الحارث، ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، وسويبط بن سعد بن حريملة أخو بني عبد الدار، وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي، وخباب مولى عتبة بن غزوان، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حذيفة وعتبة بن غزوان بن جابر، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، وعثمان بن الشّريد، وعمّار بن ياسر، وسعد بن أبي وقاص، وبلال، وأبوعبيدة بن الجراح.

وكان نفر من الأنصار بايعوا رسول الله، ﷺ، في العقبة الآخرة ثم رجعوا إلى المدينة، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله، ﷺ، بمكة حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة، فهم مهاجرون أنصاريون، وهم: ذكوان بن عبد قيس، وعقبة بن وهب بن كلدة، والعباس بن عبادة بن نضلة، وزياد بن لبيد.

ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا مفتون محبوس، أو مريض، أو ضعيف عن الخروج.

وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنهما.

وأمست دور المهاجرين في مكة، موحشة خلاء، خرج الصحابة كما قال الله

عنهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⑧﴾ (الحشر، الآية: ٨).

أخرجوا بغير حق كما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ (آل عمران، الآية: ١٩٥) فهم الذين صدقوا قولهم بفعلهم، و هم سادات المهاجرين.

هاجروا لله ورسوله فرارًا بدينهم، فقد آذتهم قريش وشددت عليهم بالأذى

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه [١].

لقد أخرجوا من مكة إخراجًا، فتركوا ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والإخراج من الوطن مثل القتل قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ (النساء، الآية: ٦٦) فقتل النفس، والخروج من الديار مثلان للتكاليف الصعبة الشاقة على النفوس ففعلها المهاجرون.

وأخرجهم من ديارهم تنكر قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله، خرجوا يسألون الله من فضله ورضوانه، لا ملجأ لهم سواه، ولا جناب لهم إلا حماه، فهم الصادقون في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم وهجرتهم.

هاجروا للمدينة لما فيها من النصرة والكرامة، ومحبة أهلها للمهاجرين قال

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٠٠.

الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر، الآية: ٩) لقد تركوا الدنيا وراءهم، وأقبلوا على الله ورسوله.

قال عتبة بن ربيعة لما رأى بيوت آل جحش تخفق أبوابها خالية ليس بها ساكن:

وكـــل دار وإن طالـــت ســـلامتها ... يومًـا ســتدركها النكبـاء والحـوب

ويصدق فيهم قول عمرو بن الحارث بن مضاض:

وقائلـــة والـــدمع ســـكب مبـــادر ... وقـد شرقـت بالـدمع منهـا المحـاجر

كـأن لم يكـن بـين الحجـون إلى الصـفا ... أنـــيس ولم يســـمر بمكـــة ســـامر

لقد استولت قريش على أموال المهاجرين وبيوتهم.

و كان ابن عمر رضي الله عنهما إذ مرّ برَبْعهم وقد هاجر منه غمَّض عينيه ولم ينظر إليه ولم ينزله قط[1].

وقد وعدهم الله وعدًا حقًا فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (النحل، الآية: ٤١) فبوأهم الله تعالى دار الهجرة وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين.

(١) حلية الأولياء (١/ ٣٠٣).

وفاة البراء بن معرور ١/٢/٠ هـ:

في صفر من السنة الأولى توفي البراء بن معرور وهو: السيد النقيب أبو بشر الأنصاري الخزرجي أحد النقباء ليلة العقبة.

وهو ابن عمة سعد بن معاذ، وكان نقيب قومه بني سلمة.

وهو البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي. وكان فاضلا، تقيًا، فقيه النفس.

كان من النفر الذين بايعوا البيعة الأولى بالعقبة وهو أول من بايع، وأول من استقبل القبلة وأول من أوصى بثلث ماله.

وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية البراء بن معرور.

و كان البراء بن معرور أول من استقبل الكعبة حيًا، وكان توجه إلى الكعبة قبل أن يتوجه إليها رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأمره أن يستقبل بيت المقدس فأطاع فلما كان عند موته أمر أهله أن يوجهوه قبل الكعبة[1].

ولما مات قبل الهجرة وجه قبره إلى الكعبة، وكان قد أوصى لرسول الله ﷺ فقبل وصيته ثم ردها على ولده.

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٣/ ٣٩٢) ٦٠٦٤.

فقد أوصى إلى النبي ﷺ بثلث ماله يصرف حيث شاء، فرده النبي ﷺ[١].

فسأل النبي ﷺ بعد الهجرة عن قبره، فأتاه، فصف عليه، وكبر، وقال: «**اللهم اغفر له، وارحمه، وأدخله الجنة، وقد فعلت**» وصلى عليه يعني على قبره وكبر أربعًا[٢].

عن أبي قتادة قال: كان موت البراء بن معرور في صفر، قبل قدوم النبي ﷺ بشهر وكان أول من تكلم من النقباء[٣].

---

(١) المستدرك (١/ ٥٠٥) ١٣٠٥

(٢) انظر صحيح مسلم ٢٢٧٦

(٣) المستدرك (٣/ ١٩٩) ٤٨٣٢.

هجرة النبي ﷺ:

مكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ثم أذن له بالهجرة.

المؤامرة على رسول الله ﷺ:

أجمع كفار قريش أمرهم ومكرهم على أن يأخذوا رسول الله ﷺ فإما أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه فأخبره الله بمكرهم في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال، الآية: ٣٠).

فقد أيقنت قريش أن محمدًا ﷺ قد بويع، وأمر رسول الله ﷺ من كان بمكة من أصحابه أن يلحقوا بإخوانهم بالمدينة فقالوا: الآن فأجمعوا في أمر محمد فو الله لكأنه قد كرَّ عليكم بالرجال فأثبتوه أو اقتلوه، أو أخرجوه.

فاجتمعوا له في دار الندوة ليقتلوه، وغدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزّحمة، وقد اجتمع فيها أشراف قريش، من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل، ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة، ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام، وزَمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام، ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام، ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن

بني جمح: أمية بن خلف، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش، فلما دخلوا الدار اعترضهم الشيطان في صورة رجل جميل في بت له [١] فقال: أأدخل؟ قالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل نجد، سمع بالذي اجتمعتم له فأراد أن يحضره معكم فعسى أن لا يعدمكم منه نصح ورأي قالوا: أجل فادخل فلما دخل قال بعضهم لبعض: قد كان من الأمر ما قد علمتم فأجمعوا رأيًا في هذا الرجل فقال قائل: أرى أن تحبسوه فقال النجدي: ما هذا برأي والله لئن فعلتم ليخرجن رأيه وحديثه إلى من وراءه من أصحابه فأوشك أن ينتزعوه من أيديكم، ثم يغلبوكم على ما في أيديكم من أمركم، فقال قائل منهم: بل نخرجه فننفيه فإذا غيب عنا وجهه وحديثه ما نبالي أين وقع، قال النجدي: ما هذا برأي أما رأيتم حلاوة منطقه وحسن حديثه وغلبته على من يلقاه، ولئن فعلتم ذلك ليدخل على قبيلة من قبائل العرب فأصفقت معه على رأيه ثم سار بهم إليكم حتى يطأكم بهم، فقال أبو جهل: والله إن لي فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه قالوا: وما هو؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش غلامًا جلدًا نهدًا نسيبًا وسيطًا، ثم تعطوه شفارًا صارمة، فيضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل فلم تدر عبد مناف بعد ذلك ما تصنع ولم يقووا على حرب قومهم وإنما غايتهم عند ذلك أن يأخذوا العقل فتدونه لهم قال النجدي: لله در هذا الفتى هذا الرأي وإلا فلا شيء، فتفرقوا على ذلك واجتمعوا له. [٢]

---

(١) وهو الكساء الغليظ المربع، وقيل الطيلسان من خز، وفي تهذيب اللغة: «البت ضرب من الطيالسة، يسمى الساج مربع غليظ أخضر، وجمعه: أبت، وبتات، وبتوت.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٦٧) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٠٠) ١٥٤وسيرة ابن هشام ٢/ ١٢٢ عن ابن اسحاق وسنده منقطع ووصله الطبري في التاريخ ٢/ ٣٧٠ وسنده حسن، وآية الانفال تشهد لثبوته بدون ذكر الشيطان.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ﴾ قال: "تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح، فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك، فبات علي على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًا، يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليًا، رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا، لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال "[1].

تكسير الأصنام ١/٢/٢٩هـ:

بعد علم رسول الله ﷺ بتأمر قريش على قتله، كسر أصنامهم، كما كسر الخليل أصنام قومه.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انطلق بي رسول الله ﷺ حتى أتى بي الكعبة فقال لي: «**اجلس**» فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله ﷺ على منكبي، ثم قال لي: «**انهض**» فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته قال لي: «**اجلس**» فنزلت وجلست ثم قال لي: «**يا علي اصعد على منكبي**» فصعدت على منكبيه، ثم

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ٣٠١) ٣٢٥١ والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٩٩)١١٩٨٧وشرح مشكل الآثار (١٥/ ٥) ٥٨٠٦ وهو حسن بالشواهد.

نهض بي رسول الله ﷺ، فلما نهض بي خُيّل إليَّ، لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة، وتنحى رسول الله ﷺ فقال لي: «**ألق صنمهم الأكبر صنم قريش**» وكان من نحاس موتدًا بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله ﷺ: «**عالجه**» ورسول الله ﷺ يقول لي: «**إيه إيه**» ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ «فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فقال: «**اقذفه**» فقذفته فتكسر وترديت من فوق الكعبة، فانطلقت أنا والنبي ﷺ نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم)[1].

وروى أحمد عن علي، قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله ﷺ: «**اجلس**» وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفًا، فنزل، وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: «**اصعد على منكبي**» قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه، قال لي رسول الله ﷺ: «**اقذف به**» فقذفت به، فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس[2].

---

(١) المستدرك (٢/ ٣٩٨) ٣٣٨٧ وقال الحاكم صحيح الإسناد ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٤٠٣)٣٦٩٠٧.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٢/ ٧٣) ٦٤٤و الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (١/ ٣٧٤)٧٠٩ وقال الضياء إسناده حسن ومسند أبي يعلى (١/ ٢٥١)٢٩٢ ومسند البزار (٣/ ٢١)٧٦٩.

ليلة الهجرة ١/٢/٣٠هـ:

أتى رسول الله ﷺ الخبر، وأمر أن لا ينام على فراشه تلك الليلة فلم يبت موضعه بل بات عليًا في مضجعه،[١] وأذن الله له عند ذلك بالخروج.

واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه ويريدون بياته ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ عليهم، فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رءوسهم وهم لا يرونه وهو يتلو ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس، الآية: ٩) ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، وجاء رجل ورأى القوم ببابه فقال ما تنتظرون؟، قالوا: محمدًا قال خبتم وخسرتم قد والله مر بكم وذر على رءوسكم التراب قالوا: والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم[٢].

وهم أبو جهل، والحكم بن العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، و زمعة بن الأسود، و طعيمة بن عدي، وأبو لهب، وأبي بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فلما أصبحوا قام علي عن الفراش فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال لا علم لي به.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٦٦) وانظر المستدرك ٤٠٥ (٣/ ١٣٢) ٤٦٥٢ ومسند أحمد ط الرسالة (٥/ ١٧٨) برقم٣٠٦١ وهو حسن بالشواهد،وصححه أحمد شاكر في المسند ٣٠٦٢.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٧٠) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري (١/ ٥٦٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٢٠٠) ١٥٤، وهو مرسل له شواهد يتقوى بها.

وقال علي عند مبيته على فراش رسول الله ﷺ شعرًا:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصا ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا ... موقى وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم ولم يتهمونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأسر[١]

ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج، إلا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر[٢].

وكان خروجه من مكة يوم الخميس[٣].

أما علي فإن رسول الله ﷺ، أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ، ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته[٤].

واختفى النبي ﷺ تلك الليلة وصباحها، ولعله كان عند عمه العباس رضي الله عنه، أو غيره من بني هاشم، ولم يذهب لأبي بكر إلا في الظهيرة.

---

(١) المستدرك (٣/ ٥)، ٤٢٦٤.
(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٥٦).
(٣) فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة (٧/ ٢٣٦).
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٦٤) وهو حسن بالشواهد.

ذهاب رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر:

قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية، فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة، فقلت يا أبت هذا رسول الله ﷺ، مقبلا متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، أما والله إن جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء واستأذن فأذن له فدخل، فقال لأبي بكر: «**أخرج من عندك**» قال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله فقال: «**اخرج فقد أذن لي في الخروج**»، فرأيت أبا بكر يبكي، وما كنت أحسب أن أحدًا يبكي من الفرح".

وفي رواية فقال: الصحبة يا رسول الله، قال: الصحبة" قال: فخذ مني إحدى راحلتي قال: بالثمن، وقالت عائشة: فجهزتهما أحث الجهاز فصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فأوكت به الجراب فبذلك كانت تسمى ذات النطاقين وخرجا من خوخة في ظهر بيت أبي بكر.

ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل يقال له ثور [1].

وداع المحب ١/٣/١هـ:

ووقف رسول الله ﷺ على الحَزَوّرة فقال: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض إليَّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت منك**» [2].

وكان أبو بكر في طريقه إلى ثور، يكون أمام النبي ﷺ مرة، وخلفه مرة، فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك،

---

(١) صحيح البخاري ٣٩٠٥.

(٢). مسند أحمد ١٨٧١٥ وهو صحيح.

وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك، حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور، قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه، فإن كانت فيه دابة أصابتني قبلك.

وكان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفًا أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذى رسول الله ﷺ[١].

وأصاب يد أبي بكر حجر فقال:

إن أنـــت إلا إصـــبع دميـــت وفي ســـبيل الله مـــا لقيـــت [٢]

مطاردة قريش ١/٣/٢هـ:

جدت قريش في طلبهما وأخذوا معهم القافة فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة، الآية: ٤٠).

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٣٧) وقال وهذا مرسل.وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه. وله في شاهد من حديث عمر كما في دلائل البيهقي (٢/ ٤٧٧) وسنده مرسل أيضًا عن الحسن البصري رواه ابن هشام فالحديث حسن.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٤٨٠) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٣٨).

(٣) مسند أحمد ٣٢٥١ وانظر السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٣٩) وقال هذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله ورسوله ﷺ. وذكره الحافظ في الفتح: ٧/ ٢٣٦ وقال سنده حسن.

وجعلت قريش لمن ردهما، أو أحدهما مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم، وكان الذي يقتص الأثر لقريش سراقة بن مالك بن جعشم، فصعدوا الجبل الذي هما فيه، وجعلوا يمرون على باب الغار، فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما، حفظًا من الله لهما.

وقال أبو بكر يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه.

فقال: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(١).

فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب لقن ثقف-حاذق سريع الفهم - فيدلج من عندهما بسحر فيصبح في قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يكيدون به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك، حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، ويريح عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما (٢)حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك، كل ليلة من الليالي الثلاث واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل هاديًا خريتًا، قد غمس يمين حلف في آل العاص بن وائل وهو على جاهليته فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور.(٣)

وقد بقوا في الغار من يوم الخميس ليلا إلى يوم الأحد ليلا الرابع من ربيع الأول.

---

(١) صحيح البخاري ٣٦٥٣، وصحيح مسلم ٢٣٨١.

(٢) في رسل بكسر الراء بعدها مهملة ساكنة اللبن الطري قوله ورضيفهما بفتح الراء وكسر المعجمة بوزن رغيف أي اللبن المرضوف أي التي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته فتح الباري - ابن حجر - دار المعرفة (٧/ ٢٣٧)

(٣) صحيح البخاري ٣٩٠٥.

الانطلاق في طريق الهجرة ١/٣/٤هـ ليلا:

لما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه فركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي.(١) وذلك في وقت السحر قبيل الفجر.

وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه، ليخدمهما في الطريق، وأخذ بهما الدليل طريق الساحل غربي مكة ومشوا مسافة خمسة عشر كيلو باتجاه البحر ثم اتجهوا شمالا، حتى مروا ببطن مُر محاذاة الحديبية (٢)، التي بينها وبين الغار حوالي ثلاثون كيلو.

قال أبوبكر: فأدلجنا فأحيينا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فضربت ببصري هل أرى ظلا نأوي إليه فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله ﷺ، وفرشت له فروة، ثم قلت: اضطجع يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، ثم خرجت هل أرى أحدًا من الطلب، فإذا براع مقبل بغنمه يريد من الصخرة ما أردنا: فلقيته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل مكة، فسماه فعرفته فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة منها.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر- عبد الله بن أريقط ويقال أريقد بالدال بدل الطاء المهملتين ويقال بقاف بصيغة التصغير الليثي ثم الديلي دليل النبي ﷺ وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة ثبت ذكره في الصحيح وأنه كان على دين قومه وسيأتي له ذكر في ترجمة عبد الله بن أبي بكر الصديق قريبًا يتعلق بالهجرة أيضًا ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلامًا وتبعه النووي في تهذيب الأسماء(الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٥) ٤٥٢٩).

(٢) قال السهيلي في الروض الأنف ت الوكيل (١/ ٣٩١) بطن مر:يريد: مر الظهران، وسمي: مُرًا لأن في عرق من الوادي من غير لون الأرض شبه الميم الممدودة، وبعدها را خلقت كذلك، ويذكر عن كثير أنه قال: سميت: مرا لمرارتها.

فقلت: انفض الضرع من التراب والقذى، فحلب لي في قعب معه كثبة من لبن ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي منها يشرب ويتوضأ، فجعلت على فمها خرقة، فأتيت النبي ﷺ، وكرهت أن أوقظه من نومه، فوقفت حتى استيقظ، فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن.

فشرب حتى رضيت، ثم قال: «**ألم يأن الرحيل**»؟ قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعد ما زالت الشمس[1].

وهذا المكان بعد مسيرهم عشر ساعات متواصلة، وبينه وبين الغار خمسون كيلوا، وذلك يوم الاثنين ظهرًا الخامس من ربيع الأول.

فواصلوا مسيرهم إلى غروب الشمس فبلغوا كراع الغميم وبينه وبين الغار خمس وستون كيلو[2].

غروب الشمس يوم الاثنين ١/٣/٥هـ في كراع الغميم:

كان رسول الله ﷺ لا يتطير ولكن يتفاءل ويحب الفأل ويحرم التطير والتشاؤم وكانت قريش جعلت مائة من الإبل لمن يأخذ نبي الله ﷺ فيرده عليهم حيث توجه إلى المدينة.

فأتاه بريدة بن الحصيب فقال نبي الله ﷺ: من أنت؟ قال: بريدة، فقال لأبي بكر: برد أمرنا وصلح، ثم قال: ممن؟ قال: من أسلم.

---

(١) صحيح البخاري ٣٦٥٢، و صحيح مسلم ٢٠٠٩

(٢) يقع جنوب عسفان بستة عشر كيلا على الجادة إلى مكة، أي على (٦٤) كيلا من مكة على طريق المدينة، وتعرف اليوم ببرقاء الغميم انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٦٣).

فقال لأبي بكر: سلمنا، ثم قال: من بني من؟ قال: من بني سهم.

قال: خرج سهمك يا أبا بكر.، فقال بريدة للنبي ﷺ: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله رسول الله.

فقال بريدة: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعًا، وكانوا زهاء ثمانين بيتًا.

قال بريدة: الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين، فصلى رسول الله ﷺ العشاء فصلوا خلفه.

وعَلّم ﷺ بريدة بن الحصيب ليلتئذ صدرًا من سورة مريم[1].

ونام النبي ﷺ في كراع الغميم إلى الصبح، وصلى بهم الصبح

فلما أصبح قال بريدة للنبي ﷺ: يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه[2].

---

(١) الوفا بتعريف فضائل المصطفى (١/ ١٨٢)والأنوار في شمائل النبي المختار (ص: ٣٧٧) ١١٣٢ومعجم الصحابة للبغوي (١/ ٣٣٨) ٢١.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٢١وانظر أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني (٤/ ٦٥) والأنوار في شمائل النبي المختار (ص: ٧١٠).

يوم الثلاثاء ٦/٣/١هـ صباحًا:

بعث بريدة رضي الله عنه غلامه يسارًا مع النبي ﷺ وأبي بكر، قال يسار: فلما حضرت الصلاة استقبل رسول الله ﷺ القبلة، وقام أبو بكر عن يمينه فقمت عن يساره فدفع رسول الله ﷺ في صدر أبي بكر فأخره وأخرني فصففنا وراءه وصلينا[١].

ثم ساروا صبح الثلاثاء السادس من ربيع الأول، إلى أسفل عسفان مسافة خمسة عشر كيلوا، والتقوا بأبي ثروان الراعي التميمي، قال أبو ثروان، كنت أرعى لبني عمرو بن تميم في إبلهم فهرب النبي ﷺ من قريش فجاء حتى دخل في إبلي فنفرت الإبل فإذا هو جالس فقلت من أنت فقد نفرت إبلي. قال: «**أردت أن أستأنس إليك و إلى إبلك**» فقلت: من أنت؟ قال: «**ما يضرك ألا تسألني**»؟ قلت إني أراك الذي خرجت نبيًا قال أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ". قلت: اخرج من إبلي فلا يبارك الله في إبل أنت فيها فقال: «**اللهم أطل شقاءه وبقاءه**».

قال الراوي عنه فأدركته شيخًا كبيرًا يتمنى الموت فقال له القوم: ما نراك يا أبا ثروان إلا هالكًا دعا عليك رسول الله ﷺ، فقال كلا إني أتيته بعدما ظهر الإسلام فأسلمت واستغفر لي ولكن دعوته الأولى سبقت[٢].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٦٨٠) ٩٣٤٤و قال الحافظ أخرج عمر بن شبة وساق الحدبث ثم قال: قال عمر بن شبة (عبدالعزيز كثير الغلط) وهو عبدالعزيز بن عمران أحد رجال السند، والسنة ثابتة في موقف الامام من أحاديث أخرى.

(٢) دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني (ص: ١٦٠) ١٨٨ ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٤٥٢) ٣٧٧ والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٥٦) ٩٦٥٣.

ثم واصلوا السير على أسفل أمج لمدة ثلاث ساعات[١]، ثم واصلوا المسير إلى قديد[٢] ثم واصلوا المسير من قديد لمدة ثلاث ساعات أخرى، حتى وصلوا خيمة أم معبد، في وقت القيلولة وكان سيرهم ثمان ساعات تقريبًا، قطعوا فيها خمسًا وستين كيلوا تقريبًا[٣].

خيمة أم معبد الثلاثاء ١/٣/٦هـ:

و أم معبد الخزاعية واسمها، عاتكة بنت خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن خنيس بن حرام بن حبشيّة بن كعب بن عمرو الخزاعية[٤].

وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي، فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئًا من ذلك، وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، وإذا القوم مرملون مسنتون[٥].

فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم.

---

(١) أمج بالتحريك، وآخره جيم: جاء في النص الذي ذكرناه في عسفان، وفي خبر مهاجرته ﷺ. ويعرف أمج اليوم بخليص: واد زراعي على مائة كيل من مكة شمالا على الجادة العظمى. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٣٢).

(٢) قديد بضم القاف وفتح الدال المهملة ومثناة تحت ودال أخرى: تردد ذكره في السيرة، في طريق هجرته، وفي غزوة المريسيع، وغيرها. وهو واد فحل من أودية الحجاز التهامية، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على نحو من ١٢٥ كيلا معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٤٩).

(٣) تعرف اليوم أرض باسم «خيمة أم معبد» بطرف وادي قديد من الشمال إذا فاض في الساحل، وهي مهبط ثنية المشلل من الجنوب، والطريق المعبدة ثم غربيها على ندوة،وقد وردت نصوص تشير إلى أن موضع خيمة أم معبد كان قريبًا من الثنية معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١١٩).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٤٧٥) ١٢٢٦٣.

(٥) أرمل القوم: فني زادهم ؛ فهم مرملون. والأرمل: الفقير الذي لا زاد له (مستنون): أصابتهم سنة وقحط (المحيط في اللغة (١٠/ ٢٢٨) وتاج العروس من جواهر القاموس (٤/ ٥٦٩).

قال: فهل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: تأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله، ودعا بإناء لها يربض الرهط [1]، فتفاجت، واجترت فحلب فيه ثجًا، حتى ملاه، فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل، حتى إذا رووا شرب آخرهم وقال: ساقي القوم آخرهم.، ثم حلب فيه ثانيًا عودًا على بدء، فغادره عندها.

وهذه الشاة التي مسح النبي ﷺ ضرعها عاشت إلى عام الرمادة، قالت أم معبد فكنا نحلبها صبوحًا وغبوقًا، وما في الأرض لبن قليل ولا كثير.

ثم ارتحلوا. قال: فقل ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا يتساوكن هزلا، لا نقي بهن مخهن قليل، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين هذا اللبن يا أم معبد، ولا حلوبة في البيت والشاء عازب؟!

فقالت: لا والله إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت، وكيت.

فقال: صفيه لي، فو الله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب.

فقالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق، مليح الوجه لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة، قسيم وسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحول أكحل، أزج أقرن، في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق فصل، لا نزر، ولا هذر، كأن

---

(١) يروي الرهط ويسعهم. والرهط مادون العشرة من الرجال.

منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنأه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدًا، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

فقال - يعني بعلها -: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، ولو صادفته لا لتمست أن أصحبه، ولا جهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون من يقول، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازي وسؤدد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح، ضرة الشاة مزبد

فغادره رهنًا لديها لحالب ... يرددها في مصدر ثم مورد [(١)]

وأجابه حسان بن ثابت:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقد سرى من يسرى إليهم ويغتدي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٩ - ١٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال صحيح وأخرجه الطبراني في الكبير: ٣٦٠٥ وأبو نعيم في الدلائل: ص ٢٨٢ - ٢٨٧. وهو حديث حسن بشواهده، وحسنه الالباني في فقه السيرة.

ترحـل عـن قـوم فزالـت عقـولهم ... وحـل عـلى قـوم بنـور مجـدد
وهـل يسـتوي ضـلال قـوم تسـفهوا ... عمـى وهـداة يهتـدون بمهتـد
نبـي يـرى مـا لا يـرى النـاس حولـه ... ويتلـو كتـاب الله في كـل مشـهد
وإن قـال في يـوم مقالـة غائـب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
لـيهن أبـا بكـر سـعادة جـده ... بصـحبته مـن يسـعد الله يسـعد
ويهـن بنـي كعـب مكـان فتـاتهم ... ومقعـدها للمسـلمين بمرصـد [1]

وأسلم أبو معبد وهاجر إلى النبي ﷺ. واسمه أكثم بن الجون أو بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي[2].

ثم واصلوا مسيرهم، ومروا بالطريق العام الذي يمر به الناس، وذلك بعد مسيرهم بساعتين تقريبًا، ورآهم سراقة بن جعشم.

قصة سرقة الثلاثاء ١/٣/٦هـ:

قال سراقة: فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس.

فقال: يا سراقة إني رأيت آنفًا أسودة بالساحل أراها محمدًا وأصحابه.

قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا.

---

(١) دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني (ص: ٦٠) ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٢٨١)..

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٠٦)٢٤٠.

ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليَّ، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره.

فركبت فرسي وعصيت الأزلام. فجعل فرسي يقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات.

فقال أبو بكر يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال اللهم اصرعه فساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها فأهويت، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة، إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزلام فخرج الذي أكره.

فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ.

فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قالا: أخف عنا، ولا تتركن أحدًا يلحق بنا.

فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أدم.

ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحدًا من الطلب إلا رده وقال: كفيتم هذا الوجه.[1]

وكان ذلك عصر الثلاثاء قبل المغرب تقريبًا.

قال أبوبكر رضي الله عنه:

قال النبي ولم أجزع يوقرني ... ونحن في سدنة في ظلمة الغار
لا تخش شيئًا فإن الله ثالثنا ... وقد توكل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره ... كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طرًا بما كسبوا ... وجاعل المنتهى منهم إلى النار
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم ... إما غدوا وإما مدلج سار
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا ... قوم عليهم ذوو عز وأنصار
حتى إذا الليل وارانا جوانبه ... وسد من دون من نخشى بأستار
سار الأريقط يهدينا وأنيقه ... ينعبن بالقوم نعباً تحت أكوار
يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها ... وكل سهب دقيق الترب موار
حتى إذا قلت قد أنجدن عارضنا ... من مدلج فارس في منصب وار
يردى به مشرف الأقطار معترم ... كالسيد ذي البلدة المستأسد الضاري
فقال كروا فقلنا إن كرتنا ... من دونها لك نصر الخالق الباري
إن تخسف الأرض بالأخرى وفارسها ... فانظر إلى مربع في الأرض خوار
فهيل لما رأى أرساغ مقربه ... قد سخن في الأرض لم تحفر بمحفار

(١) صحيح البخاري ٣٦١٥ وصحيح مسلم ٧٧٠٦.

فقال هل لكم أن تطلقوا فرسي ... وأخذوا موثقي في نصح أسرار

وأصرف الحي عنكم إن لقيتهم ... وأن أعور منهم عين عوار

فادع الذي هو عنكم كف عدوتنا ... يطلق جوادي فأنتم خير أبرار

فقال قولا رسول الله مبتهلا ... يا رب إن كان ينوي غير إخفار

فنجه سالمًا من شر دعوتنا ... ومهره مطلقًا من كلم آثار

فأظهر الله إذ يدعو حوافزه ... وفاز فارسه من هول أخطار [1]

وواصلوا مسيرهم إلى الخرار [2]، ووصلوا الخرار بعد مسير ثلاث ساعات، ليلا وصلوا فيها العشاء ثم ناموا.

ثم ارتحلوا قبل الفجر.

لقاء الزبير وطلحة بالنبي ﷺ الأربعاء ١/٣/٧هـ:

أصبحوا يوم الأربعاء السابع من ربيع الأول، فالتقوا بالزبير، وطلحة بن عبيد الله، في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام فكسا الزبير وطلحة رسول الله ﷺ ثيابًا بيضًا من ثياب الشام وكسوا أبا بكر رضي الله عنهم [3].

وأخبرهم طلحة أن المسلمين استبطاؤهم، وكان من يلاقيهم من التجار يعرفون أبا بكر، ولا يعرفون النبي ﷺ فيسألونه من هذا فيقول هذا الرجل

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٦٤) ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٣٣٦).

(٢) الخرار، واد، هو وادي الجحفة وغدير خم، يقع شرق رابغ على قرابة (٢٥) كيلا عند غدير خم معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١١٢).

(٣) صحيح البخاري ٣٩٠٦.

يهديني الطريق، فيحسب الحاسب أنه يعني الطريق وإنما يعنى سبيل الخير [١].

وساروا حتى وصلوا ثنية المرة [٢] ثم واصلوا سيرهم، حتى وصلوا وادي لقف، وكانت المسافة بين الخرار ووادي لقف تقدر بستين كيلوا، قطعوها نهار الأربعاء وجزءًا من الليل، وباتوا ليلتهم في وادي لقف[٣].

الخميس ١/٣/٨هـ:

ثم ساروا يوم الخميس ومروا مدلجة لقف، ثم مدلجة مجاح، ثم مرجح مجاح، ثم مرجح ذي العصوين، ثم بطن ذي كشد ثم الجداد ثم الأجرد، ووصلوا بطن ريع، وصلوا فيه المغرب، وقد قطعوا حوالي ثلاثة وأربعين كيلوا خلال النهار[٤].

ومروا بعبد يرعى غنمًا، فاستسقياه من اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ها هنا عناقًا حملت أول الشتاء، وقد أخدجت، وما بقي لها لبن، فقال: «ادع بها» فدعا بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، قال: وجاء أبو بكر رضي الله عنه بمجن فحلب، وسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط، قال: «**أو تراك تكتم عليَّ حتى أخبرك**»؟ قال: نعم، قال: «**فإني محمد رسول الله**» فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ، قال: «**إنهم ليقولون ذلك**» قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما

(١)صحيح البخاري ٣٩١١.

(٢) موضع ما زال معروفًا بين غدير خم والفرع، على طريق الهجرة. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٨٩).

(٣) لقف، واد من روافد وادي الفرع يصب فيه من ضفته الشمالية عند بئر رضوان، قبل اجتماع الفرع والقاحة معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٧٣).

(٤) انظر المستدرك (٣/ ٩) ٤٢٧٢ وقال الحاكم والذهبي صحيح الإسناد.

جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا**»(١).

ثم واصلوا مسيرهم إلى وادي القاحة لمدة ثلاث ساعات تقريبًا فباتوا في القاحة(٢).

الجمعة ١/٣/٩هـ:

لما أصبحوا يوم الجمعة ساروا حتى وصلوا العرج (٣)، وكان مسيرهم في هذا اليوم أقل من أربعين كيلو لتأخر ظهر الرسول ﷺ، فالتقوا بالعرج برجل من أسلم فقال النبي ﷺ: «**لمن هذه الإبل**»؟ قالوا: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «**سلمت إن شاء الله**»، فقال: «**وما اسمك**»؟ قال: فقال: مسعود، فالتفت إلى أبي بكر، فقال: «**سعدت إن شاء الله**»، فأتاه أوس بن حجر فحمله على جمل يقال له: ابن الرداء " (٤).

وبعث معهما غلامًا له يقال له: مسعود، فقال له: اسلك بهما حيث تعلم من مخازم الطرق، ولا تفارقهما حتى يقضيا حاجتهما منك، ومن جملك ومشى معهما حتى أدخلهما المدينة.

---

(١) المستدرك (٣/ ٩) ٤٢٧٣وقال الحاكم صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) واد فحل من أودية الحجاز يقع أوله مما يلي المدينة على أربع مراحل، ويسير فيه الطريق مرحلتين، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٤٥).

(٣) العرج بفتح العين المهملة وسكون الراء وآخره جيم: جاء في نص قدمناه في عسجد. وهو واد فحل من أودية الحجاز التهامية، كان يطؤه طريق الحجاج من مكة إلى المدينة، جنوب المدينة على (١١٣) كيلا معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٠٣).

(٤)المعجم الكبير للطبراني (١/ ٢٦٤،) ٦١٠ والخصائص الكبرى (١/ ٣١٢) من حديث مالك بن أوس الأسلمي وقال رواه أبو نعيم وانظر الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٥٧)٣٤٤.

وقد قضيا حاجتهما منه ومن جمله، ثم أرسل رسول الله ﷺ مسعودًا إلى سيده، عن مسعود فقال: مر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال لي أبو بكر يا مسعود ائت أبا تميم يعني مولاه، فقل له يحملنا على بعير، ويبعث إلينا بزاد ودليل يدلنا، فجئت إلى مولاي فأخبرته فبعث معي ببعير ووطب من لبن، فجعلت آخذ بهم في إخفاء الطريق وحضرت الصلاة فقام رسول الله ﷺ يصلي وقام أبو بكر عن يمينه وقد عرفت الإسلام وأنا معهما فجئت فقمت خلفهما فدفع رسول الله ﷺ في صدر أبي بكر فقمنا خلفه[1].

وباتوا بالعرج فلما أصبحوا يوم السبت العاشر من ربيع الأول.

السبت ١٠/٣/١هـ:

قال عبدالله بن سعد العرجي: حدثني أبي وهو سعد مولى الأسلميين أن رسول الله ﷺ أتاهم، ومعه أبو بكر، وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة، وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة، فقال له سعد: هذا الغامر من ركوبة، وبه لصان من أسلم يقال لهما المهانان.

فإن شئت أخذنا عليهما. فقال النبي ﷺ: «**خذ بنا عليهما**».

قال سعد: فخرجنا حتى إذ أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه: هذا اليماني.

فدعاهما رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان.

---

(١) سنن النسائي (٢/ ٨٤) ٨٠٠و المعجم الكبير للطبراني (١٥/ ٢٦٢) ١٧١٧٢ وفيه ضعف.

فقال: «بل أنتما المكرمان» وأمرهما أن يقدما عليه المدينة [١].

فمروا بطريقهم بجداوات وركوبة [٢] وثنية الغائر [٣] حتى وصلوا وادي رئم[٤]، وباتوا فيه حتى الصباح، وقد قطعوا في هذا اليوم أربعين كيلوا تقريبًا.

وكان رسول الله ﷺ لما بلغ ثنية الغائر، وعرت عليه الطريق فأبصره ذو البجادين فقال لأبيه دعني أدله على الطريق، فأبى ونزع ثيابه عنه، وتركه عريانًا فاتخذ بجادًا من شعر، وطرحه على عورته ثم لحقهم فأخذ بزمام ناقة النبي ﷺ وأنشأ يرتجز[٥]:

هذا أبو القاسم فاستقيمي.
تَعرِضِي مَدَارِجاً وسُمي.
تَعرُّضَ الجوزاء للنجوم.

الأحد ١١/٣/١هـ:

ثم ساروا يوم الأحد الحادي عشر من ربيع الأول قاصدين الجثجاثة، فمروا بالخلائق ثم وادي العقيق، حتى وصلوا الجثجاثة، وقد قطعوا حوالي أربعين كيلوا، وهي على بريد من المدينة، فصلى بها رسول الله ﷺ، وناموا فيها.

---

(١) أخرجه أحمد ١٦٦٩١أورده الحافظ في (الإصابة) في ترجمة سعد العرجي، والهيثمي في (مجمع الزوائد) ٦/٥٨-٥٩، وقال: رواه عبد الله بن أحمد، وابن سعد اسمه عبد الله، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات!

(٢) ركوبة، هي عن يمين ثنية الغائر لقاصد المدينة وليست هي الغائر.ولا زالت معروفة باسمها، وهي على طريق قديمة عسرة قد هجرت اليوم.معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٤٢).

(٣) الغائر من الغور، وهو العمق في الأرض ونحوه: ريع يقع شمال ركوبة، وقد مهد اليوم وعبرته السيارات. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٢٣).

(٤) رئم، واد من روافد وادي النقيع، يأتي من الغرب فيصب فيه شمال الحنو، يمر في رئم طريق الغائر بين بئر الماشي والقاحة، على مقربة من بئر الماشي. يبعد مصب رئم عن المدينة قرابة ٦٠ كيلا شمالا معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٤٥).

(٥) تاريخ المدينة النبوية (١/ ٧٩).

الاثنين ١٢/٣/١هـ:

لما أصبحوا يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وتغدوا بالجثجاثة بقية من سفرتهم، وكانوا ذبحوا بالأمس شاة فجعلوها إرة-والإرة اللحم المطبوخ في كرش فقال النبي ﷺ: «**من يدلنا على طريق بني عمرو بن عوف**»؟ قال سعد أنا، فارتحلوا ومروا بالضبي ثم العصبة، ثم قباء لمسافة ثمانية عشر كيلوا تقريبًا ووصلوا عند اشتداد الشمس قرب الظهر [(١)].

طريق الهجرة:

قالت عائشة رضي الله عنها أجاز بهما في أسفل مكة، ثم مضى بهما حتى حاذى بهما الساحل أسفل من عسفان، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد ما جاوز قديدًا، ثم سلك الخرار، ثم أجاز على ثنية المرة، ثم أخذ على طريق يقال لها المدجلة بين طريق عمق وطريق الروحاء، ثم يوفق لطريق العرج وسلك ماء يقال له الغائر عن يمين ركوبة، حتى يطلع على بطن رئم، ثم جاء حتى قدم المدينة على بني عمرو بن عوف [(٢)].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٣١٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٩) ٤٢٧٢ وقال صحيح الإسناد.

وتفصيل الطريق[1]:

١- غار ثور: غار في جبل ثور في جنوب مكة المكرمة، أو جنوب المسجد الحرام على مسافة ثلاثة أكيال.

٢- عسفان: بلدة تقع على مسافة ثمانين كيلا شمال مكة، على طريق المدينة.

٣- أمج: يعرف اليوم ب «خليص»: و هو واد زراعي على مائة كيل من مكة شمالا.

٤- قديد: بضم القاف: واد فحل من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرّة «ذرة»، فيسمى أعلاه ستارة، وأسفله قديدًا، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على مسافة مائة و عشرين كيلا.

٥- خيمتا أم معبد: لم يذكرها ابن هشام من مراحل الطريق، و لكنها مشهورة: و هي بطرف وادي قديد من الشمال إذا فاض من الساحل.

٦- الخرّار: واد،وهو وادي الجحفة و غدير خم، يقع شرق مدينة رابغ على قرابة خمسة و عشرين كيلا.

٧- ثنية المرّة: موضع بين غدير خمّ و الفرع.

٨- لقف: واد، يرفد وادي الفرع.

٩- مدلجة مجاح- بالحاء في آخرها، أو بالحاء في الأولى و الجيم في الأخير.

المدلجة: من الدلج: و هو اندلاج الماء على الأرض، و «مجاح»: واد يسيل في وادي الفرع من الشمال بعد أبي ضباع.

---

(١) انظر في طريق الهجرة إلى بحث د عبدالله حسين القاضي (التتبع المكاني والزماني لمعالم طريق الهجرة النبوية في روايات العلماء)وهو من أحسن من كتب في هذا الموضوع، وطريق الهجرة للبلادي، وطريق الهجرة للأنصاري.

١٠- مرجح: شعب يصبّ في مجاح.

١١- ذو العصوين: شعبتان تجتمعان ثم تصبان في مجاح: و هي مسيل ماء.

١٢- ذو كشد: و تعرف اليوم «أم كشد»: تلعة تسيل في وادي ثقيب من الجنوب مقابلة الأجرد، يأخذها الطريق إلى القاحة.

١٣- الجداجد: جمع جدجد: و هي الأرض المستوية الصلبة، و يجوز أن يكون جمع جدجد و هي البئر القديمة.

١٤- الأجيرد: وهو شعب يصب في وادي ثقيب من الشمال.

١٥- مدلجة تعهن: مسيل ماء.

١٦- العبابيد- غير معروفة.

١٧- القاحّة: و هو واد عظيم ذو روافد، و من روافده: الفاجّة بالفاء وتشديد الجيم.

١٨- العرج: واد كبير.

١٩- ثنية الغائر: الغائر من الغور، وهو العمق في الأرض ونحوه: ريع يقع شمال ركوبة، وقد مهد اليوم وعبرته السيارات

٢٠- بطن رئم: واد يأتي من الغرب فيصب في وادي النقيع عند بئر الماشي، على طريق المدينة إلى مكة الطريق الجديد المسمى: طريق الهجرة.

٢١- قباء: مكان معروف في المدينة.

الشوق العظيم لرؤية النبي الكريم:

سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، ينتظرونه بفارغ الصبر والاشتياق لرؤية رسول الله ﷺ، ينتظرون الهداية وأنوار النبوة، ويا سعادة من رأى ذلك الوجه الأنور، والجبين الأزهر وهو مؤمن به.

فكان المسلمون يخرجون إذا صلوا الصبح إلى ظاهر الحرة ينتظرون النبي ﷺ فما يرجعون حتى تغلبهم الشمس على الظلال، فإذا لم يجدوا ظلا دخلوا، وذلك في أيام حارة[1].

حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسوا كما كانوا يجلسون، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلوا البيوت، وأرسل إلى الأنصار رجلا من أهل البادية يؤذنهم بقدومه.

فكان أول من رآه رجل من اليهود، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء.

فخرجوا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنه، وأكثرهم لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وركبه الناس، وما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفوه عند ذلك.

---

(١) رواه ابن إسحاق انظر السيرة لابن كثير ٢/ ٢٦٨) وسنده قوي.

ونزل ﷺ، بقباء في بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين كادت الشمس أن تعتدل [(١)]

نزل على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد، ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة.

وكان عزبًا وكان ينزل عنده العزاب من أصحاب النبي ﷺ وكان يقال لبيته بيت العزاب

وكان النبي ﷺ يخرج من بيت كلثوم ويدخل بيت سعد لاستقبال الناس [(٢)].

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة قال: لما نزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم، وصاح كلثوم بغلام له؛ يا نجيح، فقال رسول الله ﷺ: أنجحت يا أبا بكر.

وهذا من الفأل الحسن وكان النبي ﷺ يحب الفأل[(٣)].

ونزل أبو بكر على خبيب بن أساف بالسنح، وقيل نزل على خارجة بن زيد أخي بني الحارث بن الخزرج[(٤)].

---

(١)صحيح البخاري ٣٩٠٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٣٣) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٦٢ - ٦٣، رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٣١٢) وذكر أنه اخرجه الزبير بن بكار في اخبار المدينة وذكره المقريزي في إمتاع الأسماع (٨/ ٣٢٨) انه أخرجه ابن زبالة في تاريخ المدينة.

(٤) جوامع السيرة (ص: ٧٢) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٧٠).

قدوم علي ﷺ ١٥ /٣/١هـ:

لما فرغ علي ﷺ من الذي أمره به رسول الله ﷺ، هاجر إلى المدينة فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه، فقال النبي ﷺ ادعوا لي عليًا.قيل لا يقدر أن يمشي فأتاه النبي ﷺ واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه وأمرها على قدميه فلم يشتكهما بعد حتى قتل[١].

السلام يحل محل العداء:

كانت الخزرج تخاف أن تدخل دار الأوس، وكذا الأوس، لما كان بينهم من العداوة وكان أسعد بن زرارة قتل نبيل بن الحارث يوم بُعاث، فقال ﷺ أين أسعد بن زرارة، فقال سعد بن خيثمة ومبشر ورفاعة ابنا المنذر، كان قد أصاب منا رجلا يوم بعاث فجاء أسعد إليه متقنعًا ليلة الأربعاء بين العشاءين، فقال ﷺ جئت إليّ ههنا وبينك وبين القوم ما بينك وبينهم، قال لا والذي بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك في مكان، إلا جئت ثم بات عند النبي ﷺ حتى أصبح ثم غدا فقال ﷺ لسعد بن خيثمة ومبشر ورفاعة أجيروه، قالوا أنت فأجره فجوارنا في جوارك، فقال يجيره بعضكم فقال سعد بن خيثمة هو في جواري ثم ذهب لأسعد بن زرارة في بيته فجاء به يخاصره يده في يده ظهرًا حتى انتهى به إلى بني عمرو بن عوف، ثم قال الأوس يا رسول الله كلنا له جار فكان يغدو ويروح إلى رسول الله ﷺ[٢].

---

(١) إمتاع الأسماع (١/ ٦٨) وأسد الغابة (ص: ٧٩٢).

(٢) شرف المصطفى (٢/ ٣٧٠).

فمحى الله العدواة وألف بين قلوبهم. قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣ ﴾ (الأنفال، الآيتان: ٦٥، ٦٣).

بناء مسجد قباء ١٦/٣/١هـ:

(قُبَا) قريةٌ على ميلين من المدينة، على يسار القاصد إلى مكة، بها أثر بنيان كثير، وبساتين وزروع وأشجار ونخيل وهي اليوم من أحياء المدينة.

وكان قبل قدوم النبي ﷺ، يصلون جماعة، وكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة، لأنه كان أكثرهم قرآنًا[(١)].

فأخذ النبي ﷺ مربد [(٢)] كلثوم بن الهدم، فأسسه وبناه مسجدًا[(٣)].

وكان أول أمره أن عمار بن ياسر قال: ما لرسول ﷺ بُدٌّ، من أن يجعل له مكاناً يستظل به، إذا استيقظ ويصلي فيه، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء فهو أول مسجد بني [(٤)].

وعن جابر بن سمرة قال: لما سأل أهل قباء النبي ﷺ أن يبني لهم مسجدًا قال رسول الله ﷺ: «**ليقم بعضكم فيركب الناقة**» أي ناقته التي هاجر عليها، فقام أبو بكر رضي الله عنه فركبها فحركها فلم تنبعث، فرجع، فقام عمر رضي الله عنه فركبها فلم تنبعث،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٢.

(٢) المربد: الموضع الذي يبسط فيه التمر لييبس.

(٣) رواه ابن زبالة في تاريخ المدينة.

(٤) المستدرك(٣/ ٤٣٤) ٥٦٥٥.

فرجع، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ليقم بعضكم فيركب الناقة**» فقام علي ﵁ فلما وضع رجله في غرز الركاب وثبت به فقال رسول الله ﷺ: «**أرخِ زمامها، وابنوا على مدارها، فإنها مأمورة**»[1].

وعن جابر ﵁قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال:يا أهل قباء ائتوني بأحجار من هذه الحرة، فجمعت عنده أحجار كثيرة ومعه عنزة له - وهي عصًا مثل نصف الرمح لها سنان مثل سنانه- فخط قبلتهم، فأخذ حجرًا فوضعه رسول الله ﷺ، ثم قال: يا أبابكر خذ حجرًا فضعه إلى حجري، ثم قال: يا عمر خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال: يا عثمان خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر عمر، ثم التفت إلى الناس فقال: ليضع كل رجل حجره حيث أحب على ذلك الخط.[2]

وعن الشموس بنت النعمان قالت: نظرت إلى رسول الله ﷺ حين قدم وأُنزل، وأسس هذا المسجد مسجد قباء، فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر -أي يقيمه ويضمه إليه لثقله- وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سُرّته، فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: بأبي وأمي يا رسول الله أعطني أَكْفِك فيقول: لا، خذ مثله، حتى أسسه ويقول إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة. قالت: فكان يقال: إنه أقوم مسجد قبلةً[3].

---

(١) المعجم الكبير (٢/ ٢٤٦) ٢٠٣٣.

(٢) المعجم الكبير (٢/ ٣٣٩) ٢٤١٨.

(٣) المعجم الكبير (٢٤/ ٣١٨) ٨٠٢ ورجاله ثقات قال الحافظ في الإصابة: وخطر لي في جوابه أنه أطلق الكعبة وأراد القبلة- أو الكعبة على الحقيقة-، وإذا بين له جهتها كان إذا استدبرها استقبل بيت المقدس، وتكون النكتة فيه أنه سيحول إلى الكعبة فلا يحتاج إلى تقويم آخر.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسارعون في بناء مسجد قباء ويرتجزون شعرًا ينشطون به هممهم.

روى ابن شبّه أن عبد الله بن رواحة كان يقول، وهم يبنون مسجد قباء:

أفلح من يعالج المساجدا. فقال رسول الله ﷺ: «**المساجدا**». فقال عبدالله: ويقرأ القرآن قائمًا وقاعدًا. فقال عليه السلام: وقاعدًا. فقال عبدالله: ولا يبيت الليل عنه راقدًا. فقال رسول الله ﷺ: «**راقدًا**»(١).

ولم يزل ذلك المسجد يزوره رسول الله ﷺ مدة حياته، ويصلي فيه، فلما توفي رسول الله ﷺ لم تزل الصحابة تزوره وتعظمه(٢).

ويعتبر مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام على وجه الأرض، سواء كان الذين اختاروا موضعه ابتداء هم المهاجرون والأنصار قبل وصول النبي ﷺ، أم كان الذي اختار موضعه هو النبي ﷺ قبيل دخوله المدينة النبوية.

و كانت في دار سعد بن خيثمة في قباء، بئر الغرس وكان إلى جانبها مهراس، وهو حجر منقور كالحوض عظيم لا يقدر على تحريكه، يتوضأ منه.، توضأ وشرب وغسل منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

وفي قباء بئر أريس نسبة إلى رجل من يهود اسمه أريس، وهو الفلاح بلغة أهل الشام قديمًا، وهي في حديقة بالقرب من مسجد قباء(٤).

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٥٢).

(٢) صحيح البخاري١١٩١.

(٣) إمتاع الأسماع (٧/ ٣٥١) ومنها كان يستسقى لرسول الله ﷺ منها، ومنها غسل بعد موته.

(٤) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ﷺ) (٤/ ٢٤١) وكان ﷺ يشرب منها ويتوضأ ويغتسل.

قال علي ﷺ رأيت سهل بن حنيف يدخل على امرأة، لا زوج لها يأتيها كل ليلة ويعطيها شيئًا، فسألتها عنه فقالت هو سهل بن حنيف قد علم أني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إلي ويقول احتطبي بهذه [١].

قدوم صهيب بن سنان ﷺ ١٧/٣/١هـ:

قدم صهيب آخر الناس وذلك للنصف من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ بقباء، فوافى رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، وبين أيديهم رطب قد جاءهم به كلثوم بن الهدم. وكان صهيب رمد العين، قد رمد في الطريق، وأصابته مجاعة شديدة، فجعل يأكل الرطب أكل جائع. فقال عمر: يا رسول الله، ألا ترى إلى صهيب يأكل الرطب وهو رمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا صهيب، أتأكل الرطب وأنت رمد**»؟ فقال صهيب: إنما آكله بعيني الصحيحة، فتبسم رسول الله ﷺ [٢].

ثم قال صهيب: إن قريشًا أخذتني وحبستني، فاشتريت نفسي وأهلي بمالي، وبادرت للهجرة. فقال رسول الله ﷺ: «**ربح البيع**»، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ الآية (البقرة، الآية: ٢٠٧). [٣].

وفتحت بيوت الأنصار أبوابها وقلوب أصحابها لوفود المهاجرين، واستعدت لاحتضانهم رجالاً ونساء، فتقاسموا المال والمكان والطعام.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٧٠).

(٢)سنن ابن ماجه (٢/ ١١٣٩) ٣٤٤٣ والبيهقي السنن الكبرى (٩/ ٥٧٨) وحسنه الألباني.

(٣) المستدرك (٣/ ٤٥٠) ٥٧٠٠وقال الحاكم صحيح الاسناد.

ومن هذه البيوت:

١ - دار كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء نزل عليه رسول الله ﷺ، وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة، وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ.

٢- دار سعد بن خيثمة أخي بني النجار، وكان يسمّى بيت العزاب ونزل بها العزاب من المهاجرين.

٣- دار أسعد بن زرارة من بني النجار، نزل بها حمزة بن عبد المطلب.

٤- دار مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء: ونزل بها مجموعة من المهاجرين نساء ورجالاً، وقد ضمت هذه الدور عمر بن الخطاب، ومن لحق به من أهله، وقومه وابنته حفصة وزوجها.

٥- دار عبد الله بن سلمة أخي بَلْعجلان بقباء: نزل بها عبيدة بن الحارث وأمه سخيلة، ومِسْطَح بن أثاثة بن عبّاد بن المطلب، والطفيل بن الحارث، وطُليب بن عُمير، والحصين بن الحارث نزلوا جميعًا على عبد الله بن سلمة بقباء.

٦- دار بني جَحْجبتى، وصاحبها منذر بن محمد بن عقبة، نزل عنده الزبير بن العوام، وزوجه أسماء بنت أبي بكر، وأبو سبرة بن أبي وهب وزوجته أم كلثوم بنت سهيل.

٧- دار بني عبد الأشهل، لسعد بن معاذ بن النعمان من بني عبد الأشهل، نزل بها مصعب بن عمير، وزوجته حَمنة بنت جحش.

٨- دار بني النجار، لأوس بن ثابت بن المنذر، نزل بها عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.

٩- دار سعد بن الربيع نزل عبدالرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين

١٠- دار خبيب بن إساف أخي بني الحارث بن الخزرج بالسنح نزل بها طلحة بن عبيد الله بن عثمان وأمه وصهيب بن سنان.

بأخوة الإيمان وهذه الروح العالية، توحدت القلوب وسعدت النفوس، وألف الله بين القلوب فكانوا عباد الله إخوانًا.

قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه ١/٣/١٨هـ:

سمع الباحث عن الحقيقة سلمان الفارسي برسول الله ﷺ فأتاه في المساء في دار كلثوم بن الهدم بقباء فدخل عليه فقال له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذووا حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قال سلمان فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه، لقد وجد آية من الآيات والعلامات على نبي آخر الزمان التي علمه بها ذلك الحبر من النصارى، أنه لا يأكل الصدقة [1].

وبقي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بضعة عشرة ليلة في قباء، ولعلها اثنا عشر يومًا، يستقبل أصحابه المهاجرين والأنصار ويعلمهم دينهم، وينطق شهادة الحق بين يديه المسلمون الجدد.

(١) أخرجه أحمد ٢٣٧٣٧ وهو حسن.

موقف اليهود ١/٣/١٨هـ:

عن صفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني، لم ألقهما في ولد لهما قط أهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء، قرية بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فو الله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما نظر إلى واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله ! قال: تعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله.

قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت ! [1]"

وحسد اليهود رسول الله صلى عليه وسلم وأذوه، وهم يعلمون صدقه ونبوته، وأنزل الله على نبيه ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾(البقرة، الآية: ١٧٦).

فهم أحق الناس وأولاهم بإتباعه ومناصرته ومؤازرته، كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به؛ ولهذا من خالف منهم ما في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد، أحل الله به ذلا في الدنيا موصولا بذل الآخرة.

(١) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٧٧) ٣٧ ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٣٣) وسنده قوي.

دخول المدينة الجمعة ١/٣/٢٤هـ:

ذكر البخاري عن الزهري، عن عروة، أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء، وأقام فيهم بضع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء في تلك الأيام[١].

قال موسى بن عقبة: وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف، فمشوا حول ناقته، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحًا على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيمًا له[٢].

صلاة الجمعة في سالم بن عوف:

كان خروجه ﷺ: يوم الجمعة فأدركته صلاة الجمعة، في سالم بن عوف في وادي رانوناء [٣] وصلى بهم الجمعة، وكانت أول جمعة صلاها رسول ﷺ: في المدينة[٤].

وكان من خطبته:

«إن الحمد لله أحمده وأستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث

---

(١) صحيح البخاري٣٩٠٦.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٠١) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٧٣).

(٣) واد صغير بين قباء ومسجده ﷺ، يصب من حرة قباء في وادي بطحان جنوب مسجد الغمامة، ولا يعرف اسم الوادي اليوم إلا للخاصة، ولكن مسجد الجمعة معروف هناك. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ١٣٥).

(٤) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٧١)

وأبلغه، أحبوا من أحب الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق الله يختار الله ويصطفي، فقد سماه خيرته من الأعمال، ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا واتقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده.

أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالا، و أفضلت عليك، فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينًا وشمالا فلا يرى شيئًا، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته»[1].

ثم سار إلى المدينة، وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ: «**دعوها فإنها مأمورة، فإنما أنزل حيث أنزلني الله**».

وخرجت العواتق فوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ قال أنس: فما رأينا منظرًا شبيهًا به.

وخرج الناس في الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله.

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٢٥) وسيرة ابن هشام (٢/ ١٠٦).

فأتاه عتبان بن مالك، وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم، فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة. لناقته فخلوا سبيلها.

فانطلقت حتى إذا وازت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو، رجال من بني بياضة، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة.

قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**» فخلوا سبيلها.

فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، في رجال من بني ساعدة، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا في العدد والمنعة.

قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**» فخلوا سبيلها.

فانطلقت حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة.

قال: «**خلوا سبيلها فإنها مامورة**» فخلوا سبيلها.

فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار، وهم أخواله، أم عبدالمطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم، اعترضه سليط بن قيس، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا: يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة.

قال: «**خلوا سبيلها فإنها مأمورة**» فخلوا سبيلها.

ومرَّ في طريقه بعبد الله بن أبي بن سلول، وهو في بيت، فوقف رسول الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل، وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم، فقال عبدالله: انظر الذين دعوك فانزل عليهم.

فذكر ذلك رسول الله ﷺ لنفر من الأنصار، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد منَّ الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا.

فانطلقت الناقة، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه الصلاة والسلام اليوم، وكان يومئذ مربدًا لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا في حجر أسعد بن زرارة.(١)

فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهن يقلن:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال «**أتحبونني**»؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله.

فقال: «**وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم**».(٢)

قال ابن إسحاق: لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم ينزل عنها، حتى وثبت

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٠٤).

(٢)دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٠٨)والإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا (ص: ٣١٤)٤٤٦ ومسند البزار (١٣/ ٥٠٤)٧٣٣٤وسنن ابن ماجه (١/ ٦١٢) ١٨٩٩ بلفظ (مر ببعض المدينة) وصححه الألباني وانظر شرف المصطفى(١/ ١٠٤).

فسارت غير بعيد، ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها.

فنزل عنها رسول الله ﷺ.

فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد، رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ[1].

وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلة رسول الله، ﷺ،[2] فكانت عنده.

إن تلك المشاهد لتظهر حب الصحابة لرسول الله ﷺ وتفانيهم في خدمته، وتظهر كرمهم وجودهم وصدق إيمانهم.

دخول رسول الله ﷺ دار أبي أيوب:

دخل رسول الله ﷺ الدار وكان متعبًا، فأراد أن يستريح فقال رسول الله، ﷺ لأبي أيوب انطلق فهيىء لنا مقيلا.

فذهب فهيأ ثم جاء. فقال: يا رسول الله قد هيأت مقيلا، قوما على بركة الله فقيلا[3].

وكان معه زيد بن حارثة.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٧٣) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠١).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه البخاري٣٦٩٩.

أول هدية للنبي ﷺ الجمعة ليلا ١/٣/٢٤هـ:

قال زيد بن ثابت: فأول هدية دخلت على رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب إناء قصعة مثرودة فيها خبز وسمن ولبن فقلت: أرسلت بهذه القصعة أمي، فقال: بارك الله فيك.

ودعا أصحابه فأكلوا، فلم أرم الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق [١].

الصحابة يتسابقون لإطعام الرسول ﷺ ١/٣/٢٥هـ-١/٤/٢٥هـ:

ما كان من ليلة، إلا وعلى باب رسول الله ﷺ، الثلاثة والأربعة يحملون الطعام يتناوبون ذلك، حتى تحول رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب [٢].

وسأل عن المربد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل بني عمرو وهما يتيمان لي، وسأرضيهما منه فاتخذه مسجدًا.

فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى.

ونزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده، ومساكنه، وكان مقامه فيه شهرًا [٣]وقيل سبعة أشهر، ونزل معه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

---

(١) ذكره يحيى بن الحسن في (أخبار المدينة) كما في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٢٧٥).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٣٧).

(٣) وهو قول الدولابي والمسعودي انظر الاشارة لمغلطاي ١٧٣ وفي وفاء الوفا (١/ ٢٣٧)واختاره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣/ ٩١).

إسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه ١/٣/٣٠هـ:

كان عبدالله بن سلام، في نخل لأهله يخترف، فسمع برسول الله ﷺ، قال عبدالله بن سلام قال: «فخرجت إلى رسول الله ﷺ فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «**افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**». [1]

فجاء عبدالله بن سلام إلى النبي ﷺ فقال: «إني سائلك عن خلال لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ وما هذا السواد الذي في القمر؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفًا**».

قال: «**جبريل**»؟ قال: «**نعم**» قال: «**عدو اليهود من الملائكة**».

«ثم قرأ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (البقرة، الآية: ٩٧) قال: «**أما أول أشراط الساعة: فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد، وأما السواد الذي في القمر: فإنهما كانا شمسين**». قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ (الإسراء، الآية: ١٢) **فالسواد الذي رأيت هو المحو**». فقال: «**أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله**»[2].

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٢٠١) ٢٣٧٨٤ وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٤٤٨٠ ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٦٢).

ثم رجع إلى أهل بيته فأمرهم فأسلموا وكتم إسلامه. ثم خرج إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، إن اليهود قد علمت أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، وأنهم قوم بهت، وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني، وقالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأحب أن تدخلني بعض بيوتك».

فأدخله رسول الله بعض بيوته، وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه فقال: **«يا معشر يهود يا ويلكم اتقوا الله فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله قد جئتكم بالحق فأسلموا»**.

فقالوا: ما نعلمه. فقال: **«أي رجل فيكم الحصين بن سلام»**؟ قالوا: " خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ". فقال: **«أرأيتم إن أسلم»**.

قالوا: " أعاذه الله من ذلك "فقال: **«يا ابن سلام اخرج إليهم»**.

فخرج عبد الله فقال: " أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فو الله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله حقًا، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة: اسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقه وأعرفه.

قالوا: " كذبت أنت شرنا وابن شرنا "، وانتقصوه.

قال: " هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور؟ " قال: «وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث وحسن إسلامها»[1].

---

(١) قصة إسلامه أخرجها البخاري٤٢١٠-٣٦٩٩ وانظر دلائل النبوة للبيهقي (المقدمة/ ٣٧)..

أبو أيوب يطلب من الرسول ﷺ ١/٤/٢هـ:

روى ابن إسحاق عن أبي أيوب ﵁ قال: (لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو: فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل، فقال: «**إن أرفق بنا، وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت**».

قال: فكان رسول الله ﷺ في سفله، وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حِبٌّ لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها، ننشف بها الماء، تخوفًا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه.

وذكر أن أبا أيوب لم يزل يتضرع إلى النبي ﷺ حتى تحول رسول الله ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفل.

عن أبي أيوب أن النبي ﷺ نزل عليه فنزل النبي ﷺ في السفل وأبو أيوب في العلو - قال - فانتبه أبو أيوب ليلة فقال نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ. فتنحوا فباتوا في جانب ثم قال للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**السفل أرفق**». فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحول النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفل فكان يصنع للنبي ﷺ طعامًا فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه فصنع له طعامًا فيه ثوم فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ فقيل له لم يأكل. ففزع وصعد إليه فقال أحرام هو فقال النبي ﷺ: «**لا ولكني أكرهه**». قال فإني أكره ما تكره أو ما كرهت.

قال وكان النبي ﷺ يؤتى.[١] أي تأتيه الملائكة.

وفي رواية قال: «**إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه**». قال: فأكلناه ولم نضع له تلك الشجرة بعد[٢].

وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة)[٣].

وقيل لأم أيوب: أي الطعام كان أحب إلى رسول الله ﷺ فإنكم عرفتم ذلك لمقامه عندكم؟ فقالت: ما رأيته أمر بطعام فصنع له بعينه، ولا رأيناه أتي بطعام فعابه.

وقد أخبرني أبو أيوب أنه تعشى عنده ليلة من قصعة أرسل بها سعد بن عبادة.

قال أبو أيوب.

فرأيت رسول الله ﷺ ينهل تلك القدر ما لم أره ينهل غيرها، فكنا نعملها له، وكنا نعمل له الهريس وكانت تعجبه.

وكان يحضر عشاءه خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام في الكثرة والقلة[٤].

أسعد بن زرارة يهدي للنبي ﷺ سريراً ١/٤/٣هـ:

كانت قريش بمكة ليس شيء أحب إليها من السرر تنام عليها، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل منزل أبي أيوب، قال ﷺ: «**يا أبا أيوب أما لكم**

---

(١) صحيح مسلم ٥٤٧٩.

(٢) صحيح مسلم ٢٠٥٣والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٧٧).

(٣) إمتاع الأسماع (١/ ٦٧).

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٢٧٥) نقلا عن يحيى بن الحسن في أخبار المدينة.

سرير»؟ قال: لا و الله، فبلغ أسعد بن زرارة ذلك، فبعث إلى رسول الله ﷺ بسرير له عامود، وقوائم ساج، فكان ينام عليه حتى توفي[١].

خادم رسول الله ﷺ ١/٤/٤هـ:

وهو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ.

وكناه النبيّ ﷺ أبا حمزة ببقله كان يجتنيها[٢]، ومازحه النبي ﷺ، فقال له: «**يا ذا الأذنين**»[٣].

عن أنس قال جاءت بي أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له. فقال « اللهم أكثر ماله وولده »[٤].

وعن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ على أم سليم، فأتته بتمر وسمن، وكان صائمًا، فقال: " أعيدوا تمركم في وعائه، وسمنكم في سقائه " ثم قام إلى ناحية البيت فصلى ركعتين، وصلينا معه، ثم دعا لأم سليم ولأهلها بخير، فقالت أم

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٥٢٥) ١٠٥٧وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٧/ ٣٥٤) ومستعذب الإخبار بأطيب الأخبار (ص: ٣٩٦).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٣٠١) ١٢٢٨٦ وسنن الترمذي ٣٨٣٠قال الأزهري: البقلة التي جناها أنس كان في طعمها لذع، فسميت حمزة بفعلها، يقال: رمانة حامزة، أي: فيها حموضة.

(٣) سنن أبي داود ٥٠٠٢ و سنن الترمذي ١٩٢، ١٩٩٢، ٣٨٢٨والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٧٦).

(٤) أخرجه مسلم ٦٥٣١.

سليم: يا رسول الله، إن لي خويصة قال: "ما هي؟ " قالت: خادمك أنس، قال: فما ترك خير آخرة ولا دنيا، إلا دعا لي به، وقال: " اللهم ارزقه مالا وولدًا، وبارك له فيه ". قال: " فما من الأنصار إنسان أكثر مالا مني، وذكر أنه لا يملك ذهبًا، ولا فضة، غير خاتمه " قال: " وذكر أن ابنته الكبرى أمينة أخبرته أنه دفن من صلبه إلى مقدم الحجاج نيفًا على عشرين ومائة "[١].

قال أنس بن مالك قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فذهبت بي أمي إليه فقالت يا رسول الله إن رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك غيري، وإني لم أجد ما أتحفك به إلا بني هذا فاقبله مني يخدمك ما بدا لك قال فخدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يضربني ضربة ولم يسبني ولم يعبس في وجهي[٢].

وعن أنس قال: «خدمت رسول الله ﷺ، عشر سنين، لا والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي: أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته»[٣].

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ١٠٩) ١٢٠٥٣ وهو صحيح.

(٢) المعجم الأوسط (٦/ ١٢٣) وانظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ١٤٤).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٠/ ٣٣٤) ١٣٠٣٤ وهو صحيح.

دور الأنصار:

كانت يثرب لم تمصر، وإنما كانت قرى مفرقة: بنو مالك بن النجار في قرية، وهي مثل المحلة، وهي دار بني فلان. كما في الحديث: خير دور الأنصار دار بني النجار.

- ومن دور الأنصار، عمرو بن عوف، و بني سالم بن عوف
- ودار بني بياضة.
- ودار بني ساعدة.
- ودار بني الحارث بن الخزرج.
- ودار عدي بن النجار.
- ودار بني مالك بن النجار.
- ودار بني مازن بن النجار.
- ودار بني عبد الأشهل [1].
- قال النبي ﷺ: وفي كل دور الأنصار خير [2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١/ ٢٨٦).

(٢) صحيح البخاري ٣٧٨٩.

نسب الأنصار:

يتصل إلى حارثة بن ثعلبة العنقا بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الركب، وهو غسان أبو الملوك.

وهو أبو الأوس والخزرج و إنما سمي العنقا لطول عنقه [1].

أمهما قيلة بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو لأوس.

والأوس والخزرج اسم لطائرين من سباع الطير.

الأوس:

بطون الأوس الكبرى خمسة أبطن هي: عوف بن مالك، وعمرو بن مالك وهم النبيت، ومرة بن مالك، وجشم بن مالك، وامرؤ القيس بن مالك.

وقد سكنوا جميعًا قباء جنوبي المدينة.

وسكن بنو ظفر، وبنو حارثة، وبنو عبد الأشهل، وبنو زعوراء في الطرف الشرقي لحرة واقم.

---

(١) الأنساب للصحاري (ص: ١٧٥).

الخزرج:

بطون الخزرج الكبرى خمسة أبطن هي: عمرو بن الخزرج، وعوف بن الخزرج، وجشم بن الخزرج، وكعب بن الخزرج، والحارث بن الخزرج.

فانقسمت عمرو بن الخزرج إلى أربعة أبطن هي: مالك، وعدي، ومازن، ودينار. وكلها من بني النجار المعروف بتيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. وقد سكنت بطون بني النجار في المنطقة الوسطى التي حول مسجد النبي ﷺ.

فمساكن بني مالك كانت في منطقة المسجد، ومساكن بني عدي غربي المسجد، ومساكن بني مازن في قبلة المدينة، وإلى جنوبهم سكن بنو دينار خلف وادي بطحان.

ومن بطون عوف بن الخزرج بنو الحبلى، الذين كان منهم عبد الله بن أبي بن سلول. وكانت منازلهم بين قباء والمنطقة الشرقية من وادي بطحان.

ومن بني جشم بن الخزرج بنو بياضة، وبنو زريق، وبنو سلمة، وإلى جانبهم عشائر منهم دخلت فيهم. وقد سكن بنو سلمة في الشمال الغربي للمدينة بجوار مسجد القبلتين.

وبنو سلمة تعددت فروعهم، فمنهم بنو حرام وبنو عدي وبنو عبيد، وكانت منطقتهم ممتدة من سلع إلى وادي العقيق، وسكن بنو زريق وبنو بياضة وبنو حبيب في جنوب المدينة شمال مساكن بني سالم بن عوف بن الخزرج على وادي بطحان.

وانقسم بنو الحارث بن الخزرج إلى عدة أبطن أهمها: بنو مالك الأغر بن

كعب بن الخزرج الأصغر بن الحارث، وبنو جشم بن الحارث، وبنو زيد مناة بن الحارث.

وبنو خُدرة، وجِدارة ابنا عوف بن الحارث، وبنو صخر بن الحارث. وقد سكن بنو الحارث الذين عرفوا بلحارث بالعوالي شرقي وادي بطحان: ماعدا بني جشم وبني زيد مناة الذين سكنوا السنح على ميل من مسجد رسول الله ﷺ من ناحية الشرق. وبني خدرة وجدارة الذين سكنوا مما يلي سوق المدينة.

ومن بني كعب بن الخزرج بنو ساعدة، وقد سكن بنو ساعدة عند المكان المعروف بسقيفة بني ساعدة في شرقي سوق المدينة [1].

ويتضح أن الأوس قد سكنوا المناطق الزراعية الغنية في المدينة، و جاورهم اليهود وجموعهم.

والخزرج استوطنوا مناطق أقل خصبًا، وقد جاورهم بنو قينقاع.

وبعد أن تلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ولم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس.

واطمأنت برسول الله ﷺ داره، وأظهر الله بها دينه، وسره بها جمع.

إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته، فطاب له المقام، وانصرفت عنهم الأقدار عند قوم كرام.

قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس يذكر النبي ﷺ:

(١) تاريخ ابن خلدون (٢/ ٢٨٨) وجمهرة أنساب العرب (٢/ ٤٧١) والمنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (ص: ٢٩).

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكّر لو يلقى صديقًا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه ... فأصبح مسرورًا بطيبة راضيا
وألفى صديقًا واطمأنت به النوى ... وكان له عوناً من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذا أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحدًا ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره ... ونعلم أن الله أفضل هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعًا وإن كان الحبيب المصافيا
أقول إذا أدعوك في كل بيعة ... تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخيفة ... حنانيك لا تظهر علينا الأعاديا[1]

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ (الإسراء، الآية: ٨٠).[2] قال قتادة: أخرجه الله من مكة إلى المدينة مخرج صدق ونبي الله يعلم أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل الله سلطانًا نصيرًا[3].

---

(١) المستدرك (٢/ ٦٨٣) ٤٢٥٥ وأسد الغابة (ص: ٥١٨) وأنساب الأشراف (١/ ١١٦) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٩١).

(٢) أخرجه أحمد ٣١٣٩ والترمذي - (٥/ ١٥٥) ١٩٤٨ والحاكم في المستدرك (٣/ ٤) ٤٢٥٩ وفيه ضعف.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١١١).

لقد خرج النبي ﷺ من مكة مخرج صدق في النية والعمل ودخل المدينة مدخل صدق في النية والعمل والقول.

واستقر رسول الله ﷺ بالمدينة واستبشر بما آتاه الله فيها من فتح، وتوسم من وراء هذه الهجرة بشائر الخير والنصر.

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع ٢٦ /١/٣هـ:

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وأبا رافع إلى مكة وأرسل أبو بكر رضي الله عنه عبد الله بن أريقط ليأتي بأهله مع عبدالله بن أبي بكر.

وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم، ليشتروا بها إبلا من قديد فذهبوا فجاءوا ببنتي النبي ﷺ فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة وأمها أم رومان، وأهل النبي ﷺ وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر، وقد شرد بعائشة وأمها أم رومان الجمل في أثناء الطريق فجعلت أم رومان تقول وا عروساه وابنتاه، قالت عائشة فسمعت قائلا يقول أرسلي خطامه فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله، وسلمنا الله عز وجل، وقدمت معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام، وهي حامل متم بعبد الله بن الزبير، وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن مع ابنها أسامة بن زيد، فلما قدموا المدينة أنزل آل رسول الله في بيت حارثة بن النعمان[1].

ونزل آل أبي بكر ببني الحارث بن الخزرج بالسنح.

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٢١) والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٣٨) وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (ص: ٩٣).

ولادة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ٨/٤/١هـ:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت قباء فولدت بقباء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له فبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام ففرحوا به فرحًا شديدًا لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم(١).

وعن عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير أنهما قالا خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت وهى حبلى بعبد الله بن الزبير فقدمت قباء فنفست بعبد الله بقباء ثم خرجت حين نفست إلى رسول الله ﷺ ليحنكه فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة، قال قالت عائشة فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها فمضغها، ثم بصقها في فيه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء، ثم مسحه وصلى عليه، وسماه عبد الله ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره بذلك الزبير فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلا إليه ثم بايعه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري٥٤٦٩.

(٢) صحيح مسلم ٥٧٤٠.

مرض الصحابة:

ذكر ابن شهاب الزهري عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضًا، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى ما كانوا يصلون إلا وهم قعود، قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم: اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماسًا للفضل(١).

وروى البخاري عن البراء قال دخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى فرأيت أباها فقبل خدها وقال كيف أنت يا بنية(٢)

وروى الإمام أحمد والبخاري وابن إسحاق واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، وكان واديها يجري نجلا - يعني ماء آجنًا- فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ(٣).

قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة، وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم، فأذن، فدخلت إليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

---

(١) الروض الأنف (٣/ ٢٧) وانظر صحيح البخاري -(٢/ ٥٩) ١١١٥.

(٢) صحيح البخاري ٣٩١٨.

(٣) أخرجه البخاري١٨٨٩ أحمد ٢٤٢٨٨

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده بروقه

قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول.

قالت: وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يومًا مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت: فذكرت ذلك رسول الله ﷺ، وما سمعته منهم.

قلت. إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى، فنظر إلى السماء وقال: اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها، ثم انقل وباءها إلى مهيعة - وهي الجحفة-، وإنه ليتقي شرب الماء من عينها التي يقال لها عين خم.(١)

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة، فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة. (٢)

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**» رواه الشيخان.(٣)

وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة**» (٤).

---

(١) صحيح البخاري١٨٨٩والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (١/ ٢٩٤)والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣١٦).

(٢) صحيح البخاري ٧٠٣٩.

(٣)صحيح البخاري ١٨٨٥ و صحيح مسلم ٣٣٩٢.

(٤)صحيح البخاري ٢١٢٩و صحيح مسلم ٣٣٧٩.

بناء الدولة:

قام رسول الله ﷺ حين استقر بالمدينة بوضع الأسس التي تقوم عليها دولة الإسلام، فأسس المسجد الذي تجتمع فيه أرواح المؤمنين، وتؤكد فيه أصالتها وصلتها بربها، وآخى بين المهاجرين والأنصار ليترابط المجتمع المسلم فيكون كالجسد الواحد، وعاهد الأعداء من يهود المدينة، ليأمن شرهم، وليتفرغ للإعداد والبناء.

وبدأ رسول الله ﷺ، بتنظيم المدينة، فاختط مواضع الدور في المدينة، ومساجد القبائل، والمناطق، وعيّن القبلة فيها.

وتولى بنفسه اختيار موضع السوق فيها، حيث روي أنه ﷺ: ذهب إلى سوق النبيط، فنظر إليه، فقال: ليس هذا لكم بسوق.

ثم ذهب إلى سوق، فنظر إليه، فقال: ليس هذا لكم بسوق.

ثم رجع إلى هذا السوقط، فطاف به، ثم قال: هذا سوقكم، فلا ينتقص، ولا يضرب عليكم خراج[1].

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال: إني رأيت موضعًا للسوق، أفلا تنظر إليه؟

قال: بلى فقام معه، حتى جاء موضع السوق، فلما رآه أعجبه، وركض برجله، وقال نعم سوقكم هذا، فلا ينتقص، ولا يضرب عليكم خراج[2].

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٧٥١)٢٢٣٣ وفيه ضعف.

(٢) المعجم الكبير (١٩/ ٢٦٤) ٥٨٦.

وروى عمر بن شبة، عن عطاء بن يسار، قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمسلمين سوقًا أتى سوق بني قينقاع، ثم جاء سوق المدينة، فضربه برجله، وقال: هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ منه خراج[١].

وقد أمر النبي ﷺ المسلمين، بحسن البيع، وحرم الغش في المعاملات

وكان أهل المدينة من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ (المطففين، الآية: ١) فأحسنوا الكيل بعد ذلك[٢].

فقد كان فيهم تجار يطففون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار: المنابذة والملامسة والمخاطرة، و كان بها رجل يقال له: «أبو جهينة» ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق فقرأ عليهم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ (المطففين، الآيات: ١-٦)[٣].

---

(١) أخبار المدينة (١/ ١٨٣) ٦٦٢.

(٢) سنن ابن ماجه (٢/ ٧٤٨)٢٢٢٣ وهو حسن.

(٣) تفسير البغوي - طيبة (٨/ ٣٥٨).

الزيادة في صلاة الحضر ١/٤/٢٤هـ:

فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين، ركعتين، فلما أقام رسول الله ﷺ بالمدينة واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لأنها وتر النهار.

عن عائشة أم المؤمنين قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر[1].

وكان ذلك في ربيع الثاني على رأس شهر من مقدمه ﷺ[2].

بناء المسجد ١/٤/١هـ:

بعد ما استقر النبي ﷺ في المدينة كان أول ما قام به الرسول ﷺ بناء المسجد، وذلك لتظهر فيه شعائر الإسلام التي أمر الله بإظهارها، ولتقام فيه الصلوات الخمس التي تربط المسلم بربه وخالقه، وتنقيه من أدران الذنوب والمعاصي، وأدناس الحياة الدنيا، وليكون منطلقًا لدولة الإسلام ومجتمعًا يلتقي فيه المسلمون فيتعلمون العلم ويتألفون ويتشاورون، ولتنطلق منه جحافل الحق تنشر الإسلام في كل مكان، فكان مركز القيادة، ومحل العبادة، والجامعة الكبرى التي تخرج فيها قادة الأمة.

---

(١) صحيح البخاري ٣٥٠.

(٢) انظر صحيح البخاري ـ (١/ ٩٨) ٣٥٠و شرح معاني الآثار (١/ ١٨٣) ١٠٩٦ وصحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (٦/ ٤٤٧) ٢٧٣٨ وصحيح ابن خزيمة (١/ ١٥٧) ٣٠٥.

وكان رسول الله ﷺ يصلي في كل مكان حضرته الصلاة، وصلى في مرابض الغنم قبل أن يبنى المسجد»[١].

وكان يصلي بهم بالموضع الذي كان يصلي فيه أسعد بن زرارة قبل الهجرة، ويصلي الجمعة فيه

وصلى رسول الله ﷺ في العريش ثنتي عشرة ليلة)[٢].

موضع المسجد:

بركت ناقته ﷺ عند باب مسجده، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا المنزل إن شاء الله**»، ثم أخذ في النزول: فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (المؤمنون، الآية: ٢٩)[٣].

وكان مربدًا ليتيمين هما: سهل وسهيل ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وكانا في حجر أسعد بن زرارة[٤].

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ، أرسل إلى بني النجار بسبب موضع المسجد، فقال: «**يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا**» فقالوا: «**والله لا نطلب ثمنه إلا من الله**».

وفي رواية: فدعا بالغلامين وساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا. فقال: بل نهبه لك يا رسول الله.

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٤.

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٧) ٢٩٧٨.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣٨٤) ٩٧٤٣ وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (ص: ١٠٠).

(٤) صحيح البخاري ٣٩٠٦.

فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدًا[١].

فابتاعه منهما بعشرة دنانير وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك[٢].

وكان أسعد بنى المربد مسجدًا قبل أن يقدم النبي ﷺ.[٣]

وكان في أرض المسجد نخل وقبور المشركين وخرب. فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، فصفوا النخل قبلة، وجعلوا عضادتيه حجارة، فكانوا يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم وهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة[٤].

ولما بنى رسول الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه، وهو يتناول اللبن حتى اغبر صدره، فقال ابنوا لي عريشًا كعريش موسى، خشيبات، وثمام، وعريش كعريش موسى، و الأمر أعجل من ذلك ". قيل: وما ظله موسى؟ قال: " كان إذا قام أصاب رأسه[٥]

وعمل رسول الله ﷺ مع الصحابة في بناء المسجد، بنفسه الكريمة، كما في الصحيح أنه طفق ينقل معهم اللبن ترغيبًا لهم في العمل " ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

---

(١) صحيح البخاري ٤٢٨-١٨٦٨- ٣٩٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر (١/ ٢٣٩).

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٣٣٥).

(٤) صحيح البخاري ٣٩٣٢وصحيح مسلم ١٢٠١.

(٥) مصنف عبد الرزاق (٣/ ١٥٤)٥١٣٥ وصححه الألباني.

وكان يقول:

هـــذا الحـــمال لا حمـــال خيـــبر هـــذا أبـــر ربنـــا وأطهـــر

وجعلوا يرتجزون وهم ينقلون اللبن ويقول بعضهم في رجزه

لـــئن قعـــدنا والرســـول يعمـــل لـــذاك منـــا العمـــل المضـــلل (١)

وخرج رسول الله ﷺ، ومعه حجر، فلقيه أسيد بن حضير، فقال: يا رسول الله ﷺ أعطينه.

فقال: «**اذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلى الله مني**» (٢).

وعن طلق بن علي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يبني المسجد، والمسلمون يعملون فيه معه، وكنت صاحب علاج وخلط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين والنبي ﷺ ينظر إلي ويقول: «**إن هذا الحنفي لصاحب طين**».

وكان يقول: «قربوا اليمامي من الطين فإنه أحسنكم له مسًّا وأشدكم منكبًا». (٣)

و كانت امرأة ابن أبي أوفى رضي الله عنه تحمل ومواليها بالليل حجارة المسجد، وكان الرجال يحملون بالنهار حجرين حجرين(٤).

---

(١) صحيح البخاري: ٣٩٠٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٣٣٧).وانظر مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٥١٢) ٨٩٥١ وخرجه يحيى بن الحسن في تاريخ المدينة.

(٣) أخرجه أحمد ٢٤٠٠٩-٢٧ - ٣١ الملحق واسناده حسن وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٥٢).

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٨/ ٢٩١) ٣٣٦٠.

وعن أبي سعد الخدري ﷺقال: «لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، جعل أصحاب رسول الله ﷺ يحمل كل رجل منهم لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين: لبنة عنه ولبنة عن رسول الله ﷺ، فمسح رسول الله ﷺ ظهره وقال: **«يا ابن سميه للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»**، وعمار يقول: «أعوذ بالله من الفتن». [(١)]

ولما أسس رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه، وجاء عمر بحجر فوضعه، وجاء عثمان بحجر فوضعه، قالت: فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: **«هذا أمر الخلافة من بعدي»** [(٢)].

أطوال المسجد:

عن زيد بن ثابت ﷺ قال: «بنى رسول الله ﷺ، مسجده سبعين في ستين ذراعًا أو يزيد، ولبَّن لبنة من بقيع الخبخبة وجعله جدارًا، وجعل سواريه خشبًا شقة شقة، وجعل وسطه رحبة، وبنى بيتين لزوجتيه» [(٣)].

فطوله ٣٥م، وعرضه: ٣٠م، وارتفاع جدرانه: ٢م، ومساحته الكلية: ١٠٦٠م٢ تقريبًا.

---

(١) صحيح البخاري ٢٨١٢.

(٢) مسند أبي يعلى (٨/ ٢٩٥) ٤٨٨٤ وهو ضعيف.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٣٣٨) نقلا عن يحيى بن الحسن في تاريخ المدينة.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان بناء مسجد رسول الله ﷺ بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيد لبنة ونصف أخرى، ثم كثر الناس فقالوا: «يا رسول الله لو زيد فيه» ففعل، فبنى بالذكر والأنثى وهي لبنتان مختلفتان، وكانوا رفعوا أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع بالحجارة، وجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخرة، مائة ذراع، وكذا في العرض، وكان مربعًا.

وفي رواية جعفر: ولم يسطح فشكوا الحر، فجعلوا خشبه وسواريه جذوعًا، وظللوه بالجريد، ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طينوه بالطين، وجعلوا وسطه رحبة، وكان جداره قبل أن يسقف قامة وشيئًا[1].

وعن زيد بن حارثة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب في مؤخره: باب أبي بكر، وهو في جهة القبلة اليوم، وباب عاتكة ويقال له باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه رسول الله ﷺ، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة، ولما صرفت القبلة سد النبي ﷺ الباب الذي كان خلفه، وفتح الباب، الذي يحاذيه في مؤخرة المسجد[2].

ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بني منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٣٣٨) نقلا عن يحيى بن الحسن في تاريخ المدينة.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٣٣٨) نقلا عن يحيى بن الحسن في تاريخ المدينة وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٤٠).

مراحل بناء المسجد:

كان بناء المسجد على مراحل:

١-المساومة على شرائه، وقد اشتراه النبي ﷺ من اليتيمين، وتلك رسالة للعالم على اعتزاز الداعية فلا يكون عالة على أحد من الناس، ورسالة أخرى في حفظ مال اليتيم.

٢- تهيئة المكان من قطع الشجر والنخل، واستخراج الماء الذي في الأرض، ونبش القبور، لأنها من قبور المشركين فلا حرمة لها، وكان من شريعة محمد ﷺ تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة في مسجد فيه قبر، واتخاذ القبور مساجد، وتحريم نبش قبر المسلم واحترامه.

وإذا بني المسجد على القبر هدم المسجد، وإذا وضع القبر في المسجد نبش، ودفن مع المسلمين.

٣- تحديد القبلة، وكانت القبلة إلى بيت المقدس، فلما حولت القبلة تغير اتجاهها إلى الكعبة

٤-وضع المخطط للمسجد، فقد حددت معالمه على الأرض قبل البناء.

٥- حفر الأساس للجدران، ووضع أساسه من الحجارة.

٦- جمع الحجارة، وذلك بنقلها إلى مكان المسجد، وقد اشترك في ذلك الرجال والنساء، الرجال في النهار، والنساء بالليل.

٧- إصلاح اللبن، وذلك بجمع الطين مع الماء والتبن وتلبينه ليكون جاهزًا للبناء.

٨- البدء بالبناء، وكان البناء بالسميط لبنة على لبنة.

٩- سقف المسجد بالجريد والخصف، وطينوه، وقد سقف مقدمة المسجد ومؤخرته فكانت المقدمة للصلاة والمؤخرة لأهل الصفة، وكان وسطه رحبة.

١٠- فرش المسجد بالتراب، ثم بعد ذلك فرش بالحصباء.

فضائل المسجد النبوي

عن أبي سعيد قال: «دخلت على النبي ﷺ فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى قال: فقبض قبضة من الحصباء، ثم ضرب بها الأرض، ثم قال: «**هذا**، يعني مسجد المدينة». رواه مسلم في الصحيح [١].

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام ومسجد بيت المقدس**»[٢].

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي**»[٤].

---

(١) صحيح مسلم١٣٩٨.

(٢) صحيح البخاري١١٨٩ و صحيح مسلم ٣٤٥٠.

(٣) صحيح البخاري ١١٩٠ وصحيح مسلم٣٤٤٠.

(٤) صحيح البخاري١١٣٨ وصحيح مسلم ٣٤٣٦.

مدة بناء المسجد:

بني المسجد في اثني عشر يومًا، باجتهاد ومواصلة في العمل، واتحاد للسواعد، حتى أتموا البناء، ولقد عمل في بنائه الصغير والكبير، حتى تكامل البناء.

وببناء المسجد النبوي تحقّق للمسلمين حلمهم الكبير في الاجتماع للعبادة، وذكر الله، ولم يتوقّف دور المسجد على الصلاة، بل صار موضعًا للحكم والقضاء، وإدارة الدولة وسياستها، ومنطلقًا لقوافل الجهاد، ومأوى للفقراء من أهل الصفّة، ومنارة لتعليم العلم والقراءة والكتابة، تشعّ أنوار الهدى منه حتى يومنا هذا.

وفاة كلثوم بن الهدم رضي الله عنه ١/٤/١٥هـ:

توفي كلثوم بن الهدم بكسر الهاء وسكون الدال ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي.، شيخ الأنصار، وكان رجلا شريفًا مسنًا.

وهو صاحب رحل رسول الله ﷺ، وكان شيخًا كبيرًا، أسلم قبل نزول رسول الله ﷺ المدينة، وهو الذي نزل عليه النبي ﷺ في حين قدومه في هجرته من مكة إلى المدينة.

وهو أول من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بالمدينة، في حين ابتداء بنيان مسجده وبيوته، وكان موته قبل موت أبي أمامة أسعد بن زرارة بأيام، ولم يلبث بعد مقدمه إلا يسيرًا حتى مات، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة.

وكان يؤم قومه في مسجد قباء قبل وفاته.

عن أنس ﷺ كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد، حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها، وتقرأ بأخرى، فقال ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة فقال إني أحبها فقال حبك إياها أدخلك الجنة[1].

وصلى عليه رسول الله صلاة الجنازة ودفنه في البقيع فهو أول من دفن بالبقيع، والصلاة عليه هي أول صلاة على الجنازة[2].

---

(١) صحيح البخاري ٧٧٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١/ ٢٤٢) والإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٦١٧).

اتخاذ البقيع مقبرة:

اتخذ رسول الله ﷺ البقيع مقبرة للمسلمين، وهو بقيع الغرقد و"البَقِيعُ" المكان المتسع، والموضع الذي فيه شجر. وهو اليوم مقبرة أهل المدينة، به دفن أجلة الصحابة وزوجات رسول الله ﷺ، وبناته وأبناؤهن، وهو مطلع الشمس من المسجد النبوي يرى رأي العين.

واتخذ النبي ﷺ مصلى الجنائز لاصق بالمسجد من ناحية الشرق، شرقي الحجرات ملاصقًا لها، بينها وبين البقيع.

مرض ووفاة أسعد بن زرارة رضي الله عنه ١/٤/٢٠هـ:

أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، أحد الستة الذين أسلموا بمكة من الأنصار، وهو أول من أسلم من الأنصار كنيته أبو أمامة.

غلبت عليه كنيته واشتهر بها وكان عقبيًا نقبيًا، شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة.

ولم يكن في النقباء أصغر سنًا منه، ويقال أنه أول من بايع ليلة العقبة.

وكان أسعد أول من جمّع بالمدينة قبل مقدم النبي ﷺ في حرة بني بياضة في نقيع الخضمات، وكان يصلي بهم الصلوات الخمس، وهو نقيب بني النجار، ومن كبراء الصحابة.

نزل عليه مصعب بن عمير رضي الله عنه فآزره، وكان سببًا في إسلام سادات الأنصار.

أصابه وجع الذبح في حلقه، فكان النبي ﷺ يزوره، فقال رسول الله، ﷺ: «لأبلغن أو لأ بلين في أبي أمامة عذرًا» فكواه بيده فمات. فقال رسول الله، ﷺ: «ميتة سوء لليهود»[١].

يقولون: هلا دفع عن صاحبه، ولا أملك له ولا لنفسي من الله شيئًا، كواه رسول الله ﷺ مرتين في حلقه من الذبحة وقال: لا أدع في نفسي منه حرجًا.

وكواه رسول الله ﷺ في أكحله مرتين[٢].

توفي شهيدًا بالذبحة، فلم يجعل النبي ﷺ بعده نقيبًا على بني النجار وقال: «أنا نقيبكم» فكانوا يفخرون بذلك[٣].

ولما توفي، حضر رسول الله ﷺ غسله، وكفنه في ثلاثة أثواب منها برد، وصلى عليه، ورئي رسول الله ﷺ يمشي أمام الجنازة حزينًا.

ودفن بالبقيع وهو ثاني رجل دفن في البقيع من الأنصار

وحزن عليه النبي ﷺ حزنًا شديدًا، لمقامه في الإسلام.

ولم يكن لأسعد بن زرارة ذكر، وله بنات أوصى بهن إلى رسول الله ﷺ وكن ثلاثًا.

فكن في عيال رسول الله ﷺ يدرن معه في بيوت نسائه، وهن: فريعة[٤]، وكبشة[٥]، وحبيبة[١]. فقدم عليه حلي فيه ذهب ولؤلؤ، فحلاهن منه[٢].

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٩٢) وهو صحيح.

(٢) السنن الكبرى ت:محمد عبد القادر عطا (٩/ ٣٤٢) ١٩٣٣٥.

(٣) المستدرك (٣/ ٢٠٦) ٤٨٥٧.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٤٨).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٩٠).

وكفلهن رسول الله ﷺ حتى تزوجن كلهن، واهتم حتى في وليمة زواجهن

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة: «**أهديتم الجارية إلى بيتها**»؟ قالت: نعم. قال: «فهلا بعثتم معهم من يغنيهم يقول: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحياكم فإن الأنصار قوم فيهم غزل»(٣).

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**ما فعلت فلانة؟ ليتيمة كانت عندها**»؟. فقلت: أهديناها إلى زوجها، قال: «**هل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني**»؟ قالت: نقول ماذا؟ قال: نقول: «**أتيناكم أتيناكم... فحيونا نحييكم**»(٤).

إنه الوفاء والرحمة والاهتمام بالأصحاب – رضي الله عنهم – لم ينسهم حتى بعد مماتهم.

البدء بالصلاة في المسجد النبوي ١/٥/١هـ:

صلى رسول الله، ﷺ بمسجده، فكان مركز القيادة والدولة، والعبادة والتعليم، ورغب الصلاة في مسجده، وأوجب على أمته صلاة الجماعة في المساجد، وهم بتحريق المتخلفين عن الصلاة، وكان يصلي بهم الصلوات الخمس والجمع، ويعلمهم أمور دينهم، ويتفقد أحوالهم.

وكان بدء الصلاة في المسجد في جماد الأولى من السنة الأولى من الهجرة تقريبًا.

---

(١) أسد الغابة (ص: ١٣٢٨) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٥٧٢).

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١/ ٣٠١).

(٣) مسند أحمد ١٥٢٠٩ وهو حسن وأصله في صحيح البخاري ٥١٦٢

(٤) المعجم الأوسط للطبراني (٣٢٨٩).

بدء الأذان ١/٧/١هـ:

ففي رجب من السنة الأولى شرع الأذان[١] وقد كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، وقيل أنهم كانوا ينادون لها بالصلاة جامعة، فتكلموا يومًا في ذلك، فذكروا أن يوقدوا نارًا، فقال بعضهم اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم بل بوقًا مثل قرن اليهود، فقال عمر أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة[٢].

قال عبد الله بن زيد قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة، طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسًا في يده، فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت له: بلى، قال: فقال: تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، قال ثم استأخر عني غير بعيد، ثم قال وتقول إذا أقمت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٧٨).

(٢) صحيح البخاري ٥٧٩.

فألق عليه ما رأيت، فليؤذن به فإنه أندى صوتًا منك، فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به قال، فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج يجر رداءه ويقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد رأيت مثل ما رأى فقال رسول الله ﷺ فلله الحمد.

فكان بلال مولى أبي بكر يؤذن بذلك، ويدعو رسول الله ﷺ إلى الصلاة. قال فجاءه فدعاه ذات غداة إلى الفجر، فقيل له إن رسول الله ﷺ نائم، فصرخ بلال بأعلى صوته، الصلاة خير من النوم. قال سعيد بن المسيب فأدخلت هذه الكلمة في التأذين إلى صلاة الفجر[1].

فلما سمع اليهود الأذان قالوا: لقد ابتدعت يا محمد شيئًا لم يكن فيما مضى، فنزلت: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ (المائدة، الآية: ٥٨)[2].

والأذان من النفائس الجليلة، وهو كلمات جامعة لعقيدة الإيمان، مشتملة على إثبات الوحدانية ونفي ضدها من الشرك، وإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبيه ﷺ، وفيه الدعوة إلى الصلاة، ثم دعوة إلى الفلاح، وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء[3].

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي ﷺ من

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٦/ ٣٩٩) ١٦٤٧٧ وسنن أبي داود ٤٩٩ وصحيح ابن خزيمة (١/ ١٨٩) ٣٦٣ وهو صحيح.
(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٧٨).
(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ٨٨) من كلام القاضي عياض بتصرف.

المؤمنين لما فيه من التنويه من الله تعالى بعبده، والرفع لذكره، فلأن يكون ذلك على لسان غيره أنوه به وأفخم لشأنه، وهذا معنى بيّن، فإن الله تعالى يقول: (ورفعنا لك ذكرك) فمن رفع ذكره أن أشار به على لسان غيره، ومشروعية الأذان جاءت من إقراره ﷺ للرؤيا[1].

وخص بلال بالأذان دون غيره، كونه لما عذب ليرجع عن الإسلام كان يقول: أحد أحد، فجوزي بولاية الأذان المشتمل على التوحيد من ابتدائه إلى انتهائه.

أهل الصفة:

الصفة ظلة في آخر المسجد النبوي أعد لنزول الغرباء فيه، ممن لا مأوى له، ولا أهل وكانوا يكثرون فيه، ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يسافر.

وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قوم فقراء، لا منازل لهم. وكانوا يأوون إليها في المسجد. منهم واثلة بن الأسقع الكناني وأبو قرصافة، وأبو هريرة، ونبيط بن شريط الأشجعي، و طلحة بن عمرو الليثي؛ وربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ، وجرهد بن رزاح الأسلمي أبو عبد الرحمن، وطخفة بن قيس الغفاري، والعرباض بن سارية وسالم بن عبيد الأشجعي، وأسماء بن حارثة بن سعيد الأسلمي، وهند بن حارثة بن سعيد الاسلمي، وجعيل بن سراقة الغفاري، وعباد بن خالد الغفاري، والحارث بن نبيه، وأبو رزين.

وأهل الصفة هم أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال، كان رسول

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٧٩).

الله ﷺ إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، فأصاب منها وأشركهم فيها.

وكان رسول اللهَّ ﷺ يفرقهم في أصحابه إذا جاء الليل ويتعشى طائفة منهم معه حتى جاء اللهَّ بالغنى(١).

وعن واثلة بن الأسقع قال: كنت من أصحاب الصفة، وما منا إنسان يجد ثوبًا تامًا، قد جعل الغبار والعرق في جلودنا طرقًا(٢).

وعدد هؤلاء الصحابة الكرام، يبلغ في بعض الأحيان أربعمائة صحابي.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو أسفل من ذلك ؛ فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته.. (٣)

وكان النبي ﷺ مع اهتمامه بإطعامهم كان يهتم بتعليمهم القرآن والأحكام فقد كان عبادة بن الصامت رضي الله عنه يعلمهم القرآن، والكتابة (٤).

بناء حجر النبي ﷺ ١/٦/٢هـ:

كانت قصور الحكام والأغنياء، تعلو سامقة شامخة، ظاهرة البذخ والترف، وكانت أحياء اليهود في المدينة وماحولها، فيها دور مشيدة وحصون منيعة.

فاختار النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه المبنى المتواضع، الذي

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٣٤٠).

(٢) شعب الإيمان (٧/ ٢٨٣) ١٠٣٢١وحلية الأولياء (١/ ٣٤١)

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٤١).

(٤) (وقد اعتنى بجمع أسامي أصحاب الصفة ومناقبهم وأحوالهم ابن الأعرابي والسلمي في كتاب تاريخ أهل الصفة والحاكم في الإكليل وأبو نعيم في الحلية فزادوا عنده على مائة وعند كل واحد ما ليس عند الآخر وقال شيخ الإسلام ابن تيمية جملة من آوى إلى أهل الصفة مع تفرقهم قيل أربعمائة وقيل أكثر).

يعكس حالة المسلم في هذه الحياة، بأن تكون الدنيا دار ممر لا دار مقر، وكانت حجرات النبي ﷺ قدوة وأسوة للمؤمنين على مر التأريخ.

بنى ﷺ مساكنه إلى جنب المسجد باللبن وسقفهما بجذوع النخل والجريد وكان محيطها مبنيًا باللبن، وقواطعها الداخلية من الجريد المكسو بالطين وجعل لها أبوابًا، وسقفها من جريد، وبعضها من حجارة موضوعة بعضها على بعض، مسقفة بالجريد، وكان لكل بيت حجرة وهي أكسية من شعر مربوطة بخشب العرعر.

عن داود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشاة من خارج بمسوح الشعر وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحوًا من ست أو سبع أذرع، وأحزر البيت الداخل عشر أذرع وأظن سمكه بين الثمان والسبع نحو ذلك ووقفت عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب (١).

وقال الحسن بن أبي الحسن كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي (٢) .

وعن محمد بن هلال: أنه رأى حجر أزواج النبي ﷺ من جريد مستورة بمسوح الشعر فسألته عن بيت عائشة فقال كان بابه من وجهة الشام، فقلت مصراعًا كان أو مصراعين قال كان بابًا واحدًا قلت من أي شيء كان قال من عرعر أو ساج (٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ١٦٠) ٤٥١والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٢٣٥) ١٠٢٥٠ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ١٦٠) ٤٥٠ وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٧٢) ٧٧٦ وصححه الألباني.

وكانت حجره عليه الصلاة السلام أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر.

وكان بابه عليه الصلاة والسلام يقرع بالأظافر، أي لا حلق له[١].

بنى الرسول الكريم بيتين لسودة بن زمعة، وعائشة رضي الله عنهن وكانت البيوت في شرقي المسجد.

وكانت تسمى بيوت النبي ﷺ، وحجرات نساء النبي ﷺ، وكانت مساحة البيت خمسة عشر مترًا مربعًا ونصف تقريبًا.

ويتكون البيت من الحجرة والبيت والصفة، والكنيف، والمغتسل.

وتعريف البيت هو ما يبات فيه، وهو ما يسمى بالغرفة

وتعريف الحجرة ما حوط عليه وهو ما يسمى بالفناء.

وتعريف الصفة هي الظلة وهي مكان مظلل من الحجرة.

وتعريف الكنيف هو الخلاء وهو ما يسمى بدورة المياه.

وتعريف المغتسل المكان الذي يغتسل فيه[٢].

وانتقل ﷺ من بيت أبي أيوب رضي الله عنه إلى بيوته في جمادى الثانية وقيل في شوال من السنة الأولى.

---

(١) الروض الأنف (٤/ ١٦٤).

(٢) انظر كتاب بيوت النبي ﷺ وحجراتها لمحمد فارس الجميل.

طلق بن علي ومن معه من بني حنيفة:

عن طلق بن علي قال: خرجنا وفدًا إلى النبي ﷺ، فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره، فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه في إداوة، وأمرنا فقال اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم، فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوها مسجدًا، قلنا إن البلد بعيد، والحر شديد، والماء ينشف، فقال مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبًا، فخرجنا حتى قدمنا بلدنا، فكسرنا بيعتنا ثم نضحنا مكانها، واتخذناها مسجدًا فنادينا فيه بالأذان، قال والراهب رجل من طيئ فلما سمع الأذان قال دعوة حق، ثم استقبل تلعة من تلاعنا، فلم نره بعد [1].

وعن طلق بن علي: أنه انطلق وفد إلى رسول الله ﷺ حتى أتوه، فأخبروه أن بأرضهم بيعة، واستوهبوه من طهوره فضله، فدعا بماء فتوضأ وتمضمض، ثم صبه في إداوة، وقال: «**اذهبوا بهذا الماء، فإذا قدمتم بلدكم، فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها من هذا الماء، واتخذوها مسجدًا**» قال: قلنا: يا نبي الله، إنا نخرج في زمان كثير السموم والحر، والماء ينشف قال: «**فمدوه من الماء، فإنه يبقى منه شديد كثير رطب**» قال: فخرجنا حتى بلغنا بلدنا، فكسرنا بيعتنا، ونضحنا مكانها بذلك الماء، واتخذناها مسجدًا [2].

---

(١) سنن النسائي (٢/ ٣٨) ٧٠١ وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٤٦٢) ٢٦ وهو حسن.

بناء المهاجرين بيوتهم ١/٨/١هـ:

وهبت الأنصار لرسول الله ﷺ كل فضل في خططها. وقالوا له: إن شئت، فخذ منا منازلنا. فقال لهم خيرًا، وخط لأصحابه في كل أرض ليست لأحد، وفيما وهبت له الأنصار من خططها.

وأقام قوم من المسلمين لم يمكنهم البناء بقباء على من نزلوا عنده، وكانت الأنصار أشحاء على من نزل عليهم، من المهاجرين، لا يرغبون بمفارقتهم ويحبون جلوسهم معهم.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر، الآيتان: ٨، ٩).

عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم، أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلا في كثير، لقد كفونا المئونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله قال: «**لا، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٠٧٥ وهو صحيح.

نهي النساء عن إتباع الجنائز وزيارتها:

عن أم عطية رضي الله عنها قالت نهينا عن إتباع الجنائز ولم يعزم علينا(١).

وعن أم عطية قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم عليهن، فرددن السلام فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكن، فقلن: مرحبًا برسول الله ﷺ وبرسوله، فقال: "تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئًا، ولا تسرقن، ولاتزنين، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصين في معروف"، فقلن: نعم، فمد عمر يده من خارج الباب، ومددن أيديهن من داخل ثم قال: "اللهم اشهد"، وأمرنا أن نخرج في العيدين العُتَقَ والحيّض، ونهينا عن إتباع الجنائز، ولا جمعة علينا، فسألته عن البهتان، وعن قوله: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾ (الممتحنة، الآية: ١٢)، قال: هي النياحة(٢).

وأما الزيارة فكانت محرمة على الرجال والنساء لقربهم من أمر الجاهلية، ولكي لا تتعلق قلوبهم بالقبور فيفضي بهم إلى الشرك، وقيل لأجل النياحة عندها. وقيل لأنهم كانوا يتفاخرون بها.

---

(١) صحيح البخاري ١٢٧٨.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٢٨٨) ٢٧٣٠٩ وهو صحيح دون قصة عمر.

الإذن بالقتال ١/٨/٢هـ:

لما استقر ﷺ بالمدينة، وأيده الله تعالى بنصره، وبعباده المؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام: الأوس والخزرج، من الأسود، والأحمر، وبذلوا أنفسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، فعادتهم العرب واليهود.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، حتى كان المسلمون لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (النور، الآية: ٥٥).

قال البيهقي: وفي مثل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (النحل، الآيتان: ٤١، ٤٢) [١] ذكر بعض أهل التفسير أنها نزلت في المعذبين بمكة حين هاجروا إلى المدينة بعدما ظلموا، فوعدهم الله تعالى في الدنيا حسنة، يعني بها الرزق الواسع، فأعطاهم ذلك[٢].

وكانت اليهود والمشركون من أهل المدينة يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه فأمرهم الله تبارك وتعالى بالصبر والعفو والصفح، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (آل عمران، الآية: ١٨٦) وقال عز وجل: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ (البقرة، الآية: ١٠٩)، أي الإذن بقتالهم وضرب الجزية عليهم.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «كان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمرهم الله تعالى بالصبر على ذلك والعفو عنهم[٣]».

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: " كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، يتأول في العفو ما أمره الله تعالى به حتى أذن الله تعالى فيهم، فقتل من قتل من صناديد قريش[٤]".

---

(١) النحل:٤٢.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٦).

(٣)سنن أبي داود ٣٠٠٠ وصححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري ٦٢٠٧.

قال العلماء: فلما قويت الشوكة واشتد الجناح أذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ (الحج، الآيتان: ٣٩، ٤٠). قال ابن كثير قال غير واحد من السلف هذه أول آية نزلت في الجهاد[1].

الصحابة يحرسون الرسول ﷺ:

روى البخاري عن عائشة قالت: أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت السلاح قال من هذا قال سعد يا رسول الله جئت أحرسك فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة، الآية: ٦٧) قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة، وقال: «**يأيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل**»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ت السلامة (٥/ ٤٣٣).

(٢) صحيح البخاري ٧٢٣١.

(٣) سنن الترمذي ٣٠٤٦ وحسنه الألباني

تعداد سكان المدينة:

عن حذيفة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس**»، فكتبنا له ألفًا وخمسمائة رجل، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة، فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف.[1] وفي رواية فوجدناهم خمسمائة.

وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «**أحصوا لي كم يلفظ الإسلام**» قال فقلنا يا رسول الله ﷺ أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: «**إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا**» قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرًا[2].

والمراد بالألف وخمسمائة جميع من أسلم من رجل وامرأة وعبد وصبى، وبما بين الستمائة إلى السبعمائة الرجال خاصة، وبالخمسمائة المقاتلة خاصة[3].

---

(١) صحيح البخاري ٣٠٦٠.

(٢) صحيح مسلم١٤٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٤٦٠).

أقسام الكفار بعد الهجرة:

الكفار معه ﷺ بعد الهجرة ثلاثة أقسام:

١-قسم صالحهم، و وادعهم على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه، وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم.

٢- قسم حاربوه ونصبوا له العداوة.

٣-قسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه.

ثم من هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن، ومنه من كان يحب ظهور عدوه عليه وانتصارهم، ومنهم من دخل معه في الظاهر وهو مع عدوه في الباطن، ليأمن على نفسه من الفريقين، وهؤلاء هم المنافقون.

فعامل ﷺ كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره ربه تبارك وتعالى[1].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ـ (٣/ ١١٤).

مراحل مشروعية الجهاد:

١ - الإذن بالقتال.

عن ابن عباس قال لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن فأنزل الله عز وجل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾.

قال: "فعرف أنه سيكون قتال"، قال وهي أول آية نزلت في القتال[1].

٢ - فرض القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ (البقرة، الآية: ١٩٠). عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة[2].

٣ - فرض قتال المشركين كافة قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ (التوبة، الآية: ٣٦).

فقد كان القتال محرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين، إما فرض عين على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور.

---

(١) مسند أحمد ١٨٦٥ وسنن الترمذي (٣١٧١) وسنن النسائي ٣٠٨٥ والمستدرك (٢/ ٢٦٩) ٢٩٦٨ وصححه الألباني.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٣).

فالكفار على ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل؛ قال تعالى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ (البقرة، الآية: ١٩١)[١].

والإسلام لا يتشوف لإزهاق الأرواح وإنما لهداية البشرية، فقد كان رسول الله ﷺ إذا أمر رجلا على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا فقال اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا أنت لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خلال أو خصال، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين، وإن أبوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين[٢].

---

(١) البقرة:١٩١.

(٢) صحيح مسلم٤٦١٩.

سياسة المواجهة مع قريش:

عقد ﷺ بعض المعاهدات مع القبائل التي تقع في غرب المدينة المنورة، وهذه القبائل تسيطر على المنطقة التي تمر منها قوافل قريش، وعقد معاهدات جوار، ودفاع مشترك مع اليهود.،وبهذه المعاهدات يحيد جانب هذه القبائل، ويطمئن إلى أنه لن يعتدى عليه أثناء الحرب مع قريش.

ومن القبائل التي وادعها رسول الله ﷺ بنو ضمرة وجهينة، فقد كتب رسول الله ﷺ لبني زرعة وبني الربعة من جهينة أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل، ولأهل باديتهم من بر منهم واتقى ما لحاضرتهم والله المستعان(١).

فعن سعد بن أبي وقاص، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة، فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وتُؤْمِنَّا، فأوثق لهم فأسلموا...)(٢).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣٩ وفيه ضعف.

معاهدة اليهود ١٥-٨-١هـ:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾(الأنفال، الآية: ٥٦).

عن أبي عبد الرحمن الجهني، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**إني راكب غدًا إلى يهود، فلا تبدءوهم بالسلام وإذا سلموا عليكم، فقولوا: وعليكم**»[١].

وكتب رسول الله ﷺ كتابًا وداع فيه يهود، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم».

ومن بنود المعاهدة.

١-أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٢-أن يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين، لليهود دينهم، وللمؤمنين دينهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ [٢]إلا نفسه وأهل بيته.

٣-أن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٤- أن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٥-أن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

٦-أن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٥٨١) ١٨٠٤٥ وهو صحيح.

(٢) أي: لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته فهم يتحملون معه الدية مثلا.

٧-أن ليهود الأوس مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته

٨-أنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد ﷺ.

٩-أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة

١٠-أن بينهم النصيحة والنصر للمظلوم

١١-أن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة.

١٢-أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث يخيف فساده فإن أمره إلى الله وإلى محمد النبي ﷺ.

١٣-أن بينهم النصر على من دهم يثرب.

١٤-أنهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم فإنهم يصالحونه، وإن دعونا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب الدين.

١٥-على كل أناس حصتهم من النفقة.

١٦-أن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

١٧-أن بني الشطبة بطن من جفنة.

١٨-أن البر دون الإثم فلا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

١٩- لا يحول الكتاب دون ظالم ولا آثم.

٢٠-أنه من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم.

٢١- إن أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن(١).

---

(١) الكلام على بنود المعاهدة سيأتي في الكلام على معاهدة المؤاخاة.

النبي ﷺ ينهى الأنصار عن تأبير النخل ثم يرخص فيه ١/٨/٢٠هـ:

التأبير هو أن يشقق أَكِمَّةُ إناث النخل، ويُذَرَّ طلعُ الذكر فيها، ولا يلقح جميع النخل، بل يؤبر البعض، ويشقق الباقي بانبثاث ريح الفحول إليه الذي يحصل به تشقيق الطلع[١].

فعن رافع بن خديج قال قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال: «**ما تصنعون**»؟ قالوا: كنا نصنعه قال: «**لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا**». فتركوه فنفضت أو فنقصت - قال - فذكروا ذلك له فقال: «**إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر**»[٢].

وعن طلحة بن عبيد الله قال: مررت مع النبي ﷺ في نخل المدينة، فرأى أقوامًا في رءوس النخل يلقحون النخل، فقال: «**ما يصنع هؤلاء**»؟ قال: يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى يلقحون به. فقال: «**ما أظن ذلك يغني شيئًا**» فبلغهم، فتركوه ونزلوا عنها، فلم تحمل تلك السنة شيئًا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**إنما هو ظن ظننته، إن كان يغني شيئًا فاصنعوا، فإنما أنا بشر مثلكم، والظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله عز وجل فلن أكذب على الله عز وجل**»[٣].

فهو بشر بالنسبة إلى الخبرة بأمور الزراعة، وأحوال الدنيا كما هو شأن ظنون البشر الصادرة عن الاجتهاد في الأمور الدنيوية.

---

(١) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٤/ ٥٤٧).

(٢) صحيح مسلم ٦٢٧٦.

(٣) مسند أحمد ١٣٩٩ و صحيح مسلم ٦٢٧٥ وسنن ابن ماجه ٢٤٧٠.

بداية المواجهات مع قريش ١٢-٩-١هـ:

استجابة لأمر الله عز وجل بجهاد المشركين انطلقت جحافل الإيمان تبث الرعب في صفوف المشركين، فقد ذكر لرسول الله ﷺ قافلة لقريش محملة بالأموال والبضائع، في طريق عودتها إلى مكة من الشام، يقودها أبو جهل بن هشام، ويحرسها حوالي ثلاثمائة فارس من فرسان قريش، فجمع لها رسول الله ﷺ سرية قوامها ثلاثون مجاهدًا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار.

سرية حمزة بن عبدالمطلب ١٢-٩-١هـ:

سرية حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وهي أول راية عقدت في الإسلام، وذلك في شهر رمضان، على رأس سبعة أشهر من مهاجره عليه الصلاة والسلام، وذلك إلى سيف البحر من ناحية العيص، وقد عقد النبي ﷺ لحمزة رضي الله عنه لواء أبيض في ثلاثين رجلا من المهاجرين، ليعترض عير قريش، وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي.

ولقي حمزة أباجهل في مائة و ثلاثين رجلا [1] وقيل ثلاثمائة رجل من قريش.

فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفًا للفريقين جميعًا، فأطاعوه وانصرفوا ولم يقتتلوا فتوجه أبو جهل في أصحابه وعيره إلى مكة وانصرف حمزة وأصحابه رضي الله تعالى عنهم إلى المدينة.

---

(١) وهو قول الزهري ذكره البيهقي عنه في الدلائل (٣/ ٩).

ولما عاد حمزة بمن معه إلى رسول الله ﷺ أخبره بما حجز بينهم مجدي بن عمرو وأنهم رأوا منه نصفة.

وقدم رهط مجدي على رسول الله ﷺ، فكساهم وصنع إليهم خيرًا وقال ﷺ، إنه ما علمت ميمون النقيبة مبارك الأمر، أو قال: رشيد الأمر.

قال حمزة – رضي الله عنه:

ألا يا لقومي للتحلم والجهل ... وللنقص من رأى الرجال وللعقل

وللراكبينا بالمظالم لم نطأ ... لهم حرمات من سوام ولا أهل

كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا ... لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل

وأمر بإسلام فلا يقبلونه ... وينزل منهم مثل منزلة الهزل

فما برحوا حتى انتدبت لغارة ... لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل

بأمر رسول الله أول خافق ... عليه لواء لم يكن لاح من قبل

لواء لديه النصر من ذي كرامة ... إله عزيز فعله أفضل الفعل

عشية ساروا حاشدين وكلنا ... مراجله من غيظ أصحابه تغلي

فلما تراءينا أناخوا فعقلوا ... مطايا وعقلنا مدى غرض النبل

وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا ... وما لكم إلا الضلالة من حبل

فثار أبو جهل هنالك باغيا ... فخاب ورد الله كيد أبي جهل

وما نحن إلا في ثلاثين راكبًا ... وهم مائتان بعد واحدة فضل

فيا آل لؤي لا تطيعوا غواتكم ... وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل

فـــإني أخـــاف أن يصـــب علـــيكم عـــذاب فتـــدعوا بالندامـــة والثكـــل

فأجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال:

عجبـت لأسـباب الحفيظـة والجهـل وللشـــغابين بـــالخلاف وبالبطـــل

وللتـــاركين مـــا وجـــدنا جـــدودنا عليه ذوي الأحساب والسؤدد الجزل (١)

نتائج السرية:

كانت نتائج هذه السرية على قريش أنها هزت كيان قريش، وبثت الرعب في نفوسها وتبين لها الخطر المحدق بها فقد أصبح المسلمون يهددون طريق تجارتهم، واقتصادهم.

وأما المسلمون نتائجها عليهم فقد بثت فيهم الروح الحماسية، وقوت عزائمهم وأعطتهم الثقة في نفوسهم فقد قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن حمزة: يا معشر قريش إن محمدًا قد نزل يثرب وأرسل طلائعه، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئًا، فاحذروا أن تمروا طريقه، وأن تقاربوه فإنه كالأسد الضاري، إنه حنق عليكم نفيتموه نفي القردان على المناسم، والله إن له سحرة، ما رأيته قط ولا أحدًا من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم عرفتم عداوة بني قيلة فهو عدو استعان بعدو".

ولما بلغ النبي ﷺ قوله قال: «**والذي نفسي بيده لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم، وهم كارهون، إني رحمة بعثني الله - عز وجل - ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه، لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على يدي، وأنا العاقب**»(٢).

---

(١) انظر الروض الأنف (٣/ ٣٤) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٣٨) والسيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٤٠) وزاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١٤٦) والمغازي للواقدي (١/ ١٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٢٣)١٥٣٢ وفيه ضعف وأصله في صحيح البخاري ـ ٣٥٣٢- عن محمد بن

سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب ١/ ١٠/١هـ:

بعث ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب في سرية إلى بطن رابغ في شوال لاعتراض قافلة لقريش، وذلك على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، وعقد له لواء أبيض وحمله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف، وكانوا في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري فلقي أبا سفيان بن حرب، وهو في مائتين على بطن رابغ، على عشرة أميال من الجحفة، على ماء يقال له أحياء، وكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وإنما كانت مناوشة وكان سعد بن أبي وقاص فيهم وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله.

عن قيس قال: سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول:إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله وكنا نغزو مع النبي ﷺ، وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط[1].

ثم انصرف الفريقان على حاميتهم، وفر من الكفار إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالمشركين.

فكانت أول مواجهة عسكرية بين المسلمين والمشركين رمي فيها بسهام وجرح فيها المشركون، وكان فيها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو أول من رمى سهمًا في الإسلام، وأهريق على يديه أول دم في سبيل الله.

وكانت سياسة رسول الله ﷺ حشد المهاجرين في السرايا الأولى في مواجهة قريش[2]. لأن الأنصار بايعوه على أن يحموه في المدينة.

جبير بن مطعم، عن أبيه، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب.

(١) صحيح البخاري٣٥٢٢.

(٢) انظر الروض الأنف (٣/ ٣١) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٣٩)والسيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٣٦) وعيون

نتائج السرية:

استمرار تعقب قوافل قريش وتضييق الخناق عليها، وبث الرعب في قلوب المشركين، وبث روح الحماس في قلوب المؤمنين وتهيئتهم للقاء الكبير.

الزواج بعائشة رضي الله عنها ١/١٠/٥هـ:

روى البخاري عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك في سرقة حرير فيقول هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنت فأقول إن يكن هذا من عند الله يمضه**»[1].

لما فرغ رسول الله ﷺ من بناء حجره قال أبو بكر: ألا تبني بأهلك يا رسول الله فقال: «**لولا الصداق**»، قالت فدفع إليه ثنتي عشرة أوقية ونشًا، والنش: عشرون درهمًا[2].

فبنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد، وكان بناؤه بها في شوال من السنة الأولى، وهي بنت تسع وكان عقد عليها بمكة وهي بنت ست.

وهي عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي ابن غالب بن فهر.

تزوجها رسول الله بكرًا ولم يتزوج بكرًا غيرها، وتروي عائشة رضي الله عنها قصة زواجها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في

الأثر (١/ ٢٩٧) وزاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١٤٧).

(١) صحيح البخاري ٣٨٩٥.

(٢) الروض الأنف ت الوكيل (٤/ ٢٠٤).

بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد مني، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر - أي أفضل حظ وبركة - فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين) [١]و كانت لعبها معها، ومات عنها رسول الله ﷺ، وهي بنت ثمان عشرة سنة.

عن أسماء بنت يزيد، قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحًا من لبن، قالت: فشرب منه ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية فقلنا: لا تردي يد رسول الله ﷺ خذي منه فأخذته على حياء، فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك فقلنا: لا نشتهيه فقال: «**لا تجمعن جوعًا وكذبًا**» قالت: فقلت يا رسول الله: إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذبًا قال: «**إن الكذب يكتب كذبًا حتى تكتب الكذيبة كذيبة**»[٢].

بنى رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها وهو في الرابعة والخمسين من عمره.

ومن الحكم الجليلة من هذا الزواج في بداية الحياة في المدينة، ومع المرحلة التشريعية من حياته ﷺ، نقل سلوك الرسول الكريم في هذا الجانب من حياته إلى الناس، حتى يستطيعوا التأسي به، وكانت تلك مهمة أم المؤمنين عائشة وبقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

---

(١) صحيح البخاري ٣٨٩٤.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٤٦٤) ٢٧٤٧١ وفيه ضعف.

فإن عائشة بما وهبها الله من ذكاء وفهم، استطاعت أن تؤدي دورها في تبليغ الأمة بما يحدث في بيتها، من الأحوال النبوية، وكانت مرجعًا للأمة بعد وفاته ﷺ، وقد عمرت فكانت وفاتها في سنة سبع وخمسين من الهجرة.

وكانت من أحب نسائه إليه أحبها حبًا شديدًا وكان يتظاهر به، فعن عمرو بن العاص أنه سأل النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «**عائشة**»، قال فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**». أخرجه البخاري [1].

وكان الناس يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته ﷺ.

روى البخاري كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت عائشة فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان أو حيث ما دار، قالت فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت فأعرض عني فلما عاد إلي ذكرت له ذاك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها [2].

وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون**» [3].

---

(١) صحيح البخاري ٣٦٦٢.

(٢) صحيح البخاري ٣٧٧٥.

(٣) صحيح البخاري ٣٧٦٩

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ١/١٠/١٥هـ:

عن أنس ﷺ قال: «قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري»[1] وكانت في شوال من السنة الأولى[2].

آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فقد شرعت المؤاخاة لإرفاق بعضهم ولتأليف قلوب بعضهم على بعض[3].

وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على أن يتوارثوا دون ذوي الأرحام.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ (النساء، الآية: ٣٣) قال ورثة: {والذين عاقدت أيمانكم} قال كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري، دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ نسخت ثم قال: «**والذين عاقدت أيمانكم**» إلا النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له[4].

وعن الزبير بن العوام قال: أنزل الله فينا خاصة معشر قريش والأنصار ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال، الآية: ٧٥) قال: وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٩٤، ٦٠٨٣، ٧٣٤٠، ومسلم ٢٥٢٨..

(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء (ص: ١٧٨).

(٣) الروض الأنف (٢/ ٣٥٠).

(٤) أخرجه البخاري٢٢٩٢.

فواخيناهم وأورثناهم، فآخى أبو بكر خارجة بن زيد، وآخى عمر فلانًا وآخى عثمان بن عفان رجلا من بني زريق بن سعد الزرقي.

قال الزبير: وآخيت أنا كعب بن مالك، وأورثونا وأورثناهم، فلما كان يوم أحد قيل لي: قد قتل أخوك كعب بن مالك، فجئته فانتقلته، فوجدت السلاح قد ثقله فيما نرى، فو الله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريثنا[1].

عن بشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كان النبي ﷺ آخى بين الزبير وبين كعب بن مالك[2].

وكان الذي آخى بينهم تسعين رجلا: خمسةً وأربعين من المهاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار [3].

عن أنس أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة[4].

وعن أبي جحيفة قال آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء[5].

وعن أنس قال: «آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وآخى بين عوف بن مالك وبين صعب بن جثامة»[6].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٤٢) ٩٢٠٦ المستدرك (٤/ ٣٨٣) ٨٠٠٥ وقال الحاكم صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٤١) ٢٦٦٩٨.

(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٧٨) وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ١٩٣).

(٤) صحيح مسلم ٦٦٢٥.

(٥) صحيح البخاري ١٩٦٨.

(٦) مسند أبي يعلى (٦/ ١٣١) ٣٤٠٤ وهو صحيح وقال البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥/ ١٨٢) رواه أبو يعلى بسند رواته ثقات ٥١٠٩.

عن محمد بن إسحاق: **أن رسول الله ﷺ** آخى بين أصحابه فآخى بين أبي بن كعب و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[1].

وعن أنس، قال: «كان رسول الله ﷺ يؤاخي بين الرجلين فتطول الليلة عليهما، حتى يلقى أحدهما صاحبه فيلقاه بود ولطف فيقول: كيف كنت بعدي؟، قال: «**وأما العامة فلم تكن تأتي على الرجل ثلاث لا يعلم علم أخيه المسلم**». وفي رواية أبي عبد الله قال: «لما آخى النبي ﷺ بين الناس كانت تطول الليل على أحدهم حتى يصبح فيلتقيان بود ولطف، فأما العامة فلم يكن تمضي على أحدهم ثالثة لا يعلم علم أخيه المسلم[2]».

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في حبهم وتفانيهم في مواساة إخوانهم المهاجرين، من ذلك قصة سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، عندما آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف وهو من المهاجرين، وكان سعد بن الربيع من أكثر الأنصار مالاً، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (لما قدم علينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك[3].

---

(١) المستدرك (٣/ ٣٤٣) ٥٣٢٢.

(٢) شعب الإيمان (١١/ ٣٤٧) ٨٦٣٨ قال البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٥/ ١٨٢)رواه أبو يعلى الموصلي، وفي سنده عمران بن خالد الخزاعي، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٤٩.

وفي رواية أنه قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فدلوه على السوق[١].

ومعنى هذه المؤاخاة أن تذوب عصبيات الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والتراب، فيكون أساس الولاء والبراء على الإسلام.

وقد امتزجت عواطف الأنصار بالإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا»، فقالوا: فتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا[٢].

بنود المؤاخاة:

"هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم:

- إنهم أمة واحدة من دون الناس.

- المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم يتعاقلون بينهم، وهم يَفْدُون عَانِيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

- وإن المؤمنين لا يتركون مُفَرّجاً (مُثقلاً بالدين) أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٨٦٣ وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٢٥.

- وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دَسِيعة (عطية) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

- وإن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولد أحدهم.

- ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر.

- ولا ينصر كافرًا على مؤمن.

- وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.

- وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

- وإن سلم المؤمنين واحدة؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

- وإن المؤمنين يبيء - يرجع ويحتمل - بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

- وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن.

- وإنه من اعتبط مؤمنًا قتلًا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول.

- وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

- وإنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عَدْل.

- وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله - عز وجل -، وإلى محمد ﷺ[1].

---

(١) الوثيقة لا ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة. فقد رواها ابن إسحاق في سيرته دون إسناد، وأوردها البيهقي من طريق ابن إسحاق وأبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهريّ [الأموال (٥١٧)]ووردت

لقد أضاف هذا الميثاق لبنة مهمة إلى بناء المجتمع الإسلامي فقد زالت ضغائن الجاهلية، والنزاعات القبلية، والاعتداد بالتراب والطين والحسب وصار المجتمع صفًا واحدًا وبنيانًا متماسكًا وجسدًا واحدًا، ألغى جميع الفوارق، وأكد أخوة الدين والعقيدة.

حتى قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا قومًا أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل، من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال النبي ﷺ لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم[1].

إنه اعتراف بالفضل لأهله، وتأكيد على حسن العهد، لقد كانت المؤاخاة ركنًا أساسيًا في بناء الدولة الإسلامية، وأصلا أصيلا في بناء المجتمع، فالمهاجرون الذين تركوا وطنهم وأموالهم وأولادهم وبيوتهم، وهاجروا إلى الله ورسوله، لابد أن تؤسس العلاقة بينهم وبين إخوانهم الأنصار، ومع وجود أخوة الدين بين كل

الصحيفة ذاتها من رواية الزهري أيضاً، في كتاب الأموال لابن زنجويه ص ٧٥، لكن في الوثيقة نصوصًا وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي من الحديث الصحيح وقد احتج بها.قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح:والجمع بين هذه الأخبار أن الصحيفة المذكورة كانت مشتملة على مجموع ما ذكره، فنقل كل راو بعضها، وأتمها سياقًا طريق أبي حسان كما ترى والله أعلم (فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٥)) وانظر إلى السيرة الصحيحة للعمري ١/ ٢٨٢ فقد أجاد في تحليل هذه الوثيقة، وللوثيقة أصل في حديث جابر عند مسلم (٤/ ٢١٦) ٣٨٦٣ عن جابر بن عبد الله يقول كتب النبي ﷺ على كل بطن عقوله ثم كتب «أنه لا يحل لمسلم أن يتوالى مولى رجل مسلم بغير إذنه ». ثم أخبرت أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك.

وعند أحمد ٢٤٤٣ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار: «أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين»، وهو حسن بشاهده وهو حديث جابر المتقدم.

(١) سبق تخريجه.

المسلمين، حدد رسول الله ﷺ لكل واحد من صحابته أخًا له من المهاجرين أو الأنصار.

ولم تكن المؤاخاة كلمات تقال باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة امتزجت فيها النفوس على صفحات القلوب، وارتبطت الدماء والأموال، فصارت مؤاخاة في القول والعمل، والنفس، في العسر واليسر.

وكانت هذه المؤاخاة في دار أنس بن مالك ولعلها في دار أمه أم سليم، وزوج أمه أبو طلحة رضي الله عنهم.

وبقي المهاجرون يعملون ويكدحون ليجدوا ما يقتاتون فمنهم من عمل بالتجارة كعبد الرحمن بن عوف، وعثمان رضي الله عنهم.

ومنهم من عمل في الزراعة في أراضي الأنصار مزارعة مع ملاكها، ومنهم أبو بكر و عمر و عليّ بن أبي طالب و غيرهم ؛ فكانوا يجهدون أنفسهم في العمل الشاق أشد الجهد، و يجدون في ذلك من لذة الطمأنينة لأنفسهم ما لم يكونوا يجدونه قبل الهجرة.

شراء بئر رومه ٢٠/١٠/١هـ:

قدم رسول الله ﷺ المدينة، وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه من دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة، فاشتراها عثمان من صلب ماله [١] فجعلها للغني والفقير وابن السبيل [٢].

عن أبي سلمة بشر بن بشير الأسلمي، عن أبيه، قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمد فقال له رسول الله ﷺ: «**بعنيها بعين في الجنة**»، فقال: يا رسول الله ليس لي، ولا لعيالي غيرها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتجعل لي مثل الذي جعلته له عينًا في الجنة إن اشتريتها؟ قال: «**نعم**»، قال: قد اشتريتها، وجعلتها للمسلمين [٣].

سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٥-١١-١هـ:

بعث رسول الله ﷺ سرية سعد بن أبي وقاص – رضي الله تعالى عنه – في عشرين رجلا من المهاجرين رضي الله عنهم وقيل: في ثمانية إلى الخرار في ذي القعدة، على رأس تسعة أشهر من الهجرة.

---

(١) سنن الترمذي ٣٧٠٣ ومسند أحمد ط الرسالة (١/ ٥٣٥)٥١١ وعلقه البخاري وهو صحيح.

(٢) سنن الترمذي ٣٦٩٩ وصححه الألباني.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٤١) ١٢٢٦ ومعجم الصحابة ـ محقق (١/ ٢٢٣) ١٣٣.

وعقد له لواء أبيض، حمله المقداد بن عمرو البهراني، وعهد إليه رسول الله ﷺ ألا يجاوز الخرار، يعترض عيرًا لقريش تمر بهم، فخرجوا على أقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل، حتى صبحوا صبح خمس الخرار من الجحفة قريبًا من خُم، فوجدوا العير قد مرت بالأمس فانصرفوا إلى المدينة(١).

نتائج السرية:

إثارة الرعب في صفوف الأعداء وإشعارهم بقوة المسلمين ويقظتهم التامة لهم، وتقوية لعزائم المسلمين، و إظهارًا لقوتهم.

ولادة النعمان بن بشير ١/١٢/١هـ:

وهو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، من بني كعب بن الحارث ابن الخزرج، وأمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة.(٢)، فحملته أمه عمرة بنت رواحة إلى رسول الله ﷺ، فحنكه رسول الله ﷺ، وهو أول مولود من الأنصار، ولد بعد قدوم النبي ﷺ المدينة(٣).

ولادة مسلمة بن مخلد ١٠/١٢/١هـ:

وهو مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار الأنصاري الساعدي الخزرجي، فعن مسلمة بن مخلد قال: ولدت حين قدم النبي ﷺ المدينة، وقبض النبي ﷺ وأنا ابن عشر سنين»(٤).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٧) سيرة ابن هشام (١/ ٦٠٠) عيون الأثر (١/ ٢٩٨) مغازي الواقدي (١: ١١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١٤٧).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٤٩٦).

(٣) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ١٥٤).

(٤) الآحاد والمثاني (٥/ ٥٩) ٢٨٦٥ وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٩٧) والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ١٤٤) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٤/ ٤٣٣).

زواج عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ١/١٢/٦هـ:

قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، وعرض عليه سعد بن الربيع إحدى زوجتيه ونصف ماله فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك، لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة، قال سوق بني قينقاع فخرج إلى السوق فباع واشترى فربح شيئًا من أقط وسمن، ثم تابع الغدو إلى السوق فمكث ما شاء الله، فلقيه النبي ﷺ في سكة من سكك المدينة وعليه أثر من صفرة فرأى النبي ﷺ بشاشة العرس، فسأل النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف عن أثر الطيب قال تزوجت امرأة من الأنصار وهي أم إياس بنت أبي الحيسر أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل[1].

فقال النبي ﷺ: «**كم أصدقتها؟**» قال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «**بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير، أولم ولو بشاة**»[2].

عثمان بن مظعون يطلب من رسول الله التبتل ١/١٢/١٠هـ:

أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه رسول الله ﷺ، والتبتل الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة وتحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به فقال له:النبي ﷺ إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة[3].

---

(١)صحيح البخاري ٢٠٤٩ وفتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٣٤).

(٢)صحيح البخاري ٣٩٣٧ وفتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٢٢-٢٣٢).

(٣) انظر مسند أحمد ط الرسالة (٤٣/ ١١٥)(٢٥٩٦٢ (إني أرسلت بحنيفية سمحة) ومسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٦٢٣)(٢٢٢٩١.

عن عروة، قال دخلت امرأة عثمان بن مظعون أحسب اسمها خولة بنت حكيم على عائشة وهي باذة الهيئة فسألتها ما شأنك؟ فقالت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي ﷺ فذكرت عائشة ذلك له، فلقي رسول الله ﷺ عثمان فقال: «**يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك فيَّ أسوة، فوالله إني أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده**»(١).

وأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (المائدة، الآيتان: ٧٨، ٨٨) (٢).

وفي «الصّحيحين»، عن سعد بن أبي وقاص، قال: ردّ النبيّ ﷺ على عثمان بن مظعون التبتّل، ولو أذن له لاختصينا(٣).

سرقة في المدينة ١/١٢/١٢هـ:

عن قتادة بن النعمان، قال: كان أهل بيت منا يقال لهم: بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلا منافقًا يقول الشعر، يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر، قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث، أو كما قال الرجل، وقالوا: ابن الأبيرق قالها، قال: وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة، في الجاهلية

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٤٣/ ٧٠) ٢٥٨٩٣ وهو صحيح.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٩/ ١١٨) والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٨١).

(٣) صحيح البخاري ٥٠٧٣ وصحيح مسلم ٣٤٧١.

والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك، ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه، وأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير، فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت، فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، قال: وكان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فو الله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها.

فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء، عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: سآمر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له: أسير بن عروة فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس

من أهل الدار، فقالوا: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة، قال: فرجعت، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان، فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ (النساء، الآية: ١٠٥) بني أبيرق ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾ أي مما قلت لقتادة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾ (النساء، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨)، إلى قوله: ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ أي: لو استغفروا الله لغفر لهم ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ (النساء، الآية: ١١١)، إلى قوله: ﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ قولهم للبيد ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ (النساء، الآية: ١١٣)، إلى قوله: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلاح، وكان شيخًا قد عشا، أو عسا، في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولا، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل

الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحًا، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فأنزل الله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾(سورة النساء، الآيتان: ١١٥، ١١٦)[١].

سياسية النبي ﷺ في حفظ المدينة ١/١٢/٢٠هـ:

لتبقى المدينة مهيبة عظيمة في نفوس الأعداء، لم يأذن النبي ﷺ للأنصار بترك بيوتهم والقرب من المسجد.

عن أنس رضي الله عنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة وقال يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا[٢].

وعن جابر بن عبد الله قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «**إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد**». قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك. فقال: «**يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم**»[٣]. وفي رواية فقالوا ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٠٣٦ وحسنه الألباني.

(٢) صحيح البخاري١٨٨٧.

(٣) صحيح مسلم ١٥٥١.

(٤) صحيح مسلم٦٦٥.

وكانت ديارهم على بعد من المسجد، وكان يلحقهم مشقة من المشي في سواد الليل إلى المسجد؛ خصوصًا عند وقوع المطر، فكره النبي ﷺ انتقالهم إلى قرب المسجد؛ لئلا تعرى جوانب المدينة، فرغبهم فيما عند الله من الأجر على نقل الخطى [١].

ومعنى فكره عليه الصلاة والسلام أن تعرى وأحب أن تعمر؛ ليعظم المسلمون في أعين الكفار والمنافقين إرهابًا وغلظًا عليهم ولئلا تخلو ناحيتهم من حُراسها [٢].

نهى النّبي ﷺ أصحابه عن كتابة غير القرآن:

نهى النّبي ﷺ أصحابه عن كتابة حديثه أوّل الأمر مخافة اللّبس بالقرآن، إذ قال عليه الصّلاة والسّلام: «**لا تكتبوا عنّي، ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحه، وحدّثوا عنّي فلا حرج، ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعدة من النّار**» [٣] فلما علم أن السنن تكثر، فيفوت الحفظ أجاز الكتابة [٤].

فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا. فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق**» [٥].

(١) شرح المصابيح لابن الملك (١/ ٤٢٢).
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٦٤٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٦/ ٤٣٦).
(٣) صحيح مسلم ٢٢٩٨- ٢٢٩٩.
(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ١٦٢).
(٥) مسند أحمد ٦٥١٠ وإسناده صحيح.

الصحابة يعلم بعضهم بعضًا القرآن:

عن عبادة بن الصامت قال: كان رسول الله ﷺ يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إلي رسول الله ﷺ رجلا، فكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكنت أقرئه القرآن فانصرف انصرافه إلى أهله، فرأى أن عليه حقًا فأهدى إلي قوسًا لم أر أجود منها عودًا ولا أحسن منها عطفًا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما ترى يا رسول الله فيها؟ قال: «**جمرة بين كتفيك تقلدتها**» أو «**تعلقتها**»(١).

وعن عبد الله، أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله ﷺ، قال: «**من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**» (٢).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة**» قال: فقال عبد الله: " فذاك رجل لا أزال أحبه، منذ رأيت رسول الله ﷺ بدأ به " (٣).

---

(١) مسند أحمد ٢٢٧٦٦ وإسناده حسن ولعل ذلك في أول الأمر ثم نسخ.

(٢) مسند أحمد ٣٥ وهو صحيح.

(٣) مسند أحمد ٦٥١٠ وإسناده صحيح.

الرسول ﷺ يغير أسماء أصحابه:

أراد النبي ﷺ محو آثار الجاهلية ومن ذلك تلك الأسماء التي كانوا يتسمون بها، فكان النبيّ ﷺ إذا أتاه الرجل وله اسم لا يحبّه حوّله(١).

وعن عتبة قال: دعاني النبيّ ﷺ وأنا غلام حدث. فقال: «**ما اسمك؟**» قلت: عتلة. قال: «**بل أنت عتبة**»(٢).

وعن بشير بن نهيك، قال: حدثني بشير مولى رسول الله ﷺ، وكان اسمه في الجاهلية زحم بن معبد، فهاجر إلى رسول الله ﷺ، فسأله، " ما اسمك؟ " قال: زحم، قال: «**لا، بل أنت بشير**»، فكان اسمه(٣).

وعن بشير بن ميمون عن عمه أسامة بن أخدرى أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «**ما اسمك**». قال أنا أصرم. قال «**بل أنت زرعة**»(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل يقال له شهاب، فقال رسول الله ﷺ: «**بل أنت هشام**»(٥).

ومن تأمل السنة وجد المعاني في الأسماء مرتبطة بها، حتى كأن معانيها مأخوذة منها، وكأن الأسماء مشتقة من معانيها فتأمل قوله أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصية عصت الله(٦).

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٦٢).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٣٧٤٣، وهو ضعيف.

(٣) مسند أحمد٢٠٧٨٨ وهو حسن.

(٤) سنن أبي داود٤٩٥٦ وهو صحيح.

(٥) الأدب المفرد ٨٢٥ وهو صحيح.

(٦) تحفة المودود (ص: ١٢٠).

قال أبو داود في السنن وغير النبي ﷺ اسم العاص، وعزيز، وعتلة، وشيطان والحكم، وغراب، وشهاب فسماه هشامًا، وسمى حربًا أسلم، وسمى المضطجع المنبعث، وأرض عفرة سماها خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم بني الرشدة.

وهذا باب عجيب من أبواب الدين وهو العدول عن الاسم الذي تستقبحه العقول وتنفر منه النفوس إلى الاسم الذي هو أحسن منه والنفوس إليه أميل[1].

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للمستضعفين في مكة:

كان النبي صلى اله عليه وسلم يدعو للمستضعفين في مكة عياش بن أبي ربيعة و سلمة بن هشام، وغيرهم يدعو لهما بالنجاة من الأسر وأن يخلصهم الله من أذى قريش[2].

وقنت لهم في صلاة الفجر فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول: اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف وأن النبي ﷺ قال غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله[3].

---

(١) تحفة المودود (ص: ٥٢) وسنن أبي داود (٤/ ٤٤٤) ٤٩٥٨.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ١٣٢).

(٣) صحيح البخاري١٠٠٦.

مرثد بن أبي مرثد ينقذ المستضعفين بمكة:

عن عبدالله بن عمرو قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الأسرى من مكة، حتى يأتي بهم المدينة، قال وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق، وكانت صديقة له وإنه كان وعد رجلا من أسارى مكة يحمله.قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط فلما انتهت إليَّ عرفته فقالت مرثد؟ فقلت مرثد فقالت مرحبًا وأهلا، هلم فبت عندنا الليلة قال قلت حرم الله الزنا، قالت يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم، قال فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فانتهيت إلى كهف أو غار، فدخلت فجاءوا، حتى قاموا على رأسي فبالوا، فطل بولهم على رأسي وأعماهم الله عني، قال ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته، وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت إلى الإذخر ففككت عنه كبله، فجعلت أحمله ويعينني، حتى قدمت المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أنكح عناقًا؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد عليَّ شيئًا حتى نزلت: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (النور، الآية: ٣) فقال رسول الله ﷺ يا مرثد الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها[1].

(١) سنن الترمذي ٣١٧٧ وحسنه الألباني.

بنت تخير بين أمها المشركة وأبوها المسلم:

عن رافع بن سنان أنه أسلم وأبت امرأته أن تسلم، فأتت النبي ﷺ فقالت ابنتي وهي فطيم أو شبهه، وقال رافع ابنتي فقال له النبي ﷺ: «**اقعد ناحية**» وقال لها: «**اقعدي ناحية**» قال وأقعد الصبية بينهما ثم قال: «**ادعواها**» فمالت الصبية إلى أمها فقال النبي ﷺ: «**اللهم اهدها**» فمالت الصبية إلى أبيها فأخذها [١].

والبنت هي عميرة بنت أبي الحكم رافع بن سنان.

ماقطع من البهيمة وهي حية:

عن أبي واقد الليثي، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، والناس يجبون أسنمة الإبل، ويقطعون أليات الغنم، فقال رسول الله ﷺ: «**ما قطع من البهيمة وهي حية، فهي ميتة**»[٢].

شرك الألفاظ:

عن قتيلة امرأة من جهينة أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت[٣].

---

(١) سنن أبي داود٢٢٤٤ وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٢٣٥) ٢١٩٠٤ وسنن الترمذي ١٤٨٠وهو صحيح.

(٣) سنن النسائي (٧/ ٦) ٣٧٧٣ وصححه الألباني.

الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم الوضوء:

عن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري قال توضأ لنا رسول الله ﷺ فدعا بإناء، فأكفأ منها على يديه، فغسلهما ثلاثًا، ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحدة، ففعل ذلك ثلاثًا، ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثًا، ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين، ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر، ثم غسل رجليه إلى الكعبين [(١)].

سهل بن حنيف يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام:

عن سهل بن حنيف قال: كنت ألقى من المذي شدة وعناء، فكنت أكثر منه الغسل فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ وسألته عنه؟ فقال إنما يجزئك من ذلك الوضوء فقلت يا رسول الله كيف بما يصيب ثوبي منه؟ قال يكفيك أن تأخذ كفًا من ماء فتنضح به ثوبك حيث ترى أنه أصاب منه[(٢)].

المرأة في الحيض:

عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾(البقرة، الآية: ٢٢٢) إلى آخر الآية.

---

(١) صحيح البخاري١٨٦ وصحيح مسلم ٥٧٨.

(٢) سنن الترمذي ١١٥ وحسنه الألباني.

فقال رسول الله ﷺ: **«اصنعوا كل شيء إلا النكاح»**.

فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ فأرسل في آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما[1].

حلم ورفق وغيرة وحسن خلق من النبي ﷺ

يسأل عن وقت الصلاة:

عن بريدة قال: أتى النبي ﷺ رجل فسأله عن وقت الصلاة فقال: "صل معنا هذين يعني اليومين". فأمر بلالا حين طلع الفجر، فأذن ثم أمره فأقام، ثم أمره فأذن حين زالت الشمس الظهر، ثم أمره فأقام، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة، ثم أمره فأقام المغرب حين غاب حاجب الشمس، ثم أمره حين غاب الشفق، فأقام العشاء فصلى، ثم أمره من الغد فأقام الفجر، فأسفر بها، ثم أمره فأبرد بالظهر فأنعم أن يبرد بها، ثم صلى العصر والشمس بيضاء أخرها فوق ذلك الذي كان، وأمره فأقام المغرب قبل أن يغيب الشفق، ثم أمره فأقام العشاء حين ذهب ثلث الليل، ثم قال: **«أين السائل عن وقت الصلاة»**؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله. فقال: **«وقت صلاتكم بين ما رأيتم»**[2].

---

(١) صحيح مسلم ٧٢٠.

(٢) صحيح مسلم ٦١٣ ومسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ٥٠) ٢٢٩٥٥.

دعاء النبي عليه الصلاة والسلام للمدينة:

عن أبي قتادة، أن رسول الله ﷺ توضأ، ثم صلى بأرض سعد بأصل الحرة عند بيوت السقيا، ثم قال: «**اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ونبيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك به إبراهيم لأهل مكة، ندعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم. اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل ما بها من وباء بخم. اللهم إني قد حرمت ما بين لابتيها كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم**»[1].

عليكم السكينة:

عن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى دعاهم فقال: «ما شأنكم»؟ قالوا: يا رسول الله استعجلنا إلى الصلاة. قال: «**فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما سبقتم فأتموا**»[2].

يعلم النبي – عليه الصلاة والسلام – أدب المشي إلى الصلاة والتزام السكينة والهدوء.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ٣١٢) ٢٢٦٣٠ وهو صحيح.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ٢٩٦) ٢٢٦٠٨ وهو صحيح.

مستريح ومستراح:

عن أبي قتادة قال: كنا مع رسول الله ﷺ يومًا فمر عليه بجنازة فقال: «**مستريح ومستراح منه**». قال: قلنا: أي رسول الله، ما مستريح؟ ومستراح منه؟ قال: «**العبد الصالح يستريح من نصب الدنيا وهمها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**»[(١)].

يغرس النبي – عليه الصلاة والسلام – في نفوس أصحابه الفرق بين الرجلين في موقف التأثر والاتعاظ بالموت.

نصيحة وستر:

عن أبي شهم وكان رجلاً بطالاً قال: فمرت بي جارية في بعض طرق المدينة إذ هويت إلى كشحها، فلما كان الغد قال: فأتى الناس رسول الله ﷺ يبايعونه فأتيته فبسطت يدي لأبايعه، فقبض يده وقال: «**أجنك صاحب الجبيذة**»؟، يعني: أما إنك صاحب الجبيذة، أمس ". قال: قلت: يا رسول الله، بايعني فوالله لا أعود أبدًا. قال: «**فنعم إذًا**»[(٢)].

ستر وعفو نبوي لم يشهر به ولم يعنفه فقد جاء تائبًا مبايعًا فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الرحيم.

---

(١) صحيح البخاري ٦٥١٢ وصحيح مسلم ٢٢٤٥ ومسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ٢٨٢) ٢٢٥٩٢.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ١٨٩) ٢٢٥١٢ وهو صحيح.

عدة المتوفى عنها زوجها:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ (البقرة، الآية: ٢٤٠) عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله[1].

وقد كانت المرأة في الجاهلية تعتد سنة في شر حالة، قالت زينب بنت أبي سلمة ﵄: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشًا، ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبًا حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طائر فتفتض به، فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره[2].

نزول آية الرضاع:

عن عائشة أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن. ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ، وهن فيما يقرأ من القرآن[3].

***

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٤/ ٤٠١) سيأتي أن هذه العدة نسخت بأربعة أشهر وعشرا.

(٢) صحيح البخاري ٥٣٣٧.

(٣) صحيح مسلم ٣٦٧٠ ومعنى ذلك أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدًا حتى إنه ﷺ تُوفي، وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنًا متلوًا لكونه لم يبلغه النسخ تلاوة لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يُتلى(الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٦/ ٧٨).

السنة الثانية من الهجرة

اليهود يأتون الرسول عليه الصلاة والسلام ويسألونه:

حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ يومًا، فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: «**سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله، وما أخذ يعقوب عليه السلام، على بنيه: لئن أنا حدثتكم شيئًا فعرفتموه، لتتابعني على الإسلام**» قالوا: فذلك لك، قال: «**فسلوني عما شئتم**».

قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة، وماء الرجل؟ كيف يكون الذكر منه؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم؟ ومن وليه من الملائكة؟ قال: «**فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني**»؟ قال: فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: «**فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ﷺ هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام، مرض مرضًا شديدًا، وطال سقمه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله تعالى من سقمه، ليحرمن أحب الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها**»؟ قالوا: اللهم نعم، قال: «**اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله؟ إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان**

أنثى بإذن الله»؟. قالوا: اللهم نعم، قال: «**اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه**»؟ قالوا: اللهم نعم. قال: «**اللهم اشهد**» قالوا: وأنت الآن فحدثنا: من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك؟ قال: «**فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه**» قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك، قال: «**فما يمنعكم من أن تصدقوه**»؟ قالوا: إنه عدونا، قال: فعند ذلك قال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة، الآية: ٩٧) إلى قوله عز وجل: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، الآية: ١٠١) فعند ذلك: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ (البقرة، الآية: ٩٠) الآية[١] ما أخبث اليهود، وما أكذبهم، وما أسرع نقضهم للعهود والمواثيق، فقد كذبوا النبي ﷺ لما ظهر لهم صدقه.

وصية باتخاذ المساجد في البيوت:

عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نصنع المساجد في دورنا، وأن نصلح صنعتها ونطهرها»[٢].

وكان أمره ﷺ باتخاذ المساجد في البيوت ليصلي بها النافلة وتصلي بها النساء وتعمر البيوت بذكر الله.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٣١٠) ٢٥١٤ وهو حسن.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ٢٢١) ٢٣١٤٦ وهو صحيح.

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**» [١]. فالمساجد في البيوت قدوة في الخير، وطرد للشيطان، وتطهير للبيوت من الشرور.

صيام يوم عاشوراء ٢/١/١٠هـ :

استهلت السنة الثانية من الهجرة بدخول شهر الله المحرم، واليهود يستعدون لصيام يوم عاشوراء.

وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء [٢].

فسأل النبي ﷺ أهل الكتاب عن سبب صيامهم يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون فصام موسى شكرًا لله فقال أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه [٣].

وكان يوم عاشوراء يومًا يصومه رسول الله ﷺ في الجاهلية، وكانت قريش تصومه في الجاهلية، فلما قدم النبي ﷺ المدينة، صامه وأمر بصيامه [٤].

وعن الربيع بنت معوذ قالت أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم قالت فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار [٥].

---

(١) صحيح مسلم: ١٨٥٦.

(٢) صحيح البخاري ٣٥٥٨.

(٣) صحيح البخاري ٣٣٩٧.

(٤) مسند أحمد ٢٥٢٩٤ وإسناده صحيح.

(٥) صحيح البخاري ١٩٦٠.

وعن بعجة بن عبد الله، أن أباه، أخبره أن رسول الله ﷺ قال لهم يومًا: «**هذا يوم عاشوراء، فصوموا**» فقال رجل من بني عمرو بن عوف: يا رسول الله، إني تركت قومي، منهم صائم، ومنهم مفطر، فقال النبي ﷺ: «**اذهب إليهم، فمن كان منهم مفطرًا، فليتم صومه**»[١].

وكان صيام يوم عاشوراء مفروضًا على المسلمين قبل فرض رمضان فلما فرض رمضان بقي صيامه مستحبًا. قالت عائشة: فلما نزل رمضان، كان رمضان هو الفريضة، وترك عاشوراء"[٢] فهذه الأمة أولى الناس بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهي الأمة الشاهدة على الأمم جميعًا.

الرسول عليه الصلاة والسلام يرغب بتعلم القرآن:

كان أهل الصفة فقراء المسلمين، ينامون في المسجد، ويحتطبون، ويبيعون، فحثهم النبي ﷺ على تعلم القرآن، عن عقبة بن عامر قال خرج رسول الله ﷺ، ونحن في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم**».

فقلنا يا رسول الله نحب ذلك. قال «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**».[٣] ترغيب لهم بالأجر والثواب، ومحبة لهم ليتعلموا من القرآن ما يكون لهم رفعة في الدنيا والآخرة.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٦١٢) ٢٧٦٤٦ وهو صحيح.
(٢) صحيح البخاري٤٥٠٤.
(٣) صحيح مسلم ١٩٠٩.

زيارة النبي عليه الصلاة والسلام لعمه حمزة ﵁:

لما قدم حمزة بن عبد المطلب المدينة تزوج خولة بنت قيس بن قهد الأنصارية من بني النجار قال: وكان رسول الله ﷺ يزور حمزة في بيتها، وكانت تقول: جاءنا رسول الله ﷺ يومًا فقلت: يا رسول الله، بلغني عنك أنك تحدث أن لك يوم القيامة حوضًا ما بين كذا إلى كذا، قال: «**أجل، وأحب الناس إليَّ أن يروى منه قومك**»، قالت: فقدمت إليه برمة فيها خبزة - أو خزيرة - فوضع رسول الله ﷺ يده في البرمة ليأكل فاحترقت أصابعه فقال: «**حس**»، ثم قال: «**ابن آدم إن أصابه البرد قال: حس، وإن أصابه الحر قال: حس**»[1] بيان لطبيعة الإنسان الذي يتأذى من الحرارة والبرودة.

وعن خولة الأنصارية التي كانت عند حمزة بن عبد المطلب - تحدث، أن رسول الله ﷺ دخل على حمزة بيته، فتذاكروا الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الدنيا خضرة حلوة، من أخذها بحقها بورك له فيها، ورب متخوض في مال الله، ومال رسوله، له النار يوم يلقى الله**»[2] زهد وقناعة، وتحذير للأمة من الاغترار بالدنيا وزهرتها، والافتتان بها.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٢٩٦) ٢٧٣١٦ وهو حسن.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٢٩٨) ٢٧٣١٧ وهو صحيح

الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام:

عن حارثة بن النعمان، قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل عليه السلام جالس في المقاعد، فسلمت عليه، ثم أجزت، فلما رجعت وانصرف النبي ﷺ قال: «**هل رأيت الذي كان معي**»؟ قلت: نعم. قال: «**فإنه جبريل وقد رد عليك السلام**» [١] حرص النبي ﷺ على إدخال السرور على أصحابه، ونقله رد السلام من جبريل عليه السلام إلى حارثة بن النعمان رضي الله عنه.

شاة سودة رضي الله عنها:

ماتت شاة لسودة بنت زمعة، فقالت: يا رسول الله، ماتت فلانة - يعني الشاة - فقال: «**فلولا أخذتم مسكها**» فقالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنما قال الله عز وجل:** ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ (الأنعام، الآية: ١٤٥)، **فإنكم لا تطعمونه إن تدبغوه فتنتفعوا به**» فأرسلت إليها، فسلخت مسكها، فدبغته، فأخذت منه قربة حتى تخرقت عندها [٢].

وعن سودة زوج النبي ﷺ قالت: «**ماتت شاة لنا فدبغنا مسكها، فما زلنا ننبذ به حتى صار شنًا**» [٣] تعليم على الاقتصاد والاستفادة مما يمكن الاستفادة منه، وهو دليل على طهارة جلد الميتة.

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٨٢) ٢٣٦٧٧ وهو صحيح.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٥/ ١٥٦) ٣٠٢٦ وهو صحيح.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٤٠٨) ٢٧٤١٨ وهو صحيح.

يهودية تخدم عائشة:

عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية كانت تخدمها، فلا تصنع عائشة إليها شيئًا من المعروف، إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت: فدخل رسول الله ﷺ عليَّ، فقلت: يا رسول الله، هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال: «**لا، وعم ذاك**»؟ قالت: هذه اليهودية لا نصنع إليها من المعروف شيئًا، إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر، قال: «**كذبت يهود، وهم على الله عز وجل أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة**»، قالت: ثم مكث بعد ذاك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: «**أيها الناس، أظلتكم الفتن كقطع الليل المظلم، أيها الناس، لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرًا وضحكتم قليلا، أيها الناس، استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق**» [1] وهذا دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، إلا ما علمه الله وأطلعه الله عليه.

زيارة سعد بن عبادة رضي الله عنه وموقف ابن أبي ١٥/١/٢هـ:

عن أسامة بن زيد، رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٤١/ ٦٦) ٢٤٥٢٠ ٢٤٥٢٠ وهو صحيح وهو في البخاري٦٦٣١ مختصرًا.

يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًا فلا تؤذينا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي، قال كذا وكذا قال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه، فو الذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه، يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ (آل عمران، الآية: ١٨٦) الآية وقال الله:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة، الآية: ١٠٩) إلى آخر الآية، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم[١].

ما أعظم عفوه - عليه الصلاة والسلام - وحسن خلقه، وصبره على الدعوة، وما يتحمله من أذى المنافقين والمشركين وجهرهم بأذيته، حفاظًا على وحدة صف الأمة.

يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام عن نحر الناقة بالوتد:

عن رجل من بني حارثة، أن رجلا وجأ ناقة في لبتها بوتد وخشي أن تفوته، فسأل النبي ﷺ: «**فأمره، أو فأمرهم، بأكلها**»[٢].

فالناقة قد شارفت على الهلاك وليس بيده إلا وتد فنحرها به، فسألوا رسول الله ﷺ فأفتاهم بحل أكلها، وكان الصحابة يرجعون إلى النبي عليه الصلاة والسلام في جميع أمورهم، وأحوالهم.

النبي ﷺ يحمي جناب التوحيد:

جاء رسول الله ﷺ بالتوحيد ونهى عن الشرك صغيره وكبيره، حفاظًا على التوحيد وكماله.

فعن طفيل بن سخبرة، أخي عائشة لأمها، أنه رأى فيما يرى النائم، كأنه مر

---

(١) صحيح البخاري٤٥٦٦و صحيح مسلم ٤٧٦٠.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٥٤) ٢٣٦٤٧ وهو صحيح.

برهط من اليهود، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قال: إنكم أنتم القوم، لولا أنكم تزعمون أن عزيرًا ابن الله، فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله، وشاء محمد، ثم مر برهط من النصارى، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى، فقال: إنكم أنتم القوم، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون ما شاء الله، وما شاء محمد، فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: «**هل أخبرت بها أحدًا**»؟ قال: نعم، فلما صلوا، خطبهم فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**إن طفيلا رأى رؤيًا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم، أن أنهاكم عنها**»، قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله، وما شاء محمد**»[1].

وعن قتيلة امرأة من جهينة أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت[2].

وعن ابن عباس، أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت، فقال له النبي ﷺ: «**أجعلتني والله عدلا بل ما شاء الله وحده**»[3].

فكان ﷺ يطهر ألفاظهم من كل ما يخالف كمال التوحيد، وينقصه، فتلك الألفاظ تنافي كمال التوحيد.

فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم حريص على هداية أمته لكمال التوحيد.

---

(١) مسند أحمد ٢٠٦٩٤ وهو صحيح.

(٢) سنن النسائي٣٧٧٣ وصححه الألباني.

(٣)مسند أحمد ١٨٣٩ وهو صحيح.

كتاب عمر إلى هشام بن العاص:

عن عمر: قال: كنا نقول ما لمفتتن توبة و ما الله بقابل منه شيئًا فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الزمر، الآيات: ٥٣-٥٥).

قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال: فقال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى، أصعد بها فيه وأصوب، ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة[1].

دعوة للتوبة والأوبة والرجوع إلى الله تعالى، وعدم اليأس، والقنوط من رحمة الله، فالله أرحم بعبده من الأم بولدها.

---

(١) المستدرك (٢/ ٤٧٢) ٣٦٢٨ قال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم وانظر سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (٢/ ٨٦).

غزوة الأبواء (ودان) ١٢/صفر /٢هـ:

وهي أول الغزوات النبوية قال ابن إسحاق أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة[١].

وقتها: في الثاني عشر من صفر من السنة الثانية على رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره.

مكانها: الأبواء: وهي قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلًا.

وموضع ودان شرق مستورة إلى الجنوب، في نعف حرة الأبواء وذلك النعف يسمى «العصعص» والمسافة بينها وبين مستورة قريبًا من اثني عشر كيلا[٢].

واستعمل النبي ﷺ على المدينة سعد بن عبادة – رضي الله عنه.

عدد المسلمين: مائتين بين راكب وراجل.

الراية: وكان لواؤه مع عمه حمزة، وكان أبيض[٣].

الهدف: يعترض عيرًا لقريش[٤].

أحداثها:

لم يلق كيدًا وفاتته عير قريش وعقد معاهدة حلف مع مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيد بني ضمرة في زمانه.

---

(١) صحيح البخاري ـ (٥/ ٩٠).

(٢) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٣٣٣).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٥٦).

(٤) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء (ص: ١٩٠).

ونص المعاهدة: هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله ما بل بحر صوفة [١]. وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه[٢].

وكانت غيبته عليه الصلاة والسلام عن المدينة خمس عشرة ليلة[٣].

عاد النبي ﷺ إلى المدينة في آخر شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة

غزوة بواط /٣/٢هـ:

مكانها: بواط- جبل لجهينة من ناحية رضوى - بينه وبين المدينة أربعة برد قرابة خمس وخمسون كيلا[٤].

وقتها: في ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة.

واستخلف سعد بن معاذ، وقيل: السائب بن عثمان بن مظعون.

عدد المسلمين: مائتين من المسلمين.

الهدف: يعترض عيرًا لقريش، فيها أمية بن خلف، في مائة رجل وألفين وخمسمائة بعير، ويطلب المجدي بن عمرو الجهني، فلم يلق النبي ﷺ كيدًا فرجع إلى المدينة.

---

(١) مثل يدل على الدوام والاستمرار والأبدية.

(٢) بهجة المحافل وبغية الأماثل (١/ ١٧٣)

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٨) والإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٩٠)و السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٥٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٤٦٨).

(٤) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية (ص: ٢٣٠)

الراية: حمل اللواء سعد بن أبي وقاص وكان لواء أبيض

أحداثها: لم يلق كيدًا ورجع إلى المدينة[١].

قال جابر سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط، وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني وكان الناضح يعتقبه منا الخمسة والستة والسبعة، فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له فأناخه فركبه، ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن فقال له شأ[٢] لعنك الله. فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا اللاعن بعيره**». قال أنا يا رسول الله. قال: «**انزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**».

ثم سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كانت عشيشية ودنونا ماء من مياه العرب قال رسول الله ﷺ: «**من رجل يتقدمنا فيمدر الحوض فيشرب ويسقينا**». قال جابر فقمت فقلت هذا رجل يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ «أي رجل مع جابر». فقام جبار بن صخر فانطلقنا إلى البئر فنزعنا في الحوض سجلا أو سجلين، ثم مدرناه ثم نزعنا فيه حتى أفهقناه فكان أول طالع علينا رسول الله ﷺ فقال: «**أتأذنان**». قلنا نعم يا رسول الله. فأشرع ناقته فشربت، شنق لها فشجت فبالت، ثم عدل بها فأناخها ثم جاء رسول الله ﷺ إلى الحوض فتوضأ منه، ثم

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٩١).

(٢) بالشين والسين كلمة زجر للبعير.

قمت فتوضأت من متوضأ رسول الله ﷺ، فذهب جبار بن صخر يقضي حاجته، فقام رسول الله ﷺ ليصلي وكانت عليَّ بردة ذهبت أن أخالف بين طرفيها فلم تبلغ لي وكانت لها ذباذب فنكستها ثم خالفت بين طرفيها ثم تواقصت عليها ثم جئت حتى قمت عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ بيدي فأدارني حتى أقامني عن يمينه.

ثم جاء جبار بن صخر فتوضأ، ثم جاء فقام عن يسار رسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ بيدينا جميعًا فدفعنا، حتى أقامنا خلفه فجعل رسول الله ﷺ يرمقني وأنا لا أشعر، ثم فطنت به فقال هكذا بيده يعنى شد وسطك، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**يا جابر**». قلت لبيك يا رسول الله. قال: «**إذا كان واسعًا فخالف بين طرفيه، وإذا كان ضيقًا فاشدده على حقوك**».

ثم سرنا مع رسول الله ﷺ، وكان قوت كل رجل منا في كل يوم تمرة، فكان يمصها ثم يصرها في ثوبه، وكنا نختبط بقسينا ونأكل، حتى قرحت أشداقنا، فأقسم أخطأها رجل منا يومًا فانطلقنا به ننعشه، فشهدنا أنه لم يعطها فأعطيها فقام فأخذها.

ثم سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديًا أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ، فلم ير شيئًا يستتر به، فإذا شجرتان بشاطيء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «**انقادي عليَّ بإذن الله**». فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي

يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله». فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما - يعني جمعهما - فقال: **«التئما عليَّ بإذن الله»**. فالتأمتا، قال جابر فخرجت أحضر، مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي، فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا، وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة، فقال برأسه يمينًا وشمالا - ثم أقبل فلما انتهى إلي قال: **«يا جابر هل رأيت مقامي»**. قلت: نعم يا رسول الله. قال: **«فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنًا فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنًا عن يمينك وغصنًا عن يسارك»**.

قال جابر فقمت فأخذت حجرًا فكسرته وحسرته، فانذلق لي فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنًا، ثم أقبلت أجرهما، حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلت غصنًا عن يميني وغصنًا عن يساري، ثم لحقته فقلت قد فعلت يا رسول الله فعم ذاك؟ قال **«إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين»**.

قال فأتينا العسكر فقال رسول الله ﷺ: **«يا جابر ناد بوضوء»**. فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء قال: قلت: يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب له على حمارة

من جريد [١] قال فقال لي: «**انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء**».

قال فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه.

فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه، قال: «**اذهب فأتني به**». فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدرى ما هو، ويغمزه بيديه ثم أعطانيه، فقال: «**يا جابر ناد بجفنة**». فقلت: يا جفنة الركب. فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال رسول الله ﷺ: بيده في الجفنة هكذا فبسطها، وفرق بين أصابعه، ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: «**خذ يا جابر فصب عليَّ، وقل باسم الله**». فصببت عليه، وقلت باسم الله. فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال: «**يا جابر ناد من كان له حاجة بماء**». قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى.

وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع فقال: «**عسى الله أن يطعمكم**»[٢].

وهذه الغزوة والتي قبلها لم يلق أحدًا، وإنما ترك أثرًا، وهو زرع الهيبة في قلوب المشركين من قريش وغيرها.

---

(١) الشجب سقاء قد أخلق وبلي وصار شنًا، والحمارة أعواد تعلق عليها أسقية الماء.

(٢) صحيح مسلم ٧٧٠٥.

غزوة سفوان بدر الأولى ٢/٤هـ:

وقتها: في شهر ربيع الثاني من السنة الثانية (١).

مكانها: بلغ واديًا قرب بدر يقال له سفوان.

الهدف: أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، وكان يرعى بالجماء ونواحيها، ونهب بعض المواشي فخرج رسول الله ﷺ في طلبه.

عدد المسلمين: سبعين رجلاً.

أحداثها: بلغ رسول الله ﷺ واديًا يقال له: سفوان من ناحية بدر، ولكنه لم يدرك كرزًا وأصحابه، فرجع من دون حرب، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى.

واستخلف في هذه الغزوة على المدينة زيد بن حارثة.

الراية: حمل اللواء علي بن أبي طالب، وكان اللواء أبيضًا(٢).

---

(١) الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣م.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٦٤)والسيرة النبوية (٣/ ١٤٦) وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (ص: ٣١٩) ودلائل النبوة ـ للبيهقي (٣/ ١٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ١٦).

غزوة العشيرة العسيرة ٢٨/ ٥/ ٢هـ:

وقتها: في جمادى الأولى، وجمادى الآخرة سنة ٢ هـ [(١)]:

مكانها: ذا العشيرة كانت قرية عامرة بأسفل ينبع النخل، ثم صارت محطة للحاج المصري هناك، و هي أول قرى ينبع النخل مما يلي الساحل [(٢)].

الهدف خرج فيها رسول الله ﷺ يعترض عيرًا لقريش، ذاهبة إلى الشام، وقد جاء الخبر بفصولها من مكة، فيها أموال لقريش

عدد المسلمين خمسين ومائة ويقال: في مائتين، من المهاجرين، ولم يكره أحدًا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرًا.

أحداثها:

سلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها: ذات الساق فصلى عندها. فثَمَّ مسجده ﷺ، وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه، فموضع أثافي البرمة معلوم هنالك واستقي له من ماء به يقال له المشترب، ثم ارتحل رسول الله ﷺ فترك الخلائق بيسار وسلك شعبة يقال لها: شعبة عبد الله، وذلك اسمها اليوم ثم صب لليسار حتى هبط يليل، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة، واستقى من بئر بالضبوعة ثم سلك الفرش فرش ملل، حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع.

---

(١) الموافق نوفمبر وديسمبر سنة ٦٢٣هـ.

(٢) المعالم الأثيرة في السنة و السيرة (ص: ١٦٦).

فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة وادع فيها بني مدلج ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا.

عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ، وأقام بها، رأينا أناسًا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان، هل لك أن نأتي هؤلاء، فننظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب، فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء، قال رسول الله ﷺ: **«ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين»**؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **«أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه»**، يعني قرنه، **حتى تبل منه هذه، يعني لحيته»** (١).

وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، فصارت سببًا لغزوة بدر الكبرى.

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

الراية: حمل اللواء حمزة بن عبدالمطلب(٢).

وفي هذه الغزوة وادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا (٣).

---

(١) مسند أحمد، ط. الرسالة: (٣٠/ ٢٥٦) ١٨٣٢١ وهو حسن.

(٢) انظر الروض الأنف (٣/ ٣٨) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٦١) والسيرة النبوية (٣/ ١٤٣) ودلائل النبوة ـ للبيهقي (٣/ ١٢).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٠).

سرية عبدالله بن جحش ٢٧ / ٢/٧هـ:

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش بن رئاب الاسدي في آخر رجب، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وهم أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محصن بن حرثان حليف بني أسد بن خزيمة، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدي، وواقد بن عبدالله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي حليف بني عدي أيضًا، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضًا، وسهل بن بيضاء الفهري، فهؤلاء سبعة ثامنهم أميرهم عبدالله بن جحش رضي الله عنهم.

وقال ابن إسحاق: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع. وكتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدًا.

فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم».

فلما نظر في الكتاب قال: سمعًا وطاعة. وأخبر أصحابه بما في الكتاب.

وقال: قد نهاني أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ.

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد، إنها الطاعة لرسول الله ﷺ والاستجابة لأمره، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه، ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة.

فمرت عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة المخزومي، وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبًا منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، وتشاور الصحابة فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن به منكم، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام.

فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان، وأفلت القوم نوفل بن عبدالله فأعجزهم.

وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالعير والأسرين، حتى قدموا على رسول الله ﷺ.

وقال عبدالله لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس، فعزله وقسم الباقي بين أصحابه، وذلك قبل أن ينزل الخمس.

قال: ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبدالله بن جحش، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: «**ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام**» فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أُسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال.

فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

وقالت يهود: تتفاءل بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبدالله.

عمرو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب. وواقد بن عبدالله: وقدت الحرب.

فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾.

قال الحافظ ابن كثير (إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم، والفتنة أكبر من القتل.

وقد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ الآية (البقرة، الآية: ٢١٧).

قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ: «**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا**»، يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان «فإنا نخشاكم عليهما.

فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم»، فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأما عثمان بن عبدالله فلحق بمكة فمات بها كافرًا.

قال ابن إسحاق: فلما تجلى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢١٨﴾ (البقرة، الآية: ٢١٨)
فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء.

وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين، وهذه أول غنيمة المسلمون وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون[١].

وعن سعد بن أبي وقاص أنه قال: فكان عبدالله بن جحش أول أمير في الإسلام. فيما رواه الامام أحمد[٢].

عن جندب بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ بعث رهطًا وبعث عليهم أبا عبيدة ابن الجراح، أو عبيدة بن الحارث، فلما ذهب بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فجلس، فبعث عليهم مكانه عبدالله بن جحش[٣].

قدوم عبدالله بن مسعود من الحبشة:

قدم عبدالله بن مسعود من الحبشة ففرح به النبي ﷺ وجاءه بأخبار مهاجرة الحبشة وآخى النبيّ ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ، وقيل بينه وبين أنس.

ولزم رسول اللهّ ﷺ وحمل نعليه، وهو صاحب النعلين والسواك و الوساد، وكان يكثر الدخول على النبيّ ﷺ..

حتى عده الصحابة من أهل بيت النبيّ ﷺ لما يرون من دخوله وخروجه على النبيّ ﷺ..[٤]

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٦٦) وعيون الأثر (١/ ٣٠٢) والاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ (١/ ٤٣).

(٢) مسند أحمد ١٥٣٩ وفيه ضعف.

(٣) أخرجه بن أبي حاتم، في التفسير(٢/ ٣٨٤) ٢٠٢٢.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٩٩).

أبو رافع رسولا لقريش:

عن أبي رافع، قال: بعثتني قريش إلى النبي ﷺ، قال: فلما رأيت النبي ﷺ وقع في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله لا أرجع إليهم، قال: «**إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد ارجع إليهم، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن، فارجع**»(١)

وأبو رافع القبطي مولى رسول الله ﷺ يقال اسمه إبراهيم وقد كان مولى العباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي ﷺ، وكان إسلامه قبل بدر ولم يشهدها وشهد أحدًا وما بعدها(٢).

تحويل القبلة ١٥ /٨/٢هـ:

صلى الرسول ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، أو ثمانية عشر، ثم صُرِف إلى الكعبة.

عن البراء قال: صلينا مع رسول الله ﷺ نحوَ بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، ثم صُرِفنا إلى الكعبة.

قال ابن كثير: الجمهور الأعظم: إنما صرفت في النصف من شعبان، على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة.(٣)

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٢٨٢) ٢٣٨٥٧ وهو صحيح.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ١٣٤).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٧٣).

عن البراء أن النبي ﷺ: كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك[1].

عن ابن عمر قال بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة. وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.[2]

وأنزل الله الآيات من سورة البقرة، ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا

(١) صحيح البخاري٤٠، ٣٩٠، ٤٢١٦، ٤٢٢٢، ٦٨٢٥و صحيح مسلم ٥٢٥.

(٢) صحيح البخاري٣٩٥و صحيح مسلم ١٢٠٦.

كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ (البقرة، الآيات: ١٤٢-١٥٠).

قال الحافظ ابن كثير (كان ﷺ يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة، التي هي قبلة إبراهيم، عليه السلام، فأجيب إلى ذلك، وأمر بالتوجه إلى البيت

العتيق، فخطب رسول الله ﷺ الناس، وأعلمهم بذلك. وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر، وأما أهل قباء، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني.

ولما وقع هذا حصل لبعض الناس - من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود -ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، وحيثما تولوا فثم وجه الله، و﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ (البقرة، الآية: ١٧٧) أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصريفه وخدامه، حيثما وجهنا توجهنا، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم، خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل، عليه السلام، ولهذا قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة، الآية: ١٤٢)[١].

وعن عائشة، قالت: قال النبي ﷺ، في اليهود، «**إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين**»[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ت السلامة (١/ ٤٥٤).

(٢) مسند أحمد ٢٥٠٢٩ وهو صحيح.

قال البراء:وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة، الآية: ١٤٣)[١].

تعديل المسجد بعد تحويل القبلة

تم تعديل المسجد النبوي فجعلت الصفة هي المسجد، والمسجد هو الصفة فقد كان بناء المسجد أوله قد ظلل للصلاة ومؤخره قد ظلل لأهل الصفة، فتغير الأمر لتحويل القبلة

قال الحافظ الذهبي: إن القبلة قبل أن تحوّل كانت في شمالي المسجد، فلما حوّلت القبلة بقي حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة[٢].

النبي ﷺ يسهو في الصلاة:

عن أبي هريرة قال صلى النبي ﷺ الظهر أو العصر فسها في ركعتين وانصرف فقال له ذو الشمالين بن عبد عمرو وكان حليفًا لبني زهرة أخففت الصلاة أونسيت؟ فقال النبي ﷺ ما يقول ذو اليدين فقالوا صدق يا نبي الله فأتم بهم الركعتين اللتين نقص) قال الزهري وكان ذلك قبل بدر ثم استحكمت الأمور بعد[٣].

(١) صحيح البخاري ـ ٤٤٨٦.

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (٢/ ٤٨).

(٣) مسند أحمد ٧٦٦٦ من طريق عبد الرزاق ٣٤٤١ و إسناده صحيح وهو من مرسل صحابي لأن ذا الشمالين قتل في بدر

وذو الشّمالين اسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعيّ قتل ببدرٍ.

فشرع السجود للسهو في الصلاة جبرًا لها وترغيمًا للشيطان، فالإنسان يعتريه النسيان، فكان سجود السهو، مراعاة لفطرة الإنسان التي فطر عليها.

تحريم الكلام في الصلاة:

عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنه قال: (كنا نرد السلام في الصلاة حتى نهينا عن ذلك) [1].

وعن ابن مسعود: (كنا نتكلم في الصلاة، ونأمر بالحاجة، فقدمت على النبي ﷺ من الحبشة وهو يصلي، فسلمت عليه، فلم يرد عليَّ، فأخذني ما قدم وما حدث، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قلت: يا رسول الله ﷺ، نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة) [2].

وعن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة، الآية: ٢٣٨) فأمرنا بالسكوت.

ففي الصلاة شغلا عن كلام المخلوقين، وتفرغًا بما شرع فيها من القراءة والأذكار والدعاء.

صحيح ابن حبان ٢٦٨٥.

(١) شرح معاني الآثار (١/ ٤٥١) ٢٤٠٦.

(٢) مسند أحمد ٤١٤٥ وهو حسن.

قريش تهدد عبدة الأوثان في المدينة:

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر إنكم آويتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدهم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم**» فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا [1] وهذا من شجاعته عليه الصلاة والسلام وحسن تدبيره، وتصريفه للأمور.

زيارة سعد بن عبادة:

عن قيس بن سعد، قال: أتانا النبي ﷺ، فوضعنا له غسلا، فاغتسل، ثم أتيناه بملحفة ورسية، فاشتمل بها، فكأني أنظر إلى أثر الورس على عكنه، ثم أتيناه بحمار ليركب، فقال: «**صاحب الحمار أحق بصدر حماره**» فقلنا: يا رسول الله، فالحمار لك [2].

وهذا من تواضعه – عليه الصلاة والسلام – وتبسطه مع أصحابه، قبوله هداياهم.

---

(١) سنن أبي داود٣٠٠٤ وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٢٦٢) ٢٣٨٤٤.

عمرة سعد بن معاذ وإخباره بمقتل أمية:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن سعد بن معاذ كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انطلق سعد معتمرًا، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت فخرج به قريبًا من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا، وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم؟ أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد، ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لمنعتك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي، فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**»، قال: بمكة؟ قال: لا أدري ففزع لذلك أمية فزعًا شديدًا، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني، فو الله لأشترين أجود بعير بمكة ثم قال أمية: يا أم

صفوان، جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل، ببدر[1].

وفي حديث آخر.. فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنًا، وقد آويتم محمدًا وأصحابه؟ فقال: نعم فتلاحيا بينهما فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك وجعل يمسكه، فغضب سعد، فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدًا ﷺ يزعم أنه قاتلك قال: إياي؟ قال: نعم قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدًا يزعم أنه قاتلي قالت: فو الله ما يكذب محمد قال: فلما خرجوا إلى بدر، وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يومًا أو يومين، فسار معهم فقتله الله[2].

---

(١) صحيح البخاري ٣٩٥٠.

(٢) صحيح البخاري٣٦٣٢.

الرسول يعلم الصحابة حرمة الجار:

عن المقداد بن الأسود، يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا**»؟ قالوا: حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، قال: فقال: «**ما تقولون في السرقة**»؟ قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من جاره**»[1].

نزول فرض رمضان:

فرض صيام رمضان كصيام الذين من قبلنا، وكان على التخيير من شاء صام ومن شاء أفطر، و أطعم وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ (البقرة، الآيتان: ١٨٣، ١٨٤).

عن ابن عمر، قال أنزلت: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ (البقرة، الآية: ١٨٣)كتب عليهم إذا صلى أحدهم العتمة ونام حرم الله عليه الطعام والشراب والنساء إلى مثلها.[2]

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٢٧٧) ٢٣٨٥٤ وهو صحيح.

(٢)تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٤٦١) ١٦٥١ وتفسير ابن كثير ت السلامة (١/ ٤٩٧).

المسلمون يتراءون الهلال:

عن ابن عمر قال: تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه. (١)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين(٢).

أول رمضان يصومه المسلمون:

في السنة الثانية من الهجرة صام المسلمون رمضان امتثالا لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ، وصام رسول الله ﷺ، ونسخ وجوب صيام عاشوراء بصوم رمضان، دخل رمضان والرسول ﷺ يخطط للخروج لاعتراض قافلة قريش، ويعد العدة للخروج، فقد جاء الخبر برجوع أبي سفيان من الشام، وهي القافلة التي فاتتهم عند خروجها من مكة في غزوة العشيرة.

المسلمون في الحبشة لم يبلغهم فرضية الصيام:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما فرض شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، لم يبلغ الخبر إلى من كان بأرض الحبشة من المسلمين، حتى فات ذلك الشهر ولم يأمرهم بإعادة الصيام(٣).

---

(١) سنن أبي داود ٢٣٤٢ وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري١٩٠٧.

(٣) الفتاوى الكبرى (٢/ ١٨).

غزوة بدر الكبرى:

١ - بعث العيون على عير قريش.

لما تحين رسول الله ﷺ فصول عير قريش من الشام بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتحسبان خبر العير فخرجا حتى بلغا الحوراء فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت بهما العير، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد إليه فندب أصحابه وخرج يريد العير، فساحلت العير وأسرعت وساروا الليل والنهار فرقا من الطلب، وخرج طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يريدان المدينة ليخبرا رسول الله، ﷺ خبر العير ولم يعلما بخروجه فقدما المدينة في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله، ﷺ، النفير من قريش ببدر، فخرجا من المدينة يعترضان رسول الله، ﷺ، فلقياه بتربان فيما بين ملل والسيالة على المحجة منصرفا من بدر، فلم يشهد طلحة وسعيد الوقعة، فضرب لهما رسول الله، ﷺ بسهامهما وأجورهما في بدر فكانا كمن شهدها[1].

وعن أنس بن مالك قال بعث رسول الله ﷺ بُسَيْسة [2] عينًا ينظر ما صنعت عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله ﷺ، قال لا أدرى ما استثنى بعض نسائه قال فحدثه الحديث قال فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: «**إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا**». فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة فقال: «**لا إلا من كان ظهره حاضرًا**»[3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢١٦)

(٢) قال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٣٥٨) ٨١٠- بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة بن الخزرج ويجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له، والآخر لقبًا.

(٣)صحيح مسلم٥٠٢٤.

وعن أبي أيوب الأنصاري، يقول: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قبل هذا العير؟ لعل الله يغنمناها، فقلنا: نعم، فخرج وخرجنا(١).

فخرج رسول الله ﷺ يريد العير (٢).

٢-خروجه ﷺ من المدينة ١٢/ ٩/ ٢هـ:

خرج ﷺ يوم الأحد لثنتي عشرة خلت من رمضان، (٣).

٣-عدد المسلمين: ثلاثمائة وخمسة. وقيل ثلاثمائة وتسعة عشر وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر.

وخرجت الأنصار، ولم تكن قبل ذلك خرجت، وكان المهاجرون منهم أربعة وسبعين رجلا.(٤)

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر، على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة"(٥).

وفي حديث البراء «وكان المهاجرون يوم بدر نيفًا على ستين، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين»(٦).

وعن عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا(٧).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣٩٥٠ وقال الهيثمي إسناده حسن.

(٢) صحيح البخاري٣٩٥١.

(٣) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٩٧).

(٤) انظر الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٩٨) والطبقات ٢/ ١٢.

(٥) صحيح البخاري ٣٩٥٨.

(٦) صحيح البخاري ٣٩٥٦.

(٧) صحيح مسلم ٤٦٨٧.

وعند ابن جرير من حديث ابن عباس أن أهل بدر كانوا ثلاثمائة وستة رجال.

وقد بين ذلك ابن سعد، فقال إنهم كانوا ثلاثمائة وخمسة، وكأنه لم يعد فيهم رسول الله ﷺ، وبين وجه الجمع بأن ثمانية أنفس عدوا في أهل بدر، ولم يشهدوها، وإنما ضرب لهم رسول الله ﷺ معهم بسهامهم لكونهم تخلفوا لضرورات لهم[1].

من ضرب له بسهم ولم يحضر بدراً:

١- طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه

٢- سعيد بن زيد رضي الله عنه وقد خرجا بأمر الرسول ﷺ بالإتيان بخبر العير كما سبق.

٣- حسيل بن جابر والد حذيفة ويلقب باليمان رضي الله عنه.

٤- حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

فعن حذيفة بن اليمان قال ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل قال فأخذنا كفار قريش قالوا إنكم تريدون محمدًا، فقلنا ما نريده ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال «**انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**»[2].

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٩٢).

(٢) صحيح مسلم ٤٧٤٠

٥- عثمان بن عفان ﵁:

عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: إنما تغيب عثمان عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له النبي ﷺ إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه[1].

٦- أبو لبابة بن عبدالمنذر ﵁ استعمله النبي ﷺ على المدينة رده من الطريق.

٧- أبو أمامة بن ثعلبة ﵁ أقامه النبي ﷺ على أمه، وكانت مريضة.

٨- الحارث بن الصمة ﵁ كسر في الطريق لما سقط فرده النبي ﷺ.

٩- عاصم بن عدي ﵁ استخلفه النبي ﷺ على أهل قباء

فعن عاصم بن عدي، أن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج إلى بدر، خلف عاصم بن عدي على قباء، وأهل العالية لشيء بلغه عنهم، فضرب له بسهم، وأجره فكان ممن شهدها[2].

١٠- خوات بن جبير ﵁ أصاب ساقه حجر فكسر فرده الرسول ﷺ.

١١- سعد بن مالك بن خالد الساعديّ ﵁ والد سهل بن سعد.

قال الواقديّ: حدثنا أبيّ بن عباس بن سهل عن أبيه عن جدّه، قال: تجهّز

---

(١) صحيح البخاري ٣١٣٠

(٢) المستدرك ٤٠٥ (٣/ ٤١٩) ٥٧٧٠.

سعد بن مالك ليخرج إلى بدر، فمرض فمات، فضرب له رسول اللهَّ ﷺ بسهمه وأجره.

فكتب وصيته في آخر رحله، وأوصى للنبيّ ﷺ برحله وراحلته.»[١].

١٢- صبيح مولى أبي أحيحة سعيد بن العاص رضي الله عنه تجهز يريد الخروج إلى بدر، فاشتكى، فتخلف وحمل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ثم شهد صبيح بعد ذلك أحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[٢].

١٣- الحارث بن حاطب الأنصاريّ الأوسيّ رضي الله عنه:

عن عبد الله بن مكنف قال: «رد رسول الله الحارث بن حاطب من الروحاء حين توجه إلى بدر إلى بني عمرو بن عوف في شيء أمره به، وضرب له بسهمه وأجره فكان كمن شهدها»[٣].

من حضروا ولم يقاتلوا:

١- أنس بن مالك رضي الله عنه قال محمّد بن عبد اللهَّ الأنصاريّ. خرج أنس مع رسول اللهَّ ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه. أخبرني أبي، عن مولى لأنس- أنه قال لأنس: أشهدت بدرًا؟ قال: وأين أغيب عن بدر، لا أمّ لك! قلت: وإنما لم يذكروه في البدريين، لأنه لم يكن في سنّ من يقاتل[٤].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٦٥).

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٤/ ١١٨)و الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٢٧).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٦٦٤) والطبقات الكبرى ط دار صادر (٣/ ٤٦١)

(٤) المستدرك (٣/ ٦٦٣) ٦٤٤٦ ونسبه الحافظ لأحمد وصححه في فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٩٢) و انظر الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٧٦).

٢- جابر بن عبدالله ﷺ.

عن جابر ﷺأنه قال: كنت أمتح لأصحابي يوم بدر من القليب [١].

عن جابر قال كنت أميح أصحابي الماء يوم بدر [٢].

حضرها للخدمة لا للقتال. وعليه يحمل حديثه لم أشهد بدرًا ولا أحدًا أي للقتال [٣].

٣-حارثة بن سراقة ﷺ.

حارثة بن الربيع الأنصاري قتل يوم بدر وهو حارثة بن سراقة كان في النظارة [٤]

وعن أنس ﷺ يقول: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع فقال: «**ويحك أو هبلت، أو جنة واحدة هي إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس** »[٥].

وعن أنس قال: انطلق حارثة ابن عمتي نظارًا يوم بدر، ما انطلق لقتال فأصابه سهم فقتله فجاءت عمتي أمه إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله ابني

---

(١) المستدرك (٣/ ٦٥٣) ٦٤٠٠.

(٢)سنن أبي داود٢٧٣٣ وهو صحيح.

(٣) صحيح مسلم ٤٧٩٧.

(٤) صحيح البخاري ـ (٥/ ١١١).

(٥) صحيح البخاري٣٧٦١ -٦٥٥٠.

حارثة إن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإلا فسترى ما أصنع فقال النبي ﷺ يا أم حارثة إنها جنان كثيرة، وإن حارثة في الفردوس الأعلى(١).

وعن أنس، أن حارثة ابن الربيع جاء يوم بدر نظارًا، وكان غلامًا، فجاء سهم غَرب، فوقع في ثغرة نحره، فقتله، فجاءت أمه الربيع، فقالت: يا رسول الله، قد علمت مكان حارثة مني، فإن كان من أهل الجنة فسأصبر، وإلا فسيرى الله ما أصنع، قال: فقال: «يا أم حارثة، إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنان كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى»(٢).

٤-حرص الصحابة على الخروج للجهاد.

أخرج الحاكم عن سليمان بن بلال ﷺ: «أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر، أراد سعد بن خثيمة وأبوه جميعًا الخروج معه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أن يخرج أحدهما فاستهما. فقال خثيمة بن الحارث لابنه سعد ﷺ: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم فأقم مع نسائك. فقال سعد: لو كان غير الجنة لآثرتك به إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر. فقتله عمرو ابن عبد ود " ثم قتل خثيمة من العام المقبل يوم أحد (٣).

وأخرج الطبراني عن ابن عمر «أن عمر ﷺ قال يوم أحد لأخيه (٤): خذ درعي يا أخي ! قال: أريد من الشهادة مثل الذي تريد، فتركاها جميعًا» (٥).

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٥/ ٦٥) ٨٢٣٢ وهو صحيح.

(٢) مسند أحمد ١٣٨٧١ وهو صحيح.

(٣) المستدرك (٣/ ٢٠٩) ٤٨٦٦ وسنن سعيد بن منصور (٢/ ٢١٥) ٢٥٥٨و الجهاد لابن المبارك ١/ ٧: برقم٧٩.

(٤) وهو زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي أسن من عمر، وأسلم قبله واستشهد قبله في اليمامة رضي الله عنهم.الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٦٠٤) ٢٨٩٩.

(٥) المعجم الأوسط (٥/ ٢٧٥) ٥٣٠٠ وحلية الأولياء (١/ ٣٦٧) قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.

أحداث الغزوة:

المكان: بدر وهي بئر، سميت ببدر بن الحارث حافرها، وقيل: بدر بن كلدة، وقيل: لاستدارتها، وقيل: لصفائها ورؤية البدر فيها[1].

اليوم الأول: ١٢/٩/٢هـ:

خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من رمضان يريد عير قريش.

نزوله بئر أبي عنبة:

ضرب النبي ﷺ عسكره في بئر أبي عنبة، وهي على ميل جنوب المدينة، فعرض أصحابه ورد الصغار منهم. فردّ عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعمير بن أبي وقاص، فقال: ارجع، فبكى فأجازه، فقتل ببدر هو ابن ست عشرة سنة[2].

واستعمل رسول اللهَّ ﷺ على المشاة وهم في السّاقة قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول، وأمره أن يعدّ المسلمين، فوقف لهم عند بئر أبي عنبة فعدهم ثم أخبر النبي ﷺ.

وكان عددهم خمسة وثلاثمائة رجل، من المهاجرين أربعة وستون، وباقيهم من الأنصار. وقيل كان المهاجرون نيفًا وثمانين، وكانت الأنصار نيفا وأربعين ومائتين[3] وارتحلوا .

---

(١) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ١٩٧) فتح الباري ٧/ ٣٣٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٢٣) وانظر البخاري برقم ٣٩٥٦ والمسند ١٨٦٣٣ والمستدرك للحاكم برقم ٤٩١٦.

(٣) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٢٠٢).

دعائه للمدينة:

لما ارتحل النبي صلى الله عليه دعا يومئذ لأهل المدينة فقال: «اللهمّ، إنّ إبراهيم عبدك، وخليلك، ونبيك دعاك لأهل مكة، وإنّي محمّد عبدك ونبيك؛ أدعوك لأهل المدينة: أن تبارك لهم في صاعهم، ومدّهم، وثمارهم، اللهمّ وحبّب إلينا المدينة، واجعل ما بها من الوباء بخمّ، اللهمّ؛ إنّي حرّمت ما بين لابتيها كما حرّم إبراهيم خليلك مكة»[1].

وعن علي بن أبي طالب، أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بوضوء**» فلما توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبر، ثم قال: «**اللهم إن إبراهيم كان عبدك، وخليلك، دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك، أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم، مثلي ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين**»[2].

وقدم على رسول الله ﷺ عدي بن أبي الزغباء، وبسبسة بن عمرو من بيوت السقيا. قالوا: وجاء عبد الله بن عمرو بن حرام إلى رسول الله ﷺ يومئذ، فقال: يا رسول الله، لقد سرني منزلك هذا، وعرضك فيه أصحابك، وتفاءلت به، إن هذا منزلنا- بني سلمة- حيث كان بيننا وبين أهل حسيكة ما كان- حسيكة الذباب،

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ٣١٢) ٢٢٦٣٠ وهو صحيح.

(٢) مسند أحمد ٩٣٦ وسنن الترمذي ٣٩١٤ وهو صحيح وهو في مسند أحمد عن أبي قتادة٢٢٦٣٠ وقد سبق.

والذباب جبل بناحية المدينة، كان بحسيكة يهود، وكان لهم بها منازل كثيرة- فعرضنا ها هنا أصحابنا، فأجزنا من كان يطيق السلاح ورددنا من صغر عن حمل السلاح، ثم سرنا إلى يهود حسيكة، وهم أعز يهود كانوا يومئذ، فقتلناهم كيف شئنا، فذلت لنا سائر يهود إلى اليوم، وأنا أرجوا يا رسول الله أن نلتقي نحن وقريش، فيقر الله عينك منهم.

وكان خلاد بن عمرو بن الجموح يقول: لما كان من النهار رجع إلى أهله بخربى، فقال له أبوه عمرو بن الجموح: ما ظننت إلا أنكم قد سرتم! فقال: إن رسول الله ﷺ يعرض الناس بالبقع. قال عمرو: نعم الفأل، والله إني لأرجو أن تغنموا وأن تظفروا بمشركي قريش! إن هذا منزلنا يوم سرنا إلى حسيكة. قال: فإن رسول الله ﷺ قد غير اسمه، وسماه السقيا(١).

قال رسول الله ﷺ حين فصل من بيوت السقيا: اللهم، إنهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك(٢).

وعن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه، قال لرسول الله ﷺ جئت لأتبعك وأصيب معك قال له رسول الله ﷺ: «**تؤمن بالله ورسوله**». قال: لا، قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**». قالت ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ٢٢).

(٢) سنن أبي داود٢٧٤٩ من حديث عبدالله بن عمرو وحسنه الألباني.

مرة فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**». قال ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة «**تؤمن بالله ورسوله**». قال نعم. فقال له رسول الله ﷺ: «**فانطلق**»[١].

وهذا من النبي ﷺ ترغيبًا له في الإسلام وحثًا له عليه، ولم يكن في حاجة إلى رجل مشرك، وهو أول مشهد شهده ﷺ مع المشركين.

خرج رسول الله ﷺ من بيوت السقيا حتى سلك بطن العقيق، ثم سلك طريق المكيمن حتى خرج على بطحاء ابن أزهر، فنزل تحت شجرة هناك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى حجار، فبنى تحتها مسجدًا، فصلى فيه رسول الله ﷺ. وأصبح يوم الاثنين وهو هناك، وأصبح ببطن ملل وتربان، بين الحفيرة وملل[٢].

اليوم الثاني الاثنين ١٣/٩/٢هـ:

قال سعد بن أبي وقاص: لما كان بتربان قال لي رسول الله ﷺ: يا سعد، انظر إلى الظبي. قال: فأفوق له بسهم، وقام رسول الله ﷺ، فوضع ذقنه بين منكبي وأذني، ثم قال: ارم، اللهم سدد رميته [٣]، قال: فما أخطأ سهمي عن نحره. قال: فتبسم النبي ﷺ. قال: وخرجت أعدو، فأجده وبه رمق، فذكيته فحملناه حتى نزلنا قريبًا، فأمر به رسول الله ﷺ فقسم بين أصحابه.

ودفع اللّواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض، وبين يدي رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم٤٨٠٣.

(٢) مغازي الواقدي (١/ ٢٦).

(٣) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٢/ ٧)١٠٠٧ وقال الضياء اسناده صحيح.

رايتان سوداوان: إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها: العقاب، وكان سنّه إذ ذاك عشرين سنة، وكانت الأخرى مع بعض الأنصار.

وقال ابن سعد: كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب ابن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ[1].

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعرق الظّبية لقوا رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبرًا، فقالوا له: سلّم على رسول الله ﷺ، فقال: أوفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، فسلّم عليه، ثم قال: إن كنت رسول الله ﷺ فأخبرني عمّا في بطن ناقتي هذه، فقال سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك، قد نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة. فقال رسول الله ﷺ: «**مه، أفحشت على الرجل**»، ثم أعرض عن سلمة.[2]وهذا من طيب تعامله عليه الصلاة والسلام، وكراهته للفحش بالقول، فلم يكن فاحشًا ولا متفحشًا.

إرساله طلائع للجيش:

وأرسل بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني طلائع أمامه، فانطلق بسبس وعدي، حتى نزلا بدرًا فأخذا شنًا لهما يستقيان فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمعا جاريتين على الماء تطالب إحداهما الأخرى بدرهم لها عليها، فقالت لها: إنما العير غدًا أو بعد غد، فأعمل لهم ثم أقضيك، قال

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٢٤).

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٢٥) وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٢، ومغازي الواقدي ٢/ ٤٦.

مجدي: صدقت، ثم خلص بينهما، فلما سمع بسبس وعدي ذلك انطلقا إلى النبي ﷺ، حتى لقياه بعرق الظبية فأخبراه الخبر.

ونزل رسول الله ﷺ سجسج وهي بئر الرّوحاء، ورد أبا لبابة واليًا على المدينة.

ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف [1] ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النّازية، يريد بدرًا، فسلك في ناحية فيها حتى إذا جزع واديًا يقال له: الرّحقان بين النّازية وبين مضيق الصّفراء، ثم على المضيق، ثم انصبّ منه.

وارتحل رسول الله ﷺ، فلما استقبل الصّفراء- وهي قرية بين جبلين- سأل عن جبليها: ما اسماهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما: مسلح، وقالوا للآخر: مخريء، وسأل عن أهلها فقيل: بنو النّار وبنو حراق، بطنان من بني غفار، فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما، فتركهما رسول الله ﷺ والصفراء بيسار، وسلك ذات اليمين على واد يقال له: ذفران، وخرج منه ثم نزل، وأتاه الخبر بمسير قريش، ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس [2].

اليوم الثالث الثلاثاء ١٤/٩/٢هـ:

الاستشارة لأصحابه:

عن أنس قال: «لما سار رسول الله ﷺ إلى بدر خرج فاستشار الناس، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر، فسكت»، فقال رجل من

---

(١) المنصرف: بالضم وفتح الراء، بلدة عامرة تبعد عن المدينة مسافة ٨١ كم وتسمى الآن المسيجيد.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦١) وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٢٥).

الأنصار: إنما يريدكم فقالوا: يا رسول الله، والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ (المائدة، الآية: ٢٤)، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك[1].

وروى ابن إسحاق بسنده الصحيح إلى ابن عباس: «وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن. ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (المائدة، الآية: ٢٤) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله خيرًا، ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل.

---

(١) مسند أحمد١٢٠٢٢ وهو صحيح.

قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»[1].

و عن أنس أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال إيانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا - قال فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه.، فيقول ما لي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف. فإذا قال ذلك ضربوه فقال نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان. فإذا تركوه فسألوه فقال ما لي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وأمية بن خلف في الناس. فإذا قال هذا أيضًا ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلي فلما رأى ذلك

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ١/ ٦١٤ من رواية ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، وأخرجه الطبري في تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١/ ٤٢)والبيهقي في دلائل النبوة: ٣/ ٣٢ وإسناده حسن وكلام المقداد في صحيح البخاري ٣٩٥٢ وانظر صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط (١١/ ٢٣) ٤٧٢١.

انصرف قال: «والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم». قال فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان». قال ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا قال فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[1].

وفي رواية (..ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، فنزل القرآن على قول سعد ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله إليه القتال[2].

وفي اليوم الثاني من وصول بَسْبَس وعدي ماء بدر، تقدم أبو سفيان العير حذرًا حتى ورد الماء فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدًا؟ فقال: ما رأيت أحدًا أنكره إلا أني رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيان مُناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب، فرجع إلى أصحابه مسرعًا، وحول اتجاه القافلة نحو الساحل غربًا، تاركاً بدرًا على يساره، حتى إذا اجتاز المنطقة، أيقن أنه أفلت من قبضة المسلمين، فأرسل قيس بن امرئ القيس إلى قريش يخبرهم بنجاة العير ويأمرهم بالرجوع[3]

---

(١) صحيح مسلم ٤٧٢١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٣) ٣٦٦٦٠ وهو مرسل(فتح الباري ٧/٢٨٨).

(٣) الطبقات لابن سعد ٢/ ١٣.

اليوم الرابع الأربعاء ١٥/٩/٢هـ:

تابع النبي ﷺ سيره من ذفران إلى بدر فسلك على ثنايا الأصافِر ثم انحط منها إلى الدَّبَّة وترك كثيب الحَنَّان على يمينه[١] ثم نزل قريبًا من بدر، وركب رسول الله ﷺ هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه لاستكشاف المكان، حتى وقف على شيخ من العرب فسأله النبي ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما، فقال رسول الله ﷺ، إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أو ذاك بذاك؟ قال: نعم: قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به المسلمون، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش، ثم قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم رجع إلى أصحابه، والشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟[٢].

إرسال الصحابة لتلمس الأخبار:

في مساء هذا اليوم بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص في نفر من الصحابة إلى ماء بدر يلتمسون له أخبار العدو، فوجدوا على الماء غلمانًا يستقون الماء لقريش فأخذوا اثنين منهما وفر الباقون، فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالا: نحن سقاة قريش، فكره القوم ذلك

(١) وهو كثيب من الرمل عظيم كالجبل، يقع عند العدوة الدنيا، ولا يزال معروفًا بهذا الاسم.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤، ومغازي الواقدي ١/ ٥٠، وعيون الأثر ١/ ٢٤٨.

ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما حتى اضطر الغلامان أن يقولا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، ولما فرغ النبي ﷺ من صلاته قال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموها، صدقًا والله إنهما لقريش، ثم سألهما النبي ﷺ عن قريش قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي بالعدوة القصوى، فقال لهما النبي ﷺ: كم القوم؟ قالا: كثير، قال: وما عدتهم؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، فقال رسول الله ﷺ: القوم فيما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش: قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف وغيرهم، فقال رسول الله ﷺ: هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها(١).

هذا هو التفاؤل، وحسن الظن بالله، واليقين بوعد الله، والفطنة والذكاء، حيث علم عدد القوم بما ينحرون من الإبل.

وفي تلك الليلة أنزل الله عز وجل مطرًا كان على المسلمين رحمةً طَهَّرَهم به، ولبد لهم الأرض، وربط به على قلوبهم، وكان على المشركين وابلاً شديدًا أعاقهم عن التقدم(٢).

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾(الأنفال، الآية: ١١).

---

(١) انظر صحيح مسلم٤٧٢١. والمسند لأحمد ١٣٢٩٦.

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٦٢٠).

اليوم الخامس ١٦/ ٩/ ٢هـ:

في هذا اليوم تقدم النبي ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل على ماء بدر

عن علي قال: سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها[١]

وبعد أن استقر المسلمون في ذلك المكان، قال سعد بن معاذ: يا نبي الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ونُعدُ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير، وبنى المسلمون عريشًا من جريد[٢] .

ومشى الرسول ﷺ مع أصحابه إلى ساحة المعركة، وجعل يضع يده على الأرض ويقول: **هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان**، قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ[٣].

وبات النبي ﷺ تلك الليلة قائمًا يصلي إلى جذع شجرة، يدعو ويبكي حتى أصبح، وغشي الصحابة النعاس أمنة منه سبحانه، وأخذوا من الراحة قسطهم.

---

(١) مسند أحمد ٩٤٨ وإسناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٤٨٧٧ والطبقات لابن سعد ٢/ ١٥.

(٣) صحيح مسلم ٤٧٢١ عن أنس.

عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر، قال: نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاث مائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مد يديه، وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: **«اللهم أين ما وعدتني؟ اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، فلا تعبد في الأرض أبدًا»** قال: فما زال يستغيث ربه عز وجل، ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ (الأنفال، الآية: ٩)(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ، وهو في قبة اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ (القمر، الآيتان: ٤٥، ٤٦)(٢).

تأييد الله نبيه بالملائكة:

أيد الله رسوله ﷺ بالملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ (الأنفال، الآيتان: ٩، ١٠).

---

(١) مسند أحمد ٢٠٨ وهو صحيح.

(٢) صحيح البخاري ٢٩١٥.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»(١).

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأنفال، الآية: ١٢).

وعن علي، قال: «قيل لعلي، ولأبي بكر يوم بدر: مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال - أو قال: يشهد الصف»(٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ (آل عمران، الآيات: ١٢٣-١٢٧).

فقد أمدهم بألف، ثم بثلاثة آلاف، ثم بخمسة آلالف.

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف(٣).

وكانت على الزبير ريطة صفراء معتجرًا بها يوم بدر، فقال النبي ﷺ: «**إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير**»(٤).

---

(١) صحيح البخاري ٣٩٩٥.

(٢) مسند أحمد ١٢٥٧ وهو صحيح.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١١٢)..

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ١٦٠) ٢٤٧٥٣ والمعجم الكبير للطبراني (١/ ٢١٩) ٥١٩ والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٠٣).

فضل أهل بدر من المسلمين والملائكة:

عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر- قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها- قال وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة».[١]

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة**» وفي حديث آخر: «**فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٢].

أمر قريش لما سمعت بخروج النبي ﷺ:

كان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان خوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان: أن محمدًا استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك. فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشًا فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة[٣].

(١) صحيح البخاري ٣٩٩٢.

(٢) صحيح البخاري ٦٢٥٩-٤٨٩٠.

(٣) ذكره ابن هشام من طريق ابن إسحاق: ٢/ ٦٠٦ - ٦٠٧، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث. فالحديث صحيح.

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب:

قال ابن إسحاق عن عروة بن الزبير قال: «رأت عاتكة بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضمضم الغفاري مكة بثلاث ليال، رؤيًا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيًا أفظعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عني ما أحدثك به، فقال لها: وما رأيت؟

قالت: رأيت راكبًا أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يالغُدُر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها، ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا دخلتها منها فلقه، قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنت فاكتميها، ولا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان له صديقًا، فذكرها له، واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة، ففشا الحديث بمكة، حتى تحدثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا.

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد

المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبّية؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًّا ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: فو الله ما كان مني إليه كبير، إلا أني جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئًا قال: ثم تفرقنا.

فلما أمسيت، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غيرٌ لشيء مما سمعت!، قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير، و أيم الله لأتعرضن له، فإن عاد لأكفيَّنكُنَّه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه.

قال: فدخلت المسجد فرأيته، فو الله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلًا خفيفًا، حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر.

قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد. قال: فقلت في نفسي ما له لعنه الله! أكل هذا فرقٌ مني أن أشاتمه!

قال: وإذا هو قد سمع ما لم أسمع: صوت ضمضم بن عمرو الغفاري،

وهو يصرخ ببطن الوادي واقفًا على بعيره، قد جدع بعيره، وحول رحله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث: قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر"[1].

فتجهز الناس سراعًا، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن نكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمن غير ذلك. فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلا، وأوعبت قريش، فلما يتخلف من أشرافها أحد.

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه، فخرج عنه، وتخلف أبو لهب[2].

وفي البخاري (فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة ثم قال أمية: يا أم صفوان،

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة: ١/ ٦٠٧، وإسناده صحيح لكنه مرسل، واخرج الحاكم: ٣/ ١٩ عن ابن عباس رؤيا عاتكة وسنده ضعيف، ورواه الطبراني بإسنادين أحدهما مرسل، والآخر موصول لكن في سنده ابن لهيعة قال ابن حجر في الإصابة: ٤/ ٣٤٧ أورده ابن منده بسنده عن عاتكة بنت عبد المطلب وسنده ضعيف وهذه الطرق تقوى الحديث وتشده وترتقي به إلى درجة الحسن.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٤).

جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل، ببدر[1].

ولما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعًا[2].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ (الأنفال، الآية: ٤٨).

وبعث أبو سفيان إلى قريش أن الله قد نجا عيركم وأموالكم ورجالكم، فارجعوا وهم بالجحفة فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نأتي بدرًا، وكانت بدر سوقًا من أسواق العرب فنقيم بها ثلاثًا، فنطعم بها الطعام، وننحر بها الجزر، ونسقي بها الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدًا.

قال الأخنس بن شريق يا معشر بني زهرة إن الله قد نجا أموالكم ونجا صاحبكم فارجعوا. فأطاعوه فرجعت بنو زهرة فلم يشهدوها ولا بني عدي بن

(١) أخرجه البخاري ٣٩٥٠.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨٦).

كعب، فلم يشهد أحد منهم بدرًا واغتبطوا برأي الأخنس وتبركوا به، فلم يزل فيهم مطاعًا حتى مات[١].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ (الأنفال، الآية: ٤٧).

ولما كانوا في الجحفة عشاء يتروون من الماء، وفيهم رجل من بني المطلب بن عبد مناف يقال له جهيم بن الصلت بن مخرمة، فوضع جهيم رأسه فأغفى، ثم فزع فقال لأصحابه: هل رأيتم الفارس الذي وقف عليَّ آنفًا فقالوا لا، فإنك مجنون. فقال قد وقف عليَّ فارس آنفًا فقال: قتل أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وزمعة، وأبو البختري، وأمية بن خلف، فعد أشرافًا من كفار قريش، فقال له أصحابه: إنما لعب بك الشيطان[٢].

وأرادت بنو هاشم الرجوع فيمن رجع فاشتد عليهم أبو جهل بن هشام، وقال: والله لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع[٣].

ثم سارت قريش حتى نزلت العدوة القصوى من بدر. قال تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (الأنفال، الآية: ٤٢).

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٣).
(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٠٥).
(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٠٨).

ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان:

نام المسلمون وأُلقي على الناس أمنة ورحمة من الله، وبقي رسول الله ﷺ قائمًا يصلي ويدعو ويستغيث ربه.

عن علي، قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد «ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي، ويبكي، حتى أصبح»[١].

قال علي رضي الله عنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها، من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل، ويقول: «**اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد**» قال: فلما طلع الفجر نادى: «**الصلاة عباد الله**»، فجاء الناس من تحت الشجر، والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ، وحرض على القتال، ثم قال: «**إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل**»[٢].

تعبئة الجيش:

عبأ رسول الله ﷺ أصحابة، ليلة الجمعة، فعن ابن عباس عن عبد الرحمن بن عوف قال: عبأنا النبي ﷺ ببدر ليلا[٣].

فصفهم صفوفًا، فأصبحوا، وهم على صفوفهم[٤].

وعن أنس، قال: كنا مع عمر فأخذ يحدثنا عن أهل بدر، قال: إن كان

---

(١) مسند أحمد ١٠٢٣ وصحيح ابن حبان ٢٢٥٧ وصحيح ابن خزيمة٨٩٩.

(٢) مسند أخرجه أحمد٩٤٨ وهو صحيح.

(٣) سنن الترمذي ١٦٧٧ومسند البزار (٣/ ٢١٢) ٩٩٨ وهو ضعيف.

(٤) مغازي الواقدي (١/ ٨٨).

رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلان غدًا، إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدًا، إن شاء الله، قال: فجعلوا يصرعون عليها، قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أخطئوا تيك، كانوا يصرعون عليها»(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري، يقول: صففنا يوم بدر، فندرت منا نادرة أمام الصف، فنظر رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «معي معي».

وفي رواية فبدرت منا بادرة، وقال: صففنا يوم بدر(٢).

يوم الجمعة ٢/٩/١٧هـ يوم الفرقان:

صلى عليه الصلاة والسلام بأصحابه الصبح جماعة، وسوى صفوف أصحابه، وكان ﷺ يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري فقال: «يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني»، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استقد» قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد**»؟

قال يا رسول الله: "حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرًا" (٣).

وعن عبد الله بن جبير الخزاعي قال طعن رسول الله ﷺ رجلا في بطنه إما

---

(١) مسند أحمد ١٨٢ وهو حسن.

(٢) مسند أحمد ٢٣٥٦٧ وهو حسن.

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٩٥، وهو مرسل وسنده حسن ويشهد له ما بعده.

بقضيب وإما بسواك، قال أوجعتني فاقدني، فأعطاه العود الذي معه، فقال استقد فقبل بطنه ثم قال بل اعفوا عنك، لعلك أن تشفع لي بها يوم القيامة»[١].

ونهاهم عن البدء بالقتال إلا بإذنه فقال رسول الله ﷺ: **«لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا أؤذنه»**[٢].

مجيء قريش إلى موقع المعركة:

لما أقبلت ورآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل - وهو الكثيب -الذي جاءوا منه إلى الوادي قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بفخرها وخيلائها تحادك وتكذب رسولك، اللهم أحنهم الغداة»[٣].

وأرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزر لنا محمدًا وأصحابه، فصوب في الوادي وصعد ثم رجع فقال: لا مدد لهم ولا كمين، القوم ثلاثمائة إن زادوا زادوا قليلا، ومعهم سبعون بعيرًا وفرسان، يا معشر قريش، البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، أما ترونهم خرسًا لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي؟ والله ما أرى أن تقتل منهم رجلا حتى يقتل منا رجل، فإذا أصابوا منكم عددهم فما خير في العيش بعد ذلك، فروا رأيكم»[٤].

---

(١) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٣/ ٤١٧) ١١٥.

(٢)صحيح مسلم ٥٠٢٤و مسند أحمد ١٢٣٩٨.

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٦٢١) ومغازي الواقدي ١/ ٥٩وهو من رواية ابن اسحاق وهو منقطع.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٦) ودلائل النبوة ـ للبيهقي (٣/ ٦٤).

الاختلاف في قريش:

لما سمع حكيم بن حزام كلام عمير بن وهب، مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال: ياأبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو ابن الحضرمي. قال: قد فعلت أنت عليَّ بذلك، إنما هو حليفي فعليَّ عقله، وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية - والحنظلية أم أبي جهل - فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره، ثم قام عتبة بن ربيعة خطيبًا فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وأصحابه شيئًا، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه وابن خاله أو رجال من عشيرته، فارجعوا أو خلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوا فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون؟

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد نثل درعًا له من جرابها فهو يهيئها. فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا للذي قال؟ فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمدًا وأصحابه، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمَّد، وما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى أن محمد وأصحابه أكله جزور، وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال هذا يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فأنشد خفرتك ومقتل أخيك، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ: واعمراه واعمراه، فحميت الحرب

وحقب الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال: سيعلم مصفر أسته من انتفخ سحره أنا أم هو؟"[1].

وفي حديث علي رضي الله عنه (فلما دنا القوم منا وصاففناهم إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا علي ناد لي حمزة**»، وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم؟ " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر**» فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم، إني أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم، قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعبًا، فقال عتبة: إياي تعير يا مصفر استه؟ ستعلم اليوم أينا الجبان"[2].

بداية القتال:

عن أبي أسيد رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «**إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم**»[3].

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلا شرسًا سيء الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فلما خرج،

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٢٣).

(٢) مسند أحمد ٩٤٨ وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩٨٤.

خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن [١] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد زعم أن تبر يمينه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض [٢].

المبارزة:

خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى وصل الصف، ودعا إلى المبارزة.

فخرج إليه فتية من الأنصار وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث- وأمهما عفراء- وعبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله ﷺ قم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب، وقم حمزة، وقم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا من أنتم قال عبيدة عبيدة، وقال حمزة حمزة، وقال علي علي، قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي

---

(١) قطعها.

(٢) عيون الأثر (١/ ٢٩٧).

بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.(١)

وكان عبيدة أسن المسلمين يوم بدر، فهو أسن من النبي ﷺ بعشر سنين فقطعت رجله فوضع رسول الله ﷺ رأسه على ركبته فقال: يا رسول الله لو رآني أبو طالب لعلم أني أحق بقوله منه حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وعاد مع رسول الله ﷺ من بدر فتوفي بالصفراء

وقيل: إن النبي ﷺ لما نزل مع أصحابه بالنازية قال له أصحابه: إنا نجد ريح مسك!

فقال: وما يمنعكم وها هنا قبر أبي معاوية، وكان عمره حين قتل ثلاثًا وستين سنة، وكان مربوعًا حسن الوجه(٢).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وقال قيس بن عباد وفيهم أنزلت: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ (الحج، الآية: ١٩) قال هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة والوليد بن عتبة(٣).

وعن أبي ذر، رضي الله عنه قال نزلت: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ في ستة من قريش علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة(٤).

---

(١) عيون الأثر (١/ ٢٩٧) سيرة ابن هشام (٣/ ١٧٢) وانظر المسند ٩٤٨ وعند أبي داود ٢٦٦٥ أن عبيدة بارز الوليد بن عتبة وكذا عند الطبراني والمشهور في السير ما أثبتناه و ما رجحه الحافظ في الفتح ٨/ ٢٧.

(٢) أسد الغابة (ص: ٧٣٧) وانظر المستدرك (٣/ ٢٠٧)٤٨٦٢ وهو صحيح.

(٣) صحيح البخاري ٣٩٦٥.

(٤) صحيح البخاري ٣٩٦٦ وصحيح مسلم ٧٧٤٧.

وتأمل أسماء الستة المتبارزين يوم بدركيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لأحوالهم يومئذ فكان الكفار شيبة وعتبة والوليد ثلاثة أسماء من الضعف فالوليد له بداية الضعف وشيبة له نهاية الضعف كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم، الآية: ٥٤) وعتبة من العتب فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم وضعف ينالهم[١].

بداية القتال وتحريض الرسول ﷺ:

لما دنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**». قال يقول عمير بن الحمام الأنصارى يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض قال: «نعم». قال بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ**». قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال «**فإنك من أهلها**». فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتلهم حتى قتل[٢].

زحف المسلمون وزحفت قريش والتحم جند الله، مع جند الشيطان وكان أول من رمي مهجع.

ورمي حارثة بن سراقة وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتله[٣].

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٠٧).

(٢) صحيح مسلم ٥٠٢٤.

(٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٢/ ٢١).

وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلا من حطب فقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه هزه فعاد في يده سيفًا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ[١].

استفتاح أبي جهل بن هشام:

عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، أن أبا جهل قال: حين التقى القوم: «اللهم أقطعنا الرحم، وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة، فكان المستفتح »[٢].

وعن عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير العذري قال: كان المستفتح أبو جهل فإنه قال حين التقى القوم اللهم أينا كان اقطع للرحم و أتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ (الأنفال، الآية: ١٩) إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

الرسول يستغيث ويستنصر:

استقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه «**اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**». فمازال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة، فمازال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٢/ ٢١) والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ١٨٨).

(٢) مسند أحمد ٢٣٦٦١ وهو حسن.

(٣) المستدرك (٢/ ٣٥٧) ٣٢٦٤ وهو على شرط البخاري ومسلم.

فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه. وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ (الأنفال، الآية: ٩) فأمده الله بالملائكة[١].

وعن علي بن أبي طالب قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئًا من قتال ثم جئت مسرعًا لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل، فجئت فأجده وهو ساجد يقول: يا حي يا قيوم لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى القتال ثم جئت و هو ساجد يقول ذلك فلم يزل يقول ذلك، حتى فتح الله عليه[٢].

رمي المشركين بالحصباء:

عن حكيم بن حزام، قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ، فأخذ كفًا من الحصباء فاستقبلنا به، فرمانا بها، وقال: «**شاهت الوجوه**»، فانهزمنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال، الآية: ١٧)[٣][٤].

وعن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أن النبي ﷺ، قال لعلي: ناولني كفًا من حصباء فناوله فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[٥].

---

(١) صحيح مسلم ٤٦٨٧ومسند أحمد ط الرسالة (١/ ٣٣٤) ٢٠٨وسنن الترمذي٣٠٨١.

(٢) المستدرك (١/ ٣٤٤) ٨٠٩ ودلائل النبوة ـ للبيهقي (٣/ ٤٩) والسنن الكبرى للنسائي (٩/ ٢٢٦) ١٠٣٧٢.

(٣) الأنفال: ١٧.

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٣/ ٣٣٥، ٣٠٥٧ وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٣) ٨٩٠٨ قال الهيثمي وإسناده حسن.

(٥) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٤٨٢،)١١٥٨٥.

قتال الملائكة:

قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأنفال، الآية: ١٢).

عن يحيي ابن عباد أن الزبير كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرًا بها فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر[1].

عن الحسن في قوله: وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون قال: رأى جبريل معتجرًا بردائه يقود الفرس بين يدي أصحابه ما ركبه[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب[3].

وعن ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع.

فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة**»[4].

وعن أبي داود المازني، وكان شهد بدرًا، قال: «إني لأتبع رجلا من المشركين

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٥٥) ٤١١٣.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٦) ٩١٦٣.

(٣) صحيح البخاري ٣٩٩٥ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٥٤) ٣٦٦٦٧والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣٦) ١١٧٨٤.

(٤) صحيح مسلم ٤٦٨٧.

لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري»[١].

وعن أبي أمامة بن سهل قال: قال لي أبي يا بني لقد رأيتنا يوم بدر، وأن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه [٢].

وعن الربيع بن أنس قال كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به[٣].

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال رسول الله ﷺ ما يوم إبليس فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة مما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الأمور العظام إلا ما رأي يوم بدر قيل وما رأى يوم بدر قال إنه قد رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة[٤].

نهي النبي ﷺ عن قتل بني هاشم:

عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «**من استطعتم أن تأسروا من بني عبد المطلب، فإنهم خرجوا كرهًا**»[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: **أن** رسول الله ﷺ قال يوم بدر: من لقي منكم العباس فليكفف عنه فإنه خرج مستكرهًا[٦].

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ حين لقي المشركين يوم بدر قال: من لقي أحدًا من بني هاشم فلا يقتله فإنهم أخرجوا كرهًا[٧].

---

(١) مسند أحمد ٢٣٧٧٨ ويشهد له ما قبله وما بعده.

(٢) المستدرك (٣/ ٤٦٣) ٥٧٣٦ وهو صحيح على شرط البخاري.

(٣) دلائل النبوة ـ للبيهقي (٣/ ٥٦).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٣/ ٦٢١) ١٥٩٧ وعبد الرزاق (٤/ ٣٧٨) ٨١٢٥ وهو مرسل.

(٥) مسند أحمد ٦٧٦ و مسند البزار ٧٢٠ وهو صحيح.

(٦) المستدرك (٣/ ٢٤٧) ٤٩٨٨ وهو على شرط مسلم.

(٧) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ١١).

قتال النبي ﷺ:

عن علي، قال: " لما حضر البأس يوم بدر اتقينا برسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس، ما كان أولم يكن، وكان من أشد الناس بأساً يومئذ، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه[١].

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه [٢].

وعن علي، قال: لقد «رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا» [٣].

شجاعة الصحابة واستبسالهم في القتال:

قاتل أسد الله وأسد رسوله ﷺ حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه وفعل بالمشركين الأفاعيل وقد سأل عنه أمية بن خلف عبدالرحمن بن عوف من الرجل المعلم بريش النعام في صدره، فقال: ذاك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك فعل بنا الأفاعيل.[٤]

وكان سيف الزبير بن العوام فيه فلة فلها يوم بدر، وكان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف إحداهن في عاتقه، ضرب ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك[٥].

---

(١) مسند أحمد ١٠٤٢ وهو صحيح.

(٢) المستدرك (٢/ ١٥٥) ٢٦٣٣ وهو صحيح.

(٣)مسند أحمد ٦٥٤ وهو صحيح.

(٤) المستدرك برقم ٢٥٤٨ و السنن الكبرى للبيهقي. ٦٣٣٣و مسند البزار ١٠١٦.

(٥) صحيح البخاري٣٩٧٣.

قال الزبير لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه وهو يكنى أبو ذات الكرش فقال أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات وقال لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها قال عروة فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه [1].

وقاتل سعد بن أبي وقاص قتال الراجل والفارس [2].

وقيل لسعد بن أبي وقاص: متى أصبت الدعوة؟ قال: يوم بدر كنت أرمي بين يدي النبي ﷺ، فأضع السهم في كبد القوس، أقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وافعل بهم وافعل، فيقول النبي ﷺ: اللهم استجب لسعد [3].

وأبلى شباب الصحابة في القتال:

عن عبد الرحمن بن عوف قال بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل قلت نعم ما حاجتك إليه يا ابن أخي، قال أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده، حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا

---

(١) صحيح البخاري ٣٩٩٨.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٧٦) ١٠٠٠٤.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٣١٨ وفي سنن الترمذي ٣٧٥١ مختصرا وهو صحيح.

إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال أيكما قتله، قال كل واحد منهما أنا قتلته، فقال: هل مسحتما سيفيكما قالا لا، فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح وكانا معاذ ابن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح[١].

ورد رسول الله ﷺ يد خبيب بن يساف وقد ضرب يوم بدر على حبل العاتق فردها رسول الله ﷺ فلم ير منها إلا مثل خط[٢].

نهاية المعركة:

قتل من قتل من المشركين، وأُسر من أسر، وفر من فر، وتجلت المعركة عن هزيمة ساحقة للمشركين، ونصر وتمكين للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ (آل عمران، الآية: ١٢٣)

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الأنفال، الآية: ٢٦).

وقال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ (الأنفال، الآيتان: ١٧، ١٨).

---

(١) صحيح البخاري ٣١٤١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٠) ٣٢٣٦٥.

نتائج المعركة:

١ - استشهاد أربعة عشر من المؤمنين وهم:

١ - مهجع بن صالح: أصله من عك، فأصابه سباء فمنّ عليه عمر فأعتقه، وكان من السّابقين إلى الإسلام وهو مولى الفاروق عمر رضي الله عنه وهو أول من استشهد في الإسلام[١].

٢ - عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي يكنى أبا الحارث.

٣ - عمير بن أبي وقاص (مالك) بن أهيب بن عبد مناف: هو الأخ الأصغر لسعد بن أبي وقاص القرشي الزهري كان ابن ست عشرة سنة فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرده لصغر سنه فبكى، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم، فشهد بدرًا واستشهد فيها.

٤ - عاقل بن بكير بن عبد ياليل الليثي.

٥ - عمير بن عبد عمرو بن نضلة: يلقب بذي الشمالين ويكنى أبا محمد وهو حليف بني زهرة.

٦ - عوف بن عفراء الأنصاري النجاري. أمه عفراء وأبوه الحارث.

٧ - معوذ بن عفراء.

٨ - حارثة بن سراقة بن الحارث

٩ - يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك الأنصاري النجاري.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٨٢).

١٠ - رافع بن معلى بن لوذان الأنصاري.

١١ - عمير بن الحمام بن جموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي

١٢ - عمار بن زياد بن سكين بن رافع الأنصاري الأشهلي.

١٣ - سعد بن خيثمة الأنصاري الدوسي

١٤ - مبشر بن عبد المنذر بن الزبير بن زيد الأنصاري الأوسي.

قال ابن مسعود: أن الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر، تسرح في الجنة. قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك اطلاعة فقال: يا عبادي ماذا تشتهون؟ قالوا: يا ربنا ما فوق هذا شيء. قال فيقول: عبادي ماذا تشتهون؟ فيقولون في الرابعة: ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا[1].

وعن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، أنه سئل عن قوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ (آل عمران، الآية: ١٦٩) فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فأخبرنا أن أرواحهم في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فاطلع إليهم ربك اطلاعة، فقال: هل تستزيدون شيئًا فأزيدكم؟ قالوا ربنا: وما نستزيد ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا؟ ثم اطلع عليهم الثانية، فقال: هل تستزيدون شيئًا فأزيدكم؟ فلما رأوا أنهم لا يتركون قالوا: تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا، فنقتل في سبيلك مرة أخرى[2].

(١) المعجم الكبير للطبراني: ١٠٤٦٦ وهو صحيح.

(٢) سنن الترمذي ٣٠١١ وهو صحيح.

٢- قتل سبعين وأسر سبعين من المشركين.

عن البراء بن عازب ﷺ قال كان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرًا وسبعين قتيلا [١].

من قتل من المشركين يوم بدر.

قتل من كفار قريش ومن تبعهم سبعون رجلاً، فمن مشاهيرهم:

حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وكان من قتله: زيد بن حارثة ﷺ.

وعبيدة: بن سعيد بن العاصي، قتله الزبير ﷺ.

وأخوه: العاصي بن سعيد، قتلة عليّ ﷺ.

وعقبة بن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ﷺ صبرًا، وقيل: قتله عليّ ﷺ.

وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

وشيبة بن ربيعة.

والوليد بن عتبة.

والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف.

وابن عمه: طعيمة بن عدي، قتل صبرًا.

---

(١) صحيح البخاري ٣٩٨٦.

وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد.

وابنه: الحارث بن زمعة.

وأخوه: عقيل بن الأسود.

وابن عمه: أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

ونوفل بن خويلد بن أسد، قيل: قتله ابن أخيه الزبير، وقيل: علي

والنضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، ضربت عنقه صبرًا بالصفراء.

وعمير بن عثمان، عم طلحة بن عبيد الله.

وأبو جهل بن هشام، اشترك في قتله: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء؛ ووجده عبد الله بن مسعود وبه رمق، فحز رأسه.

وأخوه: العاص بن هشام.

وابن عمهما: مسعود بن أبي أمية بن المغيرة، أخو أم سلمة أم المؤمنين، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، أخو خالد بن الوليد.

وابن عمه: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة.

ومنبه بن الحجاج.

وابنه: العاص بن منبه بن الحجاج.

وأخوه: نبيه.

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح.

وابنه: علي بن أمية[1].

---

(١). جوامع السيرة ط العلمية (ص: ١١٧).

أسارى المشركين في بدر:

أسر مالك بن عبيد الله بن عثمان، أخو طلحة بن عبيد الله، فمات أسيرًا.

وحذيفة وهشام ابنا أبي حذيفة بن المغيرة.

وذكر أنه قتل وأسر من بني مخزوم وحلفائهم من المشركين يوم بدر أربعة وعشرين رجلا.

ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلا.

ومن مشاهيرهم ممن أسر يوم بدر، من بني هاشم:

العباس بن عبد المطلب.

و عقيل بن أبي طالب، أخو علي.

ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

ومن بني المطلب بن عبد مناف:

السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف

والنعمان ابن عمرو بن علقمة بن المطلب.

ومن بني عبد شمس:

عمرو بن أبي سفيان بن حرب.

والحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية.

وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، صهر رسول الله ﷺ، زوج ابنته زينب.

وخالد بن أسيد بن أبي العيص.

وأربعة حلفاء لهم.

ومن بني نوفل بن عبد مناف:

عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.

وعثمان بن عبد شمس بن جابر.

ومن بني عبد الدار:

أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، أخو مصعب بن عمير.

ومن بني أسد بن عبد العزى:

السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد.

والحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد.

ومن بني مخزوم:

خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

وصيفي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

وابن أخيه: عبد الله بن أبي المنذر بن أبي رفاعة.

والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم.

وخالد بن الأعلم الخزاعي، ويقال: عقيلي، حليف لهم

وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة.

والوليد بن الوليد، أخو خالد بن الوليد.
وعثمان بن عبد الله بن المغيرة.

وأبو عطاء: عبد الله بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.
ومن بني سهم:
أبو وداعة بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أول أسير فُدي.
ومن بني جمح:
عبد الله بن أبيّ بن خلف.
وأخوه: عمرو بن أبيّ.
وأبو عزة: عمرو بن عبد الله بن عمير بن أهيب بن حذافة بن جمح.
ومن بني عامر:
سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى.
وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود.
ومن بني أسد بن عبد العزى:
عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي[1].

الاختلاف في الغنائم ونزول سورة الأنفال:

عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال. فقال: "فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء" يقول: على السواء[2].

(١) جوامع السيرة ط العلمية (ص: ١١٧).
(٢) مسند أحمد ٢٢٧٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي١٢٤٩٤ وهو حسن.

وعن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب.

وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم.

وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: «لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله ﷺ، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾(الأنفال، الآية: ١).

فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين.

قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نفل الربع، وإذا أقبل راجعًا وكل الناس نفل الثلث، وكان يكره الأنفال ويقول: «ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم»[١].

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فأتيت به نبي الله ﷺ قال: «اذهب فاطرحه في القبض» قال: فرجعت و بي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي، وأخذ سلبي، قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب فخذ سيفك»[٢].

عن سعد بن مالك، قال: قال: يا رسول الله، قد شفاني الله اليوم من

---

(١) مسند أحمد ٢٢٧٦٢ و المستدرك (٢/ ١٤٧) ٢٦٠٧ وهو حسن.

(٢) مسند أحمد ١٥٥٦ وهو حسن.

المشركين، فهب لي هذا السيف. قال: «**إن هذا السيف ليس لك ولا لي ضعه**» قال: فوضعته. ثم رجعت، قلت: عسى أن يعطى هذا السيف اليوم من لم يبل بلائي، قال: إذا رجل يدعوني من ورائي قال: قلت: قد أنزل في شيء؟ قال: «كنت سألتني السيف، وليس هو لي، وإنه قد وهب لي، فهو لك» قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1].

يوم السبت ١٨/٩/٢هـ:

بقي الرسول الله ﷺ في بدر يوم السبت، بعد المعركة فدفن الشهداء، وتم جمع الغنيمة، وجمع الأسرى، والفرحة تملأ قلوب المؤمنين: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾(الروم، الآيتان: ٤، ٥).

عن أبي طلحة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال[2].

وأمر بإلقاء جثث المشركين في قليب من قلب بدر فعن أنس قال: أن نبي الله ﷺ، أمر ببضعة وعشرين رجلا من صناديد قريش، فألقوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث[3].

وكان يومهم هذا في فرحة وانتصار وشكر ودعاء على ما أتم الله به عليهم من النعمة واندحار عدوهم.

---

(١) مسند أحمد ١٥٣٨ وسنن الترمذي ٣٠٧٩وهو حسن.

(٢) صحيح البخاري٣٠٦٥.

(٣) مسند أحمد ١٢٤٧١ وهو صحيح.

يوم الأحد ١٩/٩/٢هـ:

أرسل رسول الله ﷺ البشارة بالنصر لأهل المدينة، فعن صالح بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من بدر بعث بشيرين إلى أهل المدينة بعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة و بعث عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية يبشرونهم بفتح الله على نبيه ﷺ فوافق زيد بن حارثة ابنه أسامة حين سوى التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ فقيل له: ذاك أبوك حين قدم قال أسامة: فجئت و هو واقف للناس يقول: قتل عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و أبو جهل بن هشام و نبيه و منبه و أمية بن خلف فقلت: يا أبت أحق هذا قال: نعم و الله يا بني[1].

ورواه البيهقي قال: بعث رسول الله ﷺ حين فرغ من بدر بشيرين إلى أهل المدينة زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة فلما بلغ ذلك كعب بن الأشرف فقال ويلك أحق هذا هؤلاء ملوك العرب وسادة الناس يعني قتلى قريش ثم خرج إلى مكة فجعل يبكي على قتلى قريش ويحرض على رسول الله ﷺ[2].

وعن أسامة بن زيد «أن النبي ﷺ خلف عثمان بن عفان، وأسامة بن زيد، على رقية بنت رسول الله ﷺ أيام بدر، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهيعة فخرجت فإذا زيد قد جاء

(١) المستدرك ٤٩٥٩.

(٢) السنن الكبرى ١٨٤١٠.

بالبشارة، فو الله ما صدقت حتى رأيت الأسارى، فضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه»[١].

قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يوم الأحد شدة الضحى، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة بالعقيق، فجعل عبد الله ينادي على راحلته: يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ، و قد قتل المشركين وأسرهم: قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وقتل زمعة بن الأسود، وأمية بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو.

وقال: عاصم بن عدي، فقمت إليه فنحوته فقلت: أحقًا ما تقول يا ابن رواحة؟ قال: إي والله، وغدًا يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين ثم تبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم دارًا دارًا والصبيان يشتدون معه يقولون قتل أبو جهل الفاسق حتى انتهى إلى بني أمية بن زيد.

وقدم زيد بن حارثة على ناقة النبي ﷺ القصواء يبشر أهل المدينة، فلما جاء المصلى صاح على راحلته: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وأبو البختري، وزمعة بن الأسود، وأمية بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو، وذو الأنياب في أسرى كثير، فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة، ويقولون: ما جاء زيد إلا فلاً[٢]. حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٣٠).

(٢) أي منهزم (القاموس ١/ ١٣٤٩-تاج العروس ٣٠/ ١٨٩).

وقدم زيد حين سووا على رقية بنت رسول الله ﷺ التراب بالبقيع فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد: قتل صاحبكم ومن معه.

وقال رجل من المنافقين لأبي لبابة بن عبد المنذر: قد تفرق أصحابكم تفرقًا لا يجتمعون منه أبدًا وقد قتل علية أصحابه وقتل محمد هذه ناقته نعرفها وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب وجاء فلاً.

قال أبو لبابة: يكذب الله تعالى قولك. وقالت اليهود ما جاء زيد إلا فلا، قال أسامة بن زيد: فجئت حتى خلوت بأبي فقلت يا أبة أحق ما تقول؟ قال إي والله حق يا بني. فقويت نفسي فرفعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين لنقدمنك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فليضرب عنقك[1].

الاثنين ٢٠/٩/٢هـ:

كان ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى، واتبعه أصحابه، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ قال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال النبي ﷺ: والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

وفي رواية: «**ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون**»[2].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٣١).

(٢) صحيح البخاري ٣٠٦٥.

أحياهم الله حتى يسمعوا كلام النبي ﷺ توبيخًا لهم وتقريعًا وحسرة عليهم.

ولعل المقصود بالإقامة ثلاثًا تبديلُ السيئات، وإذهابُها بالحسنات، وإظهارُ عزّ الإسلام في ملك الأرض، كأنه يضيفها بما يُوقعُه فيها من العبادات والأذكار لله، وإظهار شعائر المسلمين، وإذا تأملت البقاعَ، وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد [1].

قال المهلب حكمة الإقامة لإراحة الظهر والأنفس ولا يخفى أن محله إذا كان في أمن من عدو وطارق وقال ابن الجوزي إنما كان يقيم ليظهر تأثير الغلبة وتنفيذ الأحكام وقلة الاحتفال فكأنه يقول من كانت فيه قوة منكم فليرجع إلينا[2].

مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط:

لما كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب،، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط.

فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: «**النار**»[3]!.

قال الحافظ ابن كثير: كان هذان الرجلان من شر عباد الله، وأكثرهم كفرًا وعنادًا وبغيًا وحسدًا وهجاء للإسلام وأهله. لعنهما الله، وقد فعل!

---

(١) مصابيح الجامع (٦/ ٣٩٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٨١).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٧٣) وانظر سنن أبي داود (٢/ ٦٦) ٢٦٨٦ وهو صحيح.

قسمة الغنائم:

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم كانت تنزل من السماء نار فتأكلها فلما كان يوم بدر وقع الناس في الغنائم فأنزل الله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٦٨﴾ (الأنفال، الآية: ٦٨)»[1].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «أن نبيًا من الأنبياء غزا بأصحابه فقال: لا يتبعني رجل بنى دارًا لم يسكنها أو تزوج امرأة لم يدخل بها أوله حاجة في الرجوع قال: فلقي العدو عند غيبوبة الشمس فقال: اللهم إنها مأمورة وإني مأمور فاحبسها عليَّ حتى تقضي بيني وبينهم فحبس الله عليه ففتح الله له فجمعوا الغنائم فلم تأكلها النار وكانوا إذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار فأكلتها فقال لهم نبيهم: إن فيكم غلولا فليأتني من كل قبيلة رجل فليبايعني فأتوه فبايعوه فلزقت يد رجلين منهم بيده فقال: إنكما غللتما فقالا: أجل: صورة رأس بقرة من ذهب فجاءا بها فألقياها في الغنائم فبعث الله النار فأكلتها» فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمنا بها وتخفيفًا خففه عنا لما علم من ضعفنا»[2].

ولما جمعت الغنائم كان فيها إبل ومتاع وأنطاع وثياب فقسمها، فجعل

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٨٠٦ و سنن سعيد بن منصور (ص: ٤٤٢) و النسائي الكبرى (٦/ ٣٥٢) ١١٢٠٩ وهو على شرط البخاري ومسلم.

(٢) صحيح ابن حبان ٤٨٠٧ والنسائي الكبرى (٥/ ٢٧٧) ٨٨٧٨وإسناده صحيح على شرط البخاري.

يصيب الرجل البعير ورِثَّة [١] معه وآخر بعيران وآخر أنطاع.

وكانت السهمان على ثلاثمائة وسبعة عشر سهمًا، والرجال ثلاثمائة وثلاثة عشر والخيل فرسان لهما أربعة أسهم. وثمانية نفر لم يحضروا وضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم فكلهم مستحق في بدر ثلاثة من المهاجرين لا اختلاف فيهم: عثمان بن عفان: خلفه رسول الله ﷺ على ابنته رقية، وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان العير حتى بلغا الحوراء.

ومن الأنصار: أبو لبابة بن عبد المنذر، خلفه على المدينة، وعاصم بن عدي، خلفه على قباء وأهل العالية: والحارث بن حاطب، أمره بأمره في بني عمرو بن عوف: وخوات بن جبير، كسر بالروحاء ; والحارث بن الصمة كسر بالروحاء - فهؤلاء لا اختلاف فيهم.

وقد روي أن سعد بن عبادة ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره وقال حين فرغ من القتال ببدر: لئن لم يكن شهدها سعد بن عبادة، لقد كان فيها راغبًا.

وذلك أن سعد بن عبادة لما أخذ رسول الله ﷺ في الجهاد كان يأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج فنهش في بعض تلك الأماكن فمنعه ذلك من الخروج فضرب له بسهمه وأجره.

وضرب لسعد بن مالك الساعدي بسهمه وأجره وكان تجهز إلى بدر

---

(١) الرثة: متاع البيت.

فمرض بالمدينة فمات وأوصى إلى النبي ﷺ. وضرب لرجل من الأنصار، وضرب لرجل آخر.

وضرب لقتلى بدر، أربعة عشر رجلًا قتلوا ببدر.

وكانت الإبل التي أصابوا يومئذ مائة وخمسين بعيرًا، وكان معهم أدم كثير حملوه للتجارة فغنمه المسلمون يومئذ[١].

صفي النبي ﷺ من الغنيمة:

قد كان للنبي ﷺ من المغانم شيء يصطفيه لنفسه عبدًا أو أمة أو فرسًا أو سيفًا أو نحو ذلك[٢].

عن ابن عباس، قال: تنفل رسول الله ﷺ، سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، فقال: «رأيت في سيفي ذي الفقار فلاً، فأولته: فلا يكون فيكم، ورأيت أني مردف كبشًا، فأولته: كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة، فأولتها: المدينة، ورأيت بقرًا تذبح، فبقرٌ والله خير، فبقرٌ والله خير» فكان الذي قال رسول الله ﷺ [٣].

وعن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ قد كان أهدى جمل أبي جهل الذي كان استلب يوم بدر في رأسه برة من فضة، عام الحديبية في هديه» وقال في موضع آخر: «ليغيظ بذلك المشركين» [٤].

---

(١) مغازي الواقدي (١/ ١٠٠-١٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١).

(٣)مسند أحمد ٢٤٤٥ و سنن الترمذي ١٥٦١وهو حسن.

(٤) مسند أحمد ٢٣٦٢ وهو حسن.

استقبال النبي ﷺ وتهنئته بالنصر:

استقبل الناس النبي ﷺ يهنئونه بالروحاء بفتح الله تعالى عليه فلقيه وجوه الخزرج.

فلقيه أسيد بن الحضير فقال يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوًا، ولكن ظننت أنها العير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال رسول الله ﷺ صدقت»[1].

فقال سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذي تهنئوننا به؟ فو الله ما قتلنا إلا عجائز صلعًا.

فتبسم النبي ﷺ وقال: يا ابن أخي، أولئك الملأ، لو رأيتهم لهبتهم، ولو أمروك لأطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم.

فقال سلمة: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاعتذر إلى النبي ﷺ فقبل منه رسول الله ﷺ معذرته، فكان من علية أصحابه.

و لقيه أبو هند البياضي مولى فروة بن عمرو، ومعه حميت مملوء حيسًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما أبو هند رجل من الأنصار فأنكحوه! وأنكحوا إليه**»[2].

و لقيه عبد الله بن أنيس فقال: يا رسول الله، الحمد لله على سلامتك وما ظفرك.

كنت يا رسول الله ليالي خرجت موروداً -أي محمومًا-، فلم يفارقني حتى كان بالأمس فأقبلت إليك. فقال: آجرك الله![3].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٣٣).

(٢) مغازي الواقدي (١/ ١١٦).

(٣) مغازي الواقدي (١/ ١١٧) وفي سنن أبي داود (١/ ٦٣٩) ٢١٠٢عن أبي هريرة: أن أبا هند حجم النبي ﷺ في اليافوخ

الخبر يصل إلى قريش بالهزيمة:

قال موسى بن عقبة: ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن، وعقرت خيول كثيرة ورواحل.

وسمع أهل مكة هاتفًا من الجن يقول:

أزار الحنيفيون بدرًا وقيعة ... سينقض منها ركن كسرى وقيصرا

أبادت رجالا من لؤي وأبرزت ... خرائد يضربن الترائب حسرا

فيا ويح من أمسى عدو محمد ... لقد جار عن قصدي الهدى وتحيرا (1)

وقال ابن إسحاق رحمه الله: وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي فقالوا له: ما وراءك؟

قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية ابن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البحتري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسلوه عني؟

فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟

قال: هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا" (2).

وعن ابن عباس عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: كنت غلامًا للعباس بن عبد المطلب و كنت قد أسلمت و أسلمت أم الفضل و أسلم العباس و كان

فقال النبي ﷺ (يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وانكحوا إليه) وقال (وإن كان في شيء مما تداوون به خير فالحجامة). قال الألباني: حسن.

(1) البداية والنهاية، ط هجر (٥/ ١٩٦).

(2) ذكره ابن هشام في السيرة: ١/ ٦٠٦.

يكتم إسلامه مخافة قومه و كان أبو لهب قد تخلف عن بدر و بعث مكانه العاص بن هشام و كان له عليه دين فقال له: اكفني هذا الغزو واترك لك ما عليك ففعل فلما جاء الخبر و كبت الله أبا لهب و كنت رجلا ضعيفًا أنحت هذه الأقداح في حجرة فو الله إني لجالس في الحجرة أنحت أقداحي و عندي أم الفضل إذ الفاسق أبو لهب يجر رجليه أراه قال عند طنب الحجرة، وكان ظهره إلى ظهري فقال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث فقال أبو لهب: هلم إلي يا ابن أخي فجاء أبو سفيان حتى جلس فجاء الناس فقاموا عليهما فقال: يا ابن أخي كيف كان أمر الناس؟ فقال: لا شيء فو الله إن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا و يأسروننا كيف شاءوا و أيم الله ما لمت الناس قال و لم؟ قال: رأيت رجالًا بيضًا على خيل بلق لا و الله ما تليق شيئًا و لا يقوم لها شيء قال: فرفعت طنب الحجرة فقلت: و الله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي و ثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض حتى برك على صدري فقامت أم الفضل فاحتجزت و رفعت عمودًا من عمد الحجرة فضربته به فعلقت في رأسه شجة منكرة و قالت: يا عدو الله استضعفته إن رأيت سيده غائبًا عنه فقام ذليلا فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتله فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثة ما يدفنانه حتى أنتن فقال رجل من قريش لابنيه: ألا تستحيان إن أباكما قد أنتن في بيته فقال: إنا نخشى هذه القرحة و كانت قريش تتقي العدسة كما تتقي الطاعون فقال رجل: انطلقا فأنا معكما قال: فو الله ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد ثم احتملوه فقذفوه في أعلى مكة إلى جدار و قذفوا عليه الحجارة[1].

(١) مسند أحمد ٢٣٨٦٤ و المستدرك (٣/ ٣٦٣) ٥٤٠٣ وفيه ضعف وأخرج جزءا منه الطبراني والطبري.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا يبلغ محمدًا وأصحابه فيشمتوا بكم.

وهذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن البكاء على الميت مما يبل فؤاد الحزين[١].

قدومه ﷺ بالأسرى:

قدم بالأسرى ﷺ واستعمل عليهم شقران غلام النبي ﷺ.

وكان سهيل بن عمرو لما كان بشنوكة -شنوكة فيما بين السقيا وملل- مع مالك بن الدخشم الذي أسره فقال: خل سبيلي للغائط. فقام به، فقال سهيل: إني أحتشم فاستأخر عني! فأستأخر عنه، ومضى سهيل على وجهه، وانتزع يده من القران ومضى، فلما أبطأ سهيل على مالك أقبل فصاح في الناس، فخرجوا في طلبه.

وخرج النبي ﷺ في طلبه، فقال: من وجده فليقتله! فوجده رسول الله ﷺ قد دفن نفسه بين سمرات، فأمر به فربطت يداه إلى عنقه، ثم قرنه إلى راحلته، فلم يركب خطوة حتى قدم المدينة.

ولقي رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، ورسول الله على راحلته، فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه، وسهيل مجنوب، ويداه إلى عنقه، فلما نظر أسامة إلى سهيل قال: يا رسول الله، أبو يزيد! قال: نعم، هذا الذي كان يطعم بمكة الخبز[٢].

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة بالأسرى فرقهم بين أصحابه وقال: «**استوصوا بهم خيرًا**».

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٧٩).

(٢) مغازي الواقدي (١/ -١١٥١١٨).

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك.

قال أبو عزيز: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فأستحي فأردها فيردها علي ما يمسها![1].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما كان يوم بدر أتي بأسارى، وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي ﷺ له قميصًا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي ﷺ إياه فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه [2].

وعن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وقدم بالأسرى حين قدم بهم، وسودة بنت زمعة عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب. قالت سودة: فأتينا فقيل لنا: هؤلاء الأسرى قد أتي بهم. فخرجت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد مجموعة يداه إلى عنقه في ناحية البيت، فو الله إن ملكت حين رأيته مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت: أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم! ألا متم كرامًا؟ فو الله ما راعني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت:

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٧٥).

(٢) صحيح البخاري: ٣٠٠٨.

يا سودة، أعلى الله وعلى رسوله؟

فقلت: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق نبيًا ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت[1].

الاستشارة في الأسرى:

عن ابن عباس قال: لما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى**»؟ فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب**»؟ قلت لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان: «**نسيبًا لعمر**» فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر.

فلما كان من الغد قال عمر: جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله عز و جل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن

---

(١) انظر مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٤٧٦) ٣٧ والمعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٢٨٢-١٩٥٨٨) و سنن أبي داود ٢٦٨٠ وضعفه الألباني.

يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ (الأنفال، الآيات: ٦٧-٦٩) فأحل الله الغنيمة لهم[1].

قال ابن القيم: قول أبي بكر أرجح لاستقرار الأمر عليه وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولا ولموافقة الله له آخرًا حيث استقر الأمر على رأيه ولكمال نظر الصديق فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة.

وأما بكاء النبي ﷺ فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا ولم يرد ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وإن أراده بعض الصحابة فالفتنة كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة[2].

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد، الآية: ٤) النبي مخير بين القتل أو الفداء أو المن.

---

(١) صحيح مسلم ١٧٦٣و مسند أحمد ٢٠٨و صحيح ابن حبان (١١/ ١١٤) ٤٧٩٣.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٩٩).

الذين مَنَّ عليهم الرسول ﷺ:

من الأسارى الذين مَنَّ عليهم رسول الله ﷺ بغير فداء من بني أمية: أبو العاص بن الربيع، ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه.

وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ترك في أيدي أصحابه، فأخذوا عليه ليبعثن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم.

وأبو عزة عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح كان محتاجًا ذا بنات، قال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن علي، فمن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحدًا[1] .

الذين أخذ منهم الرسول ﷺ الفدية:

مقدار الفداء:

عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر أسر سبعون فجعل عليهم النبي ﷺ أربعين أوقية ذهبًا وجعل على عمه العباس مائة، وعلى عقيل ثمانين فقال العباس: أللقرابة صنعت بي هذا؟ والذي يحلف به العباس لقد تركتني فقير قريش مابقيت.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٤٨٥).

قال: كيف تكون فقير قريش وقد استودعت أم الفضل بنادق الذهب ثم أقبلت إليَّ وقلت لها: إن قتلت تركتك غنية ما بقيت وإن رجعت فلا يهمنك شيء؟ فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ما أخبرك بهذا إلا الله تعالى. فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1]

فقال حين نزلت: يا نبي الله لوددت أنك كنت أخذت مني أضعافها فآتاني الله خيرًا منه[2].

وعن ابن عباس، قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة» قال: فجاء غلام يومًا يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي قال: الخبيث، يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبدًا[3] وهذا من النبي ﷺ تشجيع على تعلم العلم والقراءة والكتابة

وعن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها. قالت: فلما

---

(١) الأنفال: ٧٠.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: ٤٧٦) ٤١٠.

(٣) مسند أحمد ٢٢١٦ وهو حسن.

رآها رسول الله ﷺ، رق لها رقة شديدة، وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها، فافعلوا** فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها»[1].

وشرط على أبي العاص أن يرسل له ابنته زينب رضي الله عنها.

وفي حديث المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ ذكر صهرًا له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه قال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي»[2].

فداء الأسرى سبب للإسلام:

عن محمد بن جبير عن أبيه وكان جاء في أسارى بدر قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور»[3].

وعن محمد بن جبير عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»[4].

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (الطور، الآيات: ٣٥-٣٧) قال كاد قلبي أن يطير»[5].

(١) مسند أحمد ٢٦٣٦٢ وهو حسن.
(٢) صحيح البخاري ٣١١٠.
(٣) صحيح البخاري ٢٨٨٥.
(٤) صحيح البخاري ٤٠٢٣.
(٥) صحيح البخاري ٤٨٥٤.

وعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيًا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له[1].

وهذا من وفاء النبي ﷺ وعدم نسيانه المعروف، والمطعم أجار النبي عليه الصلاة والسلام لما رجع من الطائف، فلم ينس ذلك الموقف.

عمير بن وهب يريد قتل النبي ﷺ:

قال موسى بن عقبة في «المغازي»، عن ابن شهاب: لما رجع كل المشركين إلى مكة، فأقبل عمير بن وهب حتى جلس إلى صفوان بن أمية في الحجر، فقال صفوان: قبّح اللهّ العيش بعد قتلى بدر، قال: أجل، واللهّ ما في العيش خير بعدهم، ولولا دين عليّ لا أجد له قضاء وعيال لا أدع لهم شيئًا، لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه، فإنّ لي عنده علة أعتلّ بها عليه، أقول: قدمت من أجل ابني هذا الأسير.

قال: ففرح صفوان، وقال له: عليّ دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة، لا يسعني شيء فأعجز عنهم. فاتفقا، وحمله صفوان وجهّزه، وأمر بسيف عمير فصقل وسمّ، وقال عمير لصفوان: اكتم خبري أيامًا، وقدم عمير المدينة، فنزل بباب المسجد، وعقل راحلته، وأخذ السيف، وعمد إلى رسول اللهّ ﷺ، فنظر إليه عمر وهو في نفر من الأنصار، ففزع ودخل إلى رسول اللهّ ﷺ فقال: يا رسول اللهّ، لا تأمنه على شيء. فقال: «**أدخله عليّ**»، فخرج عمر فأمر أصحابه أن يدخلوا إلى رسول اللهّ ﷺ ويحترسوا من عمير.

---

(١) صحيح البخاري ـ ٤٠٢٤.

وأقبل عمر وعمير حتى دخلا على رسول اللهَّ ﷺ ومع عمير سيفه، فقال رسول اللهَّ ﷺ لعمر: «تأخّر عنه». فلما دنا عمير قال: انعموا صباحًا- وهي تحية الجاهلية، فقال رسول اللهَّ ﷺ: «قد أكرمنا اللهَّ عن تحيّتك، وجعل تحيّتنا تحيّة أهل الجنّة وهو السّلام». فقال عمير: إن عهدك بها لحديث.

فقال رسول اللهَّ ﷺ: «**ما أقدمك يا عمير**»؟ قال: قدمت على أسيري عندكم، تفادونا في أسرانا، فإنكم العشيرة والأهل.

فقال: «**ما بال السّيف في عنقك**»؟

فقال: قبحها اللهَّ من سيوف! وهل أغنت عنا شيئًا؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت.

فقال رسول اللهَّ ﷺ: «**اصدقني، ما أقدمك يا عمير**»؟ قال: ما قدمت إلا في طلب أسيري.

قال: «**فماذا شرطت لصفوان في الحجر**»؟ ففزع عمير، وقال: ماذا شرطت له؟ قال: «**تحمّلت له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضي دينك، واللهَّ حائل بينك وبين ذلك**».

فقال عمير: أشهد أنك رسول اللهَّ، وأشهد أن لا إله إلا اللهَّ، كنّا يا رسول اللهَّ نكذّبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر كما قلت، لم يطلع عليه أحد، فأخبرك اللهَّ به، فالحمد للهَّ الّذي ساقني هذا المساق.

ففرح به المسلمون، وقال له رسول اللهَّ ﷺ: «**اجلس يا عمير نواسك**».

وقال لأصحابه: «**علّموا أخاكم القرآن**».

وأطلق له أسيره.

فقال عمير: ائذن لي يا رسول اللهَّ، فألحق بقريش، فأدعوهم إلى اللهَّ وإلى الإسلام، لعل اللهَّ أن يهديهم. فأذن له فلحق بمكة. وجعل صفوان يقول لقريش: أبشروا بفتح ينسيكم وقعة بدر. وجعل يسأل كلّ راكب قدم من المدينة: هل كان بها من حدث؟ حتى قدم عليهم رجل، فقال لهم: قد أسلم عمير، فلعنه المشركون، وقال صفوان: للهَّ عليّ ألّا أكلمه أبدًا، ولا أنفعه بشيء.

ثم قدم عمير، فدعاهم إلى الإسلام ونصحهم بجهده، فأسلم بسببه بشر كثير.[1]

المسلمون في الحبشة يفرحون بنصر الله في بدر:

أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان جالس على التراب.

قال: جعفر فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال فلما رأى ما في وجوهنا.

قال إني أبشركم بما يسركم إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي، فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه ﷺ وأهلك عدوه، وأسر فلان وفلان وفلان، وقتل فلان وفلان التقوا بواد يقال له بدر، كثير الأراك كأني أنظر إليه كنت أرعى به

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦٠٣) قال الحافظ ابن حجر هكذا ذكره أبو الأسود عن عروة مرسلا، وأورده ابن إسحاق في المغازي عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلا أيضا. وجاء من وجه آخر موصولا، أخرجه ابن مندة وأخرجه الطّبرانيّ، من طريق محمد بن سهل بن عسكر عن عبد الرزاق بسنده
انظر المعجم الكبير (١٧/ ٥٦) ١١٧.

لسيدي رجل من بني ضمرة إبله. فقال له جعفر ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق قال: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن حقًا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعًا عند ما أحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله عز وجل لي نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع».[1]

فرض الزكاة:

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمس وقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وقال جل شأنه: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ١٩﴾(الذاريات، الآية: ١٩) وقال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. وحج البيت من استطاع إليه سبيلا**» ويجب على المسلم إخراج الزكاة في ماله إذا توفرت الشروط.

وهي نصيب مقدر في مال معين، يصرف لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(التوبة، الآية: ١٠٣).

قتل عمير بن عدي ﷺ عصماء بنت مروان اليهودية ٢/٩/٢٥هـ:

في رمضان من السنة الثانية قتل عمير بن عدي ﷺ عصماء بنت مروان اليهودية بسبب أذاها للمسلمين.

فخرج عمير بن عدي ﷺ إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد،

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٣٤).

لخمس ليال بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهرًا من مهاجر رسول الله ﷺ وكانت عصماء عند يزيد بن زيد، وكانت تعيب الإسلام، وتؤذي النبي ﷺ وتحرض عليه، وتقول الشعر، فجاءها عمير بن عدي في جوف الليل، حتى دخل عليها بيتها، وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه في صدرها، فجسها بيده، وكان ضرير البصر، ونحى الصبي عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبي ﷺ بالمدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «**أقتلت ابنة مروان**»؟ قال: نعم، فهل علي في ذلك من شيء فقال: «**لا ينتطح فيها عنزان**» فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ وسمى رسول الله ﷺ عميرًا البصير[1].

فرض زكاة الفطر:

زكاة الفطر هي الزكاة التي تجب بالفطر من رمضان، وهي زكاة عن النفس، وقد أوجبها النبي ﷺ على كل مسلم صاعًا من الطعام.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة. [2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم

---

(١) انظر الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٧ - ٢٨، و السيرة ٢/ ٦٣٦ - ٦٣٨و الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٢٠٢) ومسند الشهاب (٢/ ٤٨) ٨٥٨. ومعنى: لا ينتطح فيها عنزان: أي لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها، فإنها هدر.

(٢) صحيح البخاري ١٥٠٣.

من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات[١].

المسلمون يتراءون هلال شوال:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له[٢].

وكان ﷺ يأمر الصحابة بترائي الهلال فإذا رأوه أفطروا، وإلا أكمل رمضان ثلاثين يومًا.

المسلمون في عيد الفطر:

في الأول من شوال من السنة الثانية خرج بهم رسول الله ﷺ إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد، وكان ذلك أول صلاة عيد صلاها رسول الله ﷺ خرج بهم المصلى.

عن أنس قال قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «**ما هذان اليومان**». قالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر**»[٣].

---

(١) سنن أبي داود ١٦١١ وهو حسن.

(٢) صحيح البخاري١٩٠٦.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١٩/ ٦٥) ١٢٠٠٦ وسنن أبي داود ١١٣٦ وهو صحيح.

وكان ﷺ يأمر المسلمين بالخروج إلى المصلى ليشهدوا دعوة المسلمين وبركة هذا اليوم وطهرته فعن أم عطية قالت: قال النبي ﷺ ليخرج العواتق ذوات الخدور، والحيّض ويعتزل الحيّض المصلى وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين)[1].

إنه عيد المسلمين ستر وخلق وفرح وعبادة وخشوع.

وعن أنس بن مالك قال: ما خرج رسول الله ﷺ يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا[2].

وعن جابر بن عبد الله، قال: سمعته يقول قام النبي ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة ثم خطب فلما فرغ نزل فأتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة[3].

عن عائشة، قالت: دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار، يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**»[4].

وتلك الجاريتين ممن هن دون البلوغ وليس الغناء عادة لهما، وغناؤهما بما هو من أشعار الحرب والمفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة، وهذا لا يهيج الجواري

(١) صحيح البخاري٩٨٠.

(٢) صحيح ابن حبان (٧/ ٥٣) ٢٨١٤ وهو حسن.

(٣) صحيح البخاري٩٧٨.

(٤) صحيح البخاري٩٤٩ و صحيح مسلم٨٩٢.

على شر، ولا إنشادهما لذلك من الغناء المحرم وإنما هو رفع الصوت بالإنشاد وليس من الغناء الذي فيه التشويق والهوى والتعريض بالفواحش والتشبيب بأهل الجمال وما يحرك النفوس ويبعث الهوى والغزل، فالغناء رقية الزنا وليس فيه تمطيط وتكسير وعمل يحرك الساكن ويبعث الكامن ولا ممن اتخذ ذلك صنعة وكسبًا والعرب تسمي الإنشاد غناء وليس هو من الغناء المحرم، ولذلك أقره الرسول ﷺ[1].

غزوة بني سليم (قرقرة الكدر):

وقتها: لما قدم رسول الله ﷺ من بدر أقام بقية رمضان ثم خرج في شوال من السنة الثانية.

مكانها: الكدر بضم الكاف، وسكون الدال وهي بالتحديد، إذا سرت من المدينة فكنت بين الصويدرة والحناكية تؤم القصيم، فهي على يمينك في ذلك الفضاء الواسع الذي يمتد إلى معدن بني سليم (مهد الذهب اليوم)[2].

سبب الغزوة: بلغه أن بني سليم وبني غطفان تحشد قواتها، فباغتهم النبي ﷺ في مائتي راكب في عقر دارهم، وبلغ إلى منازلهم في موضع يقال له: الكدر، ففر بنو سليم، وتركوا في الوادي خمسمائة بعير استولى عليها المسلمون».

فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم (٦/ ١٨٢).

(٢) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٦٢).

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم[١].

فكانت تلك الغزوة قطعًا لدابر المشركين الذين يجتمعون على حرب الإسلام، ولبث الرعب في قلوبهم.

قتل سالم بن عمير ﵁ أبا عفك اليهودي

في شوال من السنة الثانية: قتل سالم بن عمير ﵁ أبا عفك اليهودي لتحريضه على رسول الله ﷺ.

وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف شيخًا كبيرًا قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يهوديًا، وكان يحرض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر، فقال سالم بن عمير - وهو أحد البكائين وممن شهد بدرًا- عليَّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فأمهل يطلب له غرة، حتى كانت ليلة صائفة، فنام أبو عفك بالفناء، وسمع به سالم بن عمير، فأقبل فوضع السيف على كبده، ثم اعتمد عليه حتى دخل في الفراش، وصاح عدو الله، فثاب إليه ناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه.

فقالت أمامة المريدية في ذلك:

تكـــذب ديـــن الله والمـــرء أحمـــدا ... لعمر الـذي أمنـاك أن بـئس مـا يمنـي

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص: ١٣٩) وتهذيب سيرة ابن هشام (ص: ٢٣٧) والإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٢١٨).

حبــاك حنيــف آخــر الليــل طعنــة   أبـا عفـك خـذها عـلى كـبر السـن [١]

فقطع د ابر هذا اليهودي وكف شره عن المسلمين.

هجرة زينب رضي الله عنها:

أطلق النبي ﷺ أسر أبي العاص بن الربيع يوم بدر على أن يخلي سبيل زينب رضي الله عنها. فأرسل النبي ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ليأتيا بزينب رضي الله عنها، وقال لهما: «كونا ببطن يأجج [٢]، حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها» [٣].

فخرجا مكانهما، وذلك بعد بدر بشهر أو قريب منه، ولما قدم أبو العاص بن الربيع مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت تتجهز، فلقيتها هند بنت عتبة، فقالت: يا بنت محمد ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ فقالت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تضطني [٤] مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال، تقول زينب: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، ولكني خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهزت.

فلما فرغت من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها، بعيرًا

---

(١) انظر السيرة ٢/ ٦٣٥ - ٦٣٦ - وقد ذكرها آخر الكتاب دون تحديد لزمنها- والمغازي ١/ ١٧٤ - ١٧٥، والطبقات ٢/ ٢٨ والإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٢٢٠).

(٢) يأجج: اسم لمكانين: أحدهما على ثمانية أميال من مكة وثانيهما أبعد منه.

(٣) أخرجه أبو داود٢٦٩٤ وهو حسن.

(٤) فلا تستحيي.

فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهارًا، وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد، فروعها هبار بالرمح، وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملا فلما ريعت طرحت ذا بطنها وبرك حموها كنانة، ونثر كنانته، ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمًا، فتكركر الناس عنه.

وأتى أبو سفيان في جله من قريش، فقال: أيها الرجل، كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكف، فأقبل أبوسفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت وأن ذلك منا ضعف ووهن، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ومالنا في ذلك من ثؤرة، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها، فسلها سرًا وألحقها بأبيها. ففعل، فأقامت ليالي، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة [1].

وأما هبار بن الأسود فعن ابن أبي نجيح: أن هبار بن الأسود أصاب زينب

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٥١٦)وسيرة ابن هشام (٢/ ٢١٥)وعيون الأثر (١/ ٣١٤)وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٥) ٦٨٣٥ وقال هذا حديث فيه إرسال بين عبد الله بن أبي بكر وزينب رضي الله عنهم و لولاه لحكمت على شرط مسلم و قد روي بإسناد صحيح على شرط الشيخين مختصرا وهو في المعجم الكبير للطبراني (١٦/ ٢٨٢/ ١٨٤٨٣).

بنت رسول الله ﷺ بشيء وهي في خدرها فأسقطت، فبعث رسول الله ﷺ سرية فقال: إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب ثم أشعلوا فيه النار، ثم قال: إني لأستحيي من الله لا ينبغي لأحد أن يعذب بعذاب الله، وقال: إن وجدتموه فاقطعوا يده، ثم اقطعوا رجله، ثم اقطعوا يده، ثم اقطعوا رجله، فلم تصبه السرية وأصابته نقلة إلى المدينة، فأسلم فأتى النبي ﷺ فقيل له هذا هبار يسب ولا يسب، وكان رجلا سبابًا، فجاءه النبي ﷺ يمشي حتى وقف عليه، فقال: يا هبار سب من سبك، يا هبار سب من سبك).(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال بعثنا رسول الله ﷺ في بعث وقال لنا إن لقيتم فلانًا وفلانًا - لرجلين من قريش سماهما - فحرقوهما بالنار قال ثم أتيناه نودعه حين أردنا الخروج فقال إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا بالنار وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن أخذتموهما فاقتلوهما(٢).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إذا لقيتم هبار بن الأسود و نافع بن عبد القيس فحرقوهما بالنار**» ثم إن النبي ﷺ قال بعد ذلك: «**لا يعذب بها إلا الله ولكن إن لقيتموهما فاقتلوهما**» (٣).

وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كانت زينب بنت رسول الله ﷺ

---

(١) سنن الإمام سعيد بن منصور رقم ٢٦٤٦ ومصنف عبد الرزاق (٥/ ٢١٤) ٩٤١٧ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ٥٣٧٧ والمعجم الكبير للطبراني (١٦/ ٢٨٢) ١٨٤٨٣ مختصرا وقال البيهقي هذا منقطع.

(٢) صحيح البخاري ٢٩٥٤.

(٣) صحيح ابن حبان ٥٦١١ وهو صحيح.

أسن بناته و كانت سبب وفاتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله ﷺ أدركها هبار بن الأسود و رجل آخر فدفعها أحدهما فيما قيل فسقطت على صخرة فأسقطت حملها إذ كانت حاملة فأهراقت الدم فلم يزل بها وجعها حتى ماتت منها(١).

مولد السائب بن يزيد:

السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود بن أخت النمر، حليف لبني أمية أو بني عبد شمس. ولد في السنة الثانية من الهجرة حضر حجة الوداع مع أبيه ومات سنة ثمانين(٢).

غزوة بني قينقاع:

بنو قينقاع: إحدى القبائل اليهودية الشهيرة في المدينة، ومنهم الصحابي الجليل عبد الله بن سلام من ذرية يوسف النبي عليه السلام (٣).

سبب الغزوة:

ذكر أهل السير سببين لهذه الغزوة:

١- أن يهود بني قينقاع أظهروا الحسد والبغضاء حين انتصر المسلمون في بدر، وذلك من خلال تهديدهم للنبي ﷺ عندما دعاهم إلى الإسلام.

---

(١) المستدرك (٤/ ٤٨) ٦٨٣٩.

(٢) الاستيعاب (٥٧٦).

(٣) انظر: الإصابة ٢/ ٣٢٠ وفاء الوفاء ١/ ١٦٤.

عن ابن عباس أنه قال لما أصاب رسول الله قريشًا يوم بدر فقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال: «**يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم بمثل ما أصاب قريشًا**» فقالوا يا محمد: لا يغرنك من نفسك أنك قاتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لن تلق مثلنا فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (آل عمران، الآيتان: ١٢، ١٣) أصحاب رسول الله ببدر ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ إلى قوله ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[1].

٢- أن أحد يهود بني قينقاع عقد طرف ثوب امرأة مسلمة في سوقهم فلما قامت تكشفت فاستنجدت بالمسلمين فقتلوا اليهودي ووقع الشر بينهم[2].

وقتها ١٥/١٠/٢هـ:

في شوال من السنة الثانية من الهجرة[3].

وذكر الواقدي أنها كانت يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرًا، حاصرهم النبي ﷺ إلى هلال ذي القعدة.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي(٣/ ١٧٣).

(٢) انظر:سيرة ابن هشام ٢/ ٤٧- ٤٨، ومرويات يهود المدينة ٧٧ للسندي.

(٣) ذكره الطبري في تاريخه ٢/ ٤٧- ٤٨٠من طريق الواقدي عن الزهري مرسلاً، وانظر الطبقات ٢/ ٢٨.

قال عروة: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (الأنفال، الآية: ٥٨) فسار إليهم رسول الله ﷺ بهذه الآية.[1]

فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكمه عليه الصلاة والسلام، وأنّ له أموالهم ولهم النساء والذرية، فأمر بتكتيفهم، وألحّ ابن أبي عليه من أجلهم، فأمر بأن يحلّوا، فلحقوا بأذرعات، فما كان أقل بقاؤهم بها، وأخذ من حصنهم سلاحًا وآلة كثيرة[2].

وروى بن إسحاق في المغازي عن أبيه عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال لما حاربت بنو قينقاع قام بأمرهم عبد الله بن أبي فمشى عبادة بن الصامت وكان له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي فتبرأ عبادة منهم قال فنزلت: (﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ (المائدة، الآية: ٥١) إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ (المائدة، الآية: ٥٢) وكان عبد الله بن أبي لما سأل النبي ﷺ أن يمن عليهم قال يا محمد إنهم منعوني من الأسود والأحمر وإني امرؤ أخشى الدوائر فوهبهم له[3].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة[4].

---

(١) مغازي الواقدي ١/ ١٧٧.

(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٢٢٠).

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٣٢) والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٧) والسيرة النبوية (٣/ ٣١٥) ومغازي الواقدي (١/ ١٧٨).

(٤) صحيح البخاري٤٠٢٨ وصحيح مسلم ٤٦٩١.

مشروعية الصلاة على النبي ﷺ:

قال الحافظ أبو ذر الهروي في السنة الثانية من الهجرة.

جاء الأمر بالصلاة على النبي ﷺ وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ (الأحزاب، الآية: ٥٦)[١].

مولد المسور بن مخرمة:

المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري أبو عبد الرحمن. له صحبة. وأمه عاتكة بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف. ولد في السنة الثانية من الهجرة[٢].

وقدم المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان، وهو غلام أيفع ابن ست سنين.[٣].

مولد عمرو بن أبي سلمة:

عمرو بن أبي سلمة أبو حفص، ربيب رسول الله ﷺ من قبل أم سلمة لأنها أمه، و هو أيضًا ابن ابن عمته برّة بنت عبدالمطلب، و ابن ابن أخيه من الرضاعة، ولد في السنة الثانية من الهجرة، و قيل: كان له من العمر يوم قبض رسول الله ﷺ تسع سنين[٤].

---

(١) الأحزاب ٥٦.

(٢) أسد الغابة (ص: ١٠١٤) وعيون الأثر (٢/ ٣٦٦) والاستيعاب في معرفة الأصحاب - (٣/ ١٣٩٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٩٤).

(٤) أسد الغابة (ص: ٨٣٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٦٠) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٨٧).

زواج علي بفاطمة:

تزوج علي ﷺ فاطمة ﷺ وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة ونصف، وسنه يومئذ ﷺ إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر.

في صفر في السنة الثانية من الهجرة و بنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرًا .

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: خطب أبو بكر وعمر ﷺ فاطمة فقال رسول الله ﷺ إنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه [(١)].

وعن علي ﷺ قال: قالت لي مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قالت: فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ يزوجك؟ فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت إنك إن جئت رسول الله ﷺ يزوجك فو الله مازالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ وكانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة فلما قعدت بين يديه أفحمت فو الله ما أتكلم فقال: «**ما جاء بك ألك حاجة**»؟ فسكت فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة**» قلت: نعم، قال: «**وهل عندك من شيء تستحلها به**» قلت: لا والله يا رسول الله، فقال: «**ما فعلت الدرع التي سلحتكها**»؟ فقلت: عندي والذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعمائة درهم «**اذهب قد زوجتكها، وابعث بها إليها**»، فان كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ.[(٢)]

---

(١) سنن النسائي (٦/ ٦٢) ٣٢٢١ و المستدرك (٢/ ١٨١) ٢٧٠٥ وصحيح ابن حبان (١٥/ ٣٩٩) ٦٩٤٨ قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد.

(٢)السنن الكبرى ت:محمد عبد القادر عطا (٧/ ٢٣٤) ١٤١٢٩ وانظر مسند أحمد ٦٠٣ وسنن أبي داود ٢١٢٧ وسنن

وعن بريدة، قال: قال نفر لعلي ﵁: لو خطبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأتى النبي ﷺ، فقال: «**ما حاجتك يا علي**»؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: «**مرحبًا وأهلا**»، لم يزده عليها، فخرج علي ﵁ إلى أولئك الرهط وهم ينتظرونه، قالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري، غير أنه قال لي: «**مرحبًا وأهلا**»، قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ أعطاك الأهل، وأعطاك المرحب، قال: فلما بعد ما زوجه، قال: «**يا علي، إنه لا بد للعرس من وليمة**»، فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار، فلما كان ليلة البناء، قال: «**يا علي، لا تحدث شيئًا حتى تلقاني**»، فدعا النبي ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي ﵁ ثم قال: «**اللهم بارك فيهما، وبارك لهما في شبليهما**»[1].

وعن بريدة، قال: لما خطب علي فاطمة قال رسول الله ﷺ: «**إنه لا بد للعرس من وليمة**» قال: فقال سعد: عليَّ كبش، وقال فلان: علي كذا وكذا من ذرة[2].

اللهم صل على محمد وآله وسلم ما أرحمه وألطفه وأيسره، تيسير وشفقة ومحبة. هكذا يكون الزواج، ويكون التيسير، بنت خير خلق الله عليه الصلاة

النسائي (٦/ ١٢٩) ٣٣٧٥ وصحيح ابن حبان (١٥/ ٣٩٦) ٦٩٤٥. والحطمية: نسبة إلى بطن من عبد القيس، يقال لهم: حطمة بن محارب، كانوا يعملون الدروع.

(١) مسند البزار (١٠/ ٣٣٩) ٤٤٧١ و مشكل الآثار (١٥/ ٢٠١) ٥٩٤٧ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. (٩/ ١٤٦) رجاله رجال الصحيح غير عبد الكريم بن سليط ووثقه ابن حبان.

(٢) أخرجه أحمد٢٣٠٣٥ النسائي في الكبرى (٦/ ٧٢) ١٠٠٨٨ وهو حسن.

والسلام تتزوج بهذا التيسير، وهذا التعاون من الصحابة – رضي الله عنهم.

وعن علي قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفًا من الخمس فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلا صواغًا من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه الصواغين وأستعين به في وليمة عرسي فبينا أنا أجمع لشارفي متاعًا من الأقتاب والغرائر والحبال وشارفايَّ مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار رجعت حين جمعت ما جمعت فإذا شارفاي قد اجتب أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما، فقلت من فعل هذا فقالوا فعل حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار، فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي ﷺ في وجهي الذي لقيت فقال النبي ﷺ: **«ما لك»**؟ فقلت: يا رسول الله ما رأيت كاليوم قط عدا حمزة على ناقتي فأجب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب فدعا النبي ﷺ بردائه فارتدى ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن فأذنوا لهم فإذا هم شرب فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة قد ثمل محمرة عيناه فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ثم صعد النظر فنظر إلى ركبته ثم صعد النظر فنظر إلى سرته ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة هل أنتم إلا عبيد لأبي فعرف رسول الله

ﷺ أنه قد ثمل فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى وخرجنا معه[١].

لم يعنفه، ولم يغضب عليه، وإنما خرج وتركه لأن السكران لا يعقل ما يقول.

جهاز فاطمة رضي الله عنها:

لما زوج رسول الله ﷺ عليًّا فاطمة كان فيما جهزها به سرير مشروط (مشرطًا بالشرط) ووسادة من أدم (جلد) حشوها ليف، وتور من أدم (إناء يشرب فيه) وقربة[٢].

وعن علي، قال: "جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل، وقربة، ووسادة أدم حشوها ليف الإذخر "[٣].

قال علي رضي الله عنه لقد تزوجت فاطمة، وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار وما لي ولها خادم غيرها.. [٤].

وعن أبي جعفر قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها. فلما تزوج علي فاطمة قال لعلي: أطلب منزلا.

فطلب علي منزلا فأصابه مستأخرًا عن النبي ﷺ قليلا، فبنى بها فيه فجاء

(١) صحيح البخاري ٤٠٠٣.

(٢) صحيح ابن حبان (١٥/ ٣٩٨) ٦٩٤٧ وإسناده حسن.

(٣) مسند أحمد ٦٤٣ و الأحاديث المختارة (١/ ٢٦٣) ٤٦٦ وهو صحيح.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٢٢) ومسند أبي يعلى (١/ ٣٦٣) ٤٧١ ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٠١) ٣٤٥٠٣ بأخصر من هذا وفيه ضعف.

النبي ﷺ إليها فقال: إني أريد أن أحولك إلي، فقالت لرسول الله: فكلم حارثة بن نعمان أن يتحول عني، فقال رسول الله: قد تحول حارثة عنا قد استحيت منه.

فبلغ ذلك حارثة فتحول وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تحول فاطمة إليك وهذه منازلي وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع. فقال رسول الله: صدقت، بارك الله عليك، فحولها رسول الله إلى بيت حارثة[1].

هكذا يكون الولاء لله ولرسوله ﷺ، وهذه هي التضحية بالمال لابتغاء مرضاة الله ورسوله ﷺ.

وكان النبي ﷺ يُصبِّرهما فيصبران على قلة ذات اليد وعلى الفقر، ويعلمهما فيتعلمان العلم النافع، فلم ينسهما الفقر والحاجة تعلم العلم والعمل.

وكان رسول الله ﷺ يحبها ويكرمها، ويؤذيه ما يؤذيها، فقد كانت محبوبة رسول الله ﷺ، وكان يحل مشاكلهما الزوجية، ويزورهما ويحوطهما بنصحه وشفقته ورحمته.

فقد تزوجها علي رضي الله عنه فصبرت معه على الفقر والجوع والتعب والمشقة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٢٢).

ظهور النفاق:

عن أسامة بن زيد، رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش قال ابن أبي ابن سلول، ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا(١).

فأظهروا الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثَمَ وُجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب.

فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد، لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرها، بل يهاجر ويترك ماله، وولده، وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ

(١) أخرجه البخاري٤٥٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٧٧).

ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ (البقرة، الآيات: ٨-١٦).

كتابة الديات:

قال ابن جرير – رحمه الله:

في السنة الثانية كتب رسول الله ﷺ المعاقل وكانت معلقة بسيفه.

والمعاقل أي: الديات، وتسمى الدية بالعقل، وأصل ذلك أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل، فعقلها بفناء أولياء المقتول، أي: شدها بعقلها لتسليمها إليهم، يقال: عقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جنايته.

وقد حدد النبي ﷺ الديات في النفس مائة من الإبل، وفي الأنف إذا أوعي جدعًا: مائة من الإبل، وفي المأمومة: ثلث الدية، وفي الجائفة: مثلها، وفي العين: خمسون، وفي اليد: خمسون، وفي الرجل: خمسون، وفي كل أصبع مما هنالك عشر من الإبل، وفي السن خمس، وفي الموضحة خمس[1].

---

(١) الموطا) ٢/ ٨٤٩، وسنن النسائي٤٨٥٧ والسنن الصغرى والكبرى للبيهقي (٣/ ٢٣٨) ٢٤١٠ و (٨/ ٨١) ١٦٦١٣وصحيح ابن حبان (١٤/ ٥٠١) ٦٥٥٩ ومسند البزار ١٠ (١/ ٣٨٦) ٢٦١. قال الألباني في (الإرواء) ٧/ ٣٠٠: وهو مرسل صحيح الإسناد، قال ابن عبد البر في (التمهيد) ١٤/ ١٨٥: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا

غزوة السويق ٥/١٢/٢هـ:

وقتها: يوم الأحد في الخامس من ذي الحجة من السنة الثانية بعد بدر بشهرين

مكانها: قرقرة الكدر.

سبب الغزوة: لما رجع المشركون إلى مكة محزونين، مهزومين نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو رسول الله ﷺ، فخرج في مائتي راكب، حتى أتى العريض في طرف المدينة، وبات ليلة واحدة عند سلام بن مشكم اليهودي، فسقاه الخمر، وبطن له من خبر الناس، فلما أصبح، قطع أصوارًا من النخل، وقتل رجلا من الأنصار وحليفًا له، ثم كر راجعًا.

فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة في هذه الغزوة أبا لبابة بن عبد المنذر.

فبلغ قرقرة الكدر، وفاته أبو سفيان، وطرح الكفار سويقًا كثيرًا من أزوادهم يتخففون به للنجاء فأخذها المسلمون، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ يا رسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم». فسميت غزوة السويق[1].

الحديث بهذا الإسناد، وقد روي مسندا من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغني بشهرتها عن الإسناد؛ لأنه أشبه التواتر في مجيئه، لتلقى الناس له بالقبول والمعرفة.

(١) انظر الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٢٢١) ومغازي الواقدي ١/ ١٨١، والطبقات لابن سعد ٢/ ٣٠، و السيرة ٢/ ٤٤، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ١٦٥ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٨٣.

لم يهتدوا للقبلة:

عن عامر بن ربيعة قال: كنا مع النبي ﷺ في سفره في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾(البقرة، الآية: ١١٥)[١].

عن عامر بن ربيعة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر. فتغيمت السماء وأشكلت علينا القبلة. فصلينا. وأعلمنا. فلما طلعت الشمس إذا نحن قد صلينا لغير القبلة. فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٢].

عيد الأضحى والأضحية:

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثًا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف[٣].

وشرعت الأضحية في هذه السنة: وضحى رسول الله ﷺ بكبشين، أحدهما عن أمته والآخر عن محمد وآله.

وعن أنس، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يضحي بكبشين أملحين أقرنين ووضع رجله على صفحتهما ويذبحهما بيده[٤].

---

(١) سنن الترمذي ٢٩٥٧ وحسنه الألباني.

(٢) سنن ابن ماجه ١٠٢٠ وحسنه الألباني.

(٣) صحيح البخاري٩١٣وصحيح مسلم ٨٨٩.

(٤)صحيح البخاري٥٥٦٤.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، أن رسول الله ﷺ ذبح يوم العيد كبشين، ثم قال حين وجههما: «إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، حنيفًا مسلمًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، بسم الله، والله أكبر، اللهم منك، ولك عن محمد، وأمته»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ «إذا ضحى اشترى كبشين عظيمين، سمينين أقرنين، أملحين موجوئين قال: فيذبح أحدهما عن أمته ممن أقر بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، ويذبح الآخر عن محمد، وآل محمد»[(٢)].

وكان رسول الله ﷺ يأكل هو وأهله منه، ويطعم المساكين، ويهدي وكان يذبح في المصلى ليقتدي به الناس.

وعن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين عظيمين أملحين حتى إذا خطب الناس وصلى أتي بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بيده ثم قال: «**اللهم هذا عن أمتي جميعًا من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ**». ثم يؤتى بالآخر فيذبحه ثم يقول: «**اللهم هذا عن محمد وآل محمد**» ثم يجمعهما جميعًا ويأكل هو وأهله منهما[(٣)].

---

(١) مسند أحمد١٥٠٢٢ وهو حسن.

(٢) مسند أحمد٢٥٨٤٣ وهو صحيح.

(٣) شرح معاني الآثار (٤/ ١٧٧) ٦٢٢٥.

وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه:

في ذي الحجة من السنة الثانية: توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة.

وهو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي

قال ابن حجر: توفي بعد شهوده بدرًا في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم.

وعن ابن عباس قال: لما مات عثمان بن مظعون، قالت امرأة - وفي رواية: امرأته: هنيئًا لك الجنة عثمان بن مظعون، فنظر رسول الله ﷺ إليها نظر غضبان، فقال: (وما يدريك؟)، قالت: يا رسول الله، فارسك وصاحبك، فقال رسول الله ﷺ: «**والله إني رسول الله وما أدري ما يفعل بي**»، فأشفق الناس على عثمان، فلما ماتت زينب ابنة رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**الحقي بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون**»، فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: «**مهلا يا عمر**»، ثم قال: «**ابكين وإياكن ونعيق الشيطان**»، ثم قال: «**إنه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان**»[1].

وعن أم العلاء، وهي امرأة من نسائهم، بايعت رسول الله ﷺ، قالت: طار

---

(١) مسند أحمد٢١٢٧ ومسند الطيالسي ٢٦٩٤، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ١٠٥، والمستدرك ٣/ ١٩٠ والطبقات لابن سعد ٣/ ٣٩٨-٣٩٩، والمعجم الكبير للطبراني ٨٣١٧ - ١٢٩٣١ وهو ضعيف.

لنا عثمان بن مظعون في السكنى، حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين، فاشتكى فمرضناه حتى توفي، ثم جعلناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، قال: «**وما يدريك**» قلت: لا أدري والله، قال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له الخير من الله، والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي ولا بكم**» قالت أم العلاء: فو الله لا أزكي أحدًا بعده، قالت: ورأيت لعثمان في النوم عينًا تجري، فجئت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «**ذاك عمله يجري له**» (١).

وعن عائشة رضي الله عنها: "قبل رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون وهو ميت، حتى رأيت الدموع تسيل على وجهه»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي أو قال عيناه تذرفان (٣).

عن المطلب قال لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن فأمر النبي ﷺ رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال: «**أتعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي**»(٤).

رحمة وشفقة ومحبة ورضًا وتسليم وصبر ويقين.

---

(١) صحيح البخاري ٧٠١٨.

(٢) مسند أحمد٢٤١٦٥ ويشهد له ما بعده.

(٣) سنن الترمذي٩٨٩ قال أبو عيسى حديث عائشة حديث حسن صحيح و قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) سنن أبي داود٣٢٠٨ وهو حسن.

نسخ المؤاخاة في الميراث:

عن ابن عباس ﵄ قال: «آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، وورث بعضهم من بعض حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (الأنفال، الآية: ٧٥) فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب»[١].

***

(١) مسند الطيالسي (دار هجر) (٤/ ٣٩٨) ٢٧٩٨.

السنة الثالثة من الهجرة

استهلت السنة الثالثة من الهجرة بدخول المحرم وذلك برؤية هلاله، وشهر الله المحرم هو أول الشهور الهلالية.

كتاب الله القصاص:

الرّبيّع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك خادم رسول اللهّ ﷺ، وهي والدة حارثة بن سراقة الذي استشهد في بدر، [1] لطمت امرأة شابة فكسرت سنها فرفعوا أمرها إلى رسول الله ﷺ.

عن أنس أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا إليها العفو فأبوا فعرضوا الأرش فأبوا فأتوا رسول الله ﷺ وأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص فقال أنس بن النضر يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع؟ لا، والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول الله ﷺ يا أنس كتاب الله القصاص فرضي القوم فعفوا فقال رسول الله ﷺ إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره[2].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٣٣).

(٢) صحيح البخاري ٤٥٠٠.

النهي عن بيع الثمار قبل صلاحها:

عن زيد بن ثابت ﵁ قال كان الناس في عهد رسول الله ﷺ يتبايعون الثمار فإذا جد الناس وحضر تقاضيهم قال المبتاع إنه أصاب الثمر الدمان أصابه مرض، أصابه قشام عاهات يحتجون بها فقال رسول الله ﷺ لما كثرت عنده الخصومة في ذلك فإما لا، فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر كالمشورة يشير بها لكثرة خصومتهم.

ثم نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها نهى البائع والمبتاع[1].

صيام يوم عاشوراء ٢/١/١٠هـ :

بعد فرضية صيام رمضان بقي صيام يوم عاشوراء سنة، فعن عائشة ﵂قالت كان النبي ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر[2].

وصوم عاشوراء تكفير للسيئات ورفعة للدرجات، وصيامه عدة وذخيرة للمسلم.

(١) صحيح البخاري٢١٩٣-٢١٩٤.

(٢) صحيح البخاري ٢٠٠١ و صحيح مسلم١١٢٥.

غزوة ذي أَمر [١]:

جهز النبي ﷺ جيشًا لغزو غطفان وذلك لردعها عن ما تقوم به من تأليب على المسلمين وجمع الجموع لحربهم.

ففي أول المحرم غزا ﷺ نجدًا يريد غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان.

فقد بلغ رسول الله ﷺ أن جمعًا من غطفان تجمعوا بذي أمر يريدون حربه، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس، فغاب أحد عشر يومًا، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً.

وهربت منه الأعراب في رءوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر، فعسكر به، وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله ﷺ، فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف، وذلك بمرأى من المشركين، واشتغل المشركون في شئونهم.

فبعث المشركون رجلا شجاعًا منهم يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث فقالوا: قد أمكنك الله من قتل محمد.

فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل، حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهورًا، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله.

ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده.

---

(١) (ذو أمر): موضع بناحية النخيل، وتسمى في بعض كتب السير: غزوة غطفان وتسمى غزوة أنمار وغزوة نجد

فأخذه رسول الله ﷺ، فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعا أبدًا.

فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه. فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: ويلك، مالك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمدًا رسول الله، والله لا أكثر عليه جمعًا. وجعل يدعو قومه إلى الإسلام.

قال: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾(المائدة، الآية: ١١) الآية[١].

وعن جابر بن عبد الله، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه فقال إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتًا قال من يمنعك مني قلت الله، فشامه ثم قعد فهو هذا قال ولم يعاقبه رسول الله ﷺ.[٢].

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣) وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٦٨)والمغازي للواقدي (١: ١٩٣).
(٢) صحيح البخاري ٤١٣٩.

حفظ الله نبيه – عليه الصلاة والسلام – وعصمه ممن أراد به شرًا، وحسن توكله عليه الصلاة والسلام على ربه، ويقينه بحفظ الله له، وعفوه عليه الصلاة والسلام عن من أخطأ عليه.

صلاته على راحلته:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال رأيت النبي ﷺ في غزوة أنمار يصلي على راحلته متوجهًا قبل المشرق متطوعًا[1].

فكان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة[2].

وعن جابر، قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة، فجئت وهو يصلي على راحلته نحو المشرق، ويومئ إيماء، السجود أخفض من الركوع، فسلمت عليه، فلما انصرف، قال: «**ما فعلت في حاجة كذا وكذا؟ إني كنت أصلي**»[3].

وغزوة أنمار هي غزوة ذي أمر[4] و أنمار اسم لقبيلة ويقال غزوة بني أنمار[5].

وصلاته على راحلته عليه الصلاة والسلام ثابت في أحاديث كثيرة، فقد كان عليه الصلاة والسلام كثير التعبد والصلاة والتهجد مع ما فيه من الجهاد ومشقة الأسفار.

---

(١) صحيح البخاري ٤١٤٠.

(٢) صحيح البخاري ٤٠٠.

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٢/ ٤٢٠) ١٤٥٥٥.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٢٩).

(٥) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١١/ ١٩٧).

فالصلاة زاد للإنسان وعون له على تحمل المشاق قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (البقرة، الآية: ٤٥).

لا تشاؤم ولا طيرة ولا صفرٌ:

جاء رسول الله ﷺ بالعقيدة الصحيحة، ونبذ ما كانت عليه الجاهلية الأولى ومن ذلك التطير والتشاؤم بالطيور والأشخاص والأسماء والأيام والشهور وكانت العرب تتشاءم في صفر فلا يتزوّجون فيه، ولا يسافرون، ولا يتاجرون، ويعتقدون أنه شهرٌ مشؤوم.

فبين النبي ﷺ أن صفر شهر كغيره، ليس فيه شؤم ولا شرٌّ.

قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**»، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها فقال: «**فمن أعدى الأول**» [(١)].

والنبي ﷺ يحرم الطيرة ويحب الفأل وهي الكلمة الطيبة ويتفاءل في جميع أموره.

قل لا خلابة:

كان حبان بن منقذ[(٢)] رجلا ضعيفًا قد صفع في رأسه مأمومة فنازعته عقله، وكان لا يدع التجارة ولا يزال يغبن، فجعل رسول الله ﷺ له الخيار فيما اشترى ثلاثًا، وكان قد ثقل لسانه فقال النبي ﷺ: «**بع وقل: لا خلابة**» فكان يقول: لا خذابة لا خذابة، فكان يشتري الشيء فيجيء به أهله فيقولون: هذا غال. فيقول:

(١) صحيح البخاري٥٧١٧.

(٢) قد عمر حتى بلغ مائة وثلاثين سنة وكان يبايع الناس في خلافة عثمان (سنن الدارقطني (٣/ ٥٥)٢٢٠).

إن رسول الله ﷺ خيرني في بيعي، فقال: «**إذا بايعت فقل لا خلابة**»(١).

وهذا من رأفته عليه الصلاة والسلام به وأمثاله، فهو الرحيم الرؤف بالأمة.

مقتل كعب بن الأشرف ١٤/٣/٣هـ:

قتل ابن الأشرف كان بسبب نقضه العهد بينه وبين المسلمين، وإعلان العداوة والبغضاء للرسول ﷺ، وممالأته لقريش على النبي ﷺ، ورثائه لقتلى بدر، وذكره نساء المؤمنين بأشعاره بالسوء.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: "إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرًا وكان يهجو رسول الله ﷺ، ويحرض عليه كفار قريش في شعره.

فلما أبي كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ، وأذى المسلمين. أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا ليقتلوه، فبعث إليه سعد...).(٢)

وشيع النبي ﷺ الصحابة الذين ذهبوا لقتل كعب بن الأشرف فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم فقال: «**انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم**»(٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله ﷺ: «**من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله**». فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**»، قال: فأذن لي رسول الله أن أقول شيئًا. قال: «**قل**».

(١) صحيح البخاري ٢١١٧والسنن الصغرى للبيهقي (٢/ ٢٤٢) ١٤٥٣وسنن الدارقطني (٣/ ٥٥)٢٢٠.

(٢) سنن أبي داود برقم٣٠٠٠ وصححه الألباني.

(٣) مسند أحمد٢٣٩١ وهو حسن.

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنَّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضًا والله لتملنه.

قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين.

فقال: نعم أرهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: أرهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللامة.. قال سفيان: يعني السلاح.

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة -وهو أخو كعب من الرضاعة- فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟

قالت أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لودعي إلى طعنة بليل لأجاب.

فقال محمد بن مسلمه لأصحابه: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، ثم أُشِمُّكم فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه.

فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا -أي أطيب من هذا الطيب - قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب. قال عمرو فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك، قال: نعم فشمه، ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ: «**فأخبروه**»[1].

---

(١) صحيح البخاري ٤٠٣٧، و صحيح مسلم ٤٧٦٥.

زواج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ٣/٣/١٥هـ:

في ربيع الأول تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه بأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في جمادى الآخرة، رضي الله عنها.[١] وكان عتبة بن أبي لهب تزوج أم كلثوم قبل البعثة فلم يدخل عليها حتى بعث النبي ﷺ فأمره أبوه بفراقها [٢].

تزوجها بكرًا [٣] وعمرها تسعة عشر سنة رضي الله عنها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لقي عثمان بن عفان رضي الله عنه عند باب المسجد فقال يا ابن عفان هذا جبريل عليه السلام يخبرني أن الله عز وجل قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها[٤].

تزوج عثمان رضي الله عنه أم كلثوم رضي الله عنها بعد موت رقية رضي الله عنها فلقب بذي النورين.

ولادة السائب بن يزيد ٣/٣/١٦هـ:

وهو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي، وأمه أم العلاء بنت شريح الحضرمية وكان العلاء بن الحضرمي خاله وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث مات سنة اثنتين وثمانين وقيل بعد التسعين وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة [٥] وعن السائب بن يزيد قال: حج بي أبي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين[٦].

---

(١) إمتاع الأسماع (١/ ١٢٨).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٨٨).

(٣) الطبقات الكبرى ط دار صادر (٨/ ٣٨).

(٤) سنن ابن ماجه برقم ١١٠ وفيه ضعف.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢٦).

(٦) أسد الغابة (١/ ٤١٧).

غزوة بَحران ٣/٤/٢٠هـ:

غزا رسول الله ﷺ قريشًا، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فبلغ بحران[1]، ولم يلق حربًا. فأقام هنالك ربيعًا الآخر وجمادى الأولى من السنة الثالثة. ثم انصرف إلى المدينة.

وهي غزوة هجومية قوامها ثلاثمائة مقاتل، الهدف منها إخافة العدو، ورصد تحركاته [2].

البعير بالبعرين:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال جهز رسول الله ﷺ جيشًا على إبل من إبل الصدقة، حتى نفدت، وبقي ناس، فقال رسول الله ﷺ: «**اشتر لنا إبلا بقلائص من إبل الصدقة إذا جاءت، حتى نؤديها إليهم**»، فاشتريت البعير بالاثنين والثلاث قلائص، حتى فرغت، فأدى ذلك رسول الله ﷺ من إبل الصدقة [3].

سرية القردة[4] ٣/٥/١هـ:

وهي أول سرية خرج فيها زيد رضي الله عنه أميرًا، وخرج لهلال جمادى الآخرة،

---

(١) بحران جبل يضرب إلى الخضرة والسمرة، بين وادي حجر المعروف قديما بالسائرة، ومر عنيب المعروف اليوم بمر وبوادي رابغ، يقع بحران عند التقائهما، يفترقان عنه. شرق مدينة رابغ على (٩٠) كيلا. وضبطه البكري بفتح أوله على وزن فعلان، معجم ما استعجم ١/ ٢٢٨، انظر معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٤٠).

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص: ١٤١).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (١١/ ١٦٤) ٦٥٩٣ وهو حسن.

(٤) القردة بفتح القاف والراء والدال المهملة، وآخره تاء مربوطة وهي ماء بنجد أو بين المدينة والشام «مما يلي نجدا». في المنطقة الواقعة شمال شرقي المدينة، وهي الطريق التي تجعل خيبر يسارها أيضا وتمر بسلاح المعروفة اليوم بالعشاش، على مرحلة شمال خيبر. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٢٥١).

وكانت قريش قد حذرت طريق الشام أن يسلكوها، وخافوا من رسول الله ﷺ وأصحابه وكانوا قوما تجارًا، فقال صفوان بن أمية: إن محمدًا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه لا يبرحون الساحل وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسلك، وإن أقمنا نأكل رءوس أموالنا ونحن في دارنا هذه ما لنا بها نفاق إنما نزلناها على التجارة إلى الشام في الصيف وفي الشتاء إلى أرض الحبشة.

قال له الأسود بن المطلب: فتنكب عن الساحل وخذ طريق العراق. قال صفوان لست بها عارفًا.

قال أبو زمعة فأنا أدلك على أخبر دليل بها يسلكها وهو مغمض العين إن شاء الله.

قال من هو؟ قال فرات بن حبان العجلي، قد دوخها وسلكها.

قال صفوان فذلك والله فأرسل إلى فرات فجاءه فقال إني أريد الشام وقد عور علينا محمد متجرنا لأن طريق عِيَرنا عليه فأردت طريق العراق. قال فرات فأنا أسلك بك في طريق العراق، ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد - إنما هي أرض نجد وفيافي.

قال صفوان فهذه حاجتي، أما الفيافي فنحن شاتون وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل.

فتجهز صفوان بن أمية، وأرسل معه أبو زمعة بثلاثمائة مثقال ذهب ونقر

فضة [١] وبعث معه رجالا من قريش ببضائع وخرج معه عبد الله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبد العزى في رجال من قريش.

وخرج صفوان بمال كثير - نقر فضة وآنية فضة وزن ثلاثين ألف درهم وخرجوا على ذات عرق.

وقدم المدينة نعيم بن مسعود الأشجعي، وهو على دين قومه فنزل على كنانة بن أبي الحقيق في بني النضير فشرب معه وشرب معه سليط بن النعمان بن أسلم - ولم تحرم الخمر يومئذ - وهو يأتي بني النضير ويصيب من شرابهم. فذكر نعيم خروج صفوان في عيره وما معهم من الأموال فخرج من ساعته إلى النبي ﷺ فأخبره فأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في مائة راكب فاعترضوا لها فأصابوا العير.

وأفلت أعيان القوم وأسروا رجلا أو رجلين وقدموا بالعير على النبي ﷺ فخمسها، فكان الخمس يومئذ قيمة عشرين ألف درهم وقسم ما بقي على أهل السرية.

وكان في الأسرى فرات بن حيان، فأتي به فقيل له أسلم، إن تسلم نتركك من القتل فأسلم فتركه من القتل [٢].

وحسن إسلامه وقال فيه رسول الله ﷺ إن منكم رجالا نكلهم إلى إسلامهم منهم فرات [٣].

---

(١) النقرة: القطعة المذابة من الذهب والفضة. القاموس المحيط ج٢، ص.

(٢) مغازي الواقدي (١/ ١٩٧) وانظر أنساب الأشراف (١/ ١٦٥) والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٢/ ٥١) والروض الأنف (٣/ ٢٢٦).

(٣) مسند أحمد ١٦٥٩٣ و سنن أبي داود ٢٦٥٢ وصححه الألباني.

زواجه بأم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها ٣/٨/٥هـ:

قال عمر لما تأيمت حفصة من ابن حذافة لقيت عثمان فعرضت عليه حفصة قال: سأنظر في أمري فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت: أنكحك حفصة فلم يرجع إليَّ شيئًا فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحته إياها فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت علي حفصة؟ قال: نعم قال: لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها قبلتها.

قال عمر فشكوت عثمان إلى رسول الله ﷺ فقال: رسول الله ﷺ: يتزوج حفصة خير من عثمان ويتزوج عثمان خيرًا من حفصة فزوجه النبي ﷺ ابنته[1].

تزوج ﷺ حفصة بنت عمر، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة وقد شهد بدرًا وأمهرها رسول الله ﷺ بساطًا ووسادتين وكساء رحبًا يفترشانه في القيظ والشتاء نصفه ويلتحفان نصفه وإناءين أخضرين وأولم عليها المهاجرون دون الأنصار وطبه مأقوطه بسمن وتمر عجوة وسويقًا ملتوتًا وكانت تفخر على عائشة تقول قومي وحزبي خير من قومك وحزبك.

وقد تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة قبل أحد بشهرين[2].

---

(١) مسند أبي يعلى (١/ ١٨) برقم ٦ وإسناده صحيح.

(٢) كتاب أزواج النبي - ٣٩) ٢٥٦.

حكم بين أهل المواشي والمزارع:

كانت المدينة بلد زرع، وماشية، وكانت البهائم تدخل حوائط الناس فتفسد زروعهم، فكانوا يختصمون عند النبي ﷺ فقضى رسول الله ﷺ: **«أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها»**[1].

عن حرام بن محيصة عن أبيه: أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته عليهم فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل[2].

دخول شهر رمضان من السنة الثالثة:

تراءى الناس على الهلال وأمرهم بتحريه ونهاهم عن الصوم بلا رؤية للهلال، عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: **«لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له»**[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»**[4].

صام الناس رمضان الثاني بعد نسخ الاختيار، وأنزل الله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٩٧) ٢٣٦٩١ وهو صحيح.

(٢) سنن أبي داود ٣٥٦٩ وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري ـ ١٩٠٦.

(٤) صحيح البخاري ـ ١٩٠٧.

فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

(البقرة، الآية: ١٨٥).[١]

وقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر - أي كان مقيمًا في البلد حين دخل شهر رمضان، وهو صحيح في بدنه - أن يصوم لا محالة. ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة لمن كان صحيحًا مقيمًا أن يفطر ويفدي بإطعام مسكين عن كل يوم[٢].

وشرع الرسول ﷺ لأمته من الأعمال الصالحة ما يتقربون به في هذا الشهر.

وكان جبريل عليه السلام ينزل في كل ليلة من ليالي رمضان يدارس النبي ﷺ القرآن.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام، يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة[٣].

---

(١) البقرة:١٨٥

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٥٠٣).

(٣) صحيح البخاري ـ ١٩٠٢.

وعن البراء رضي الله عنه قال كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه، حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها أعندك طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[1].

وعن كعب بن مالك قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل، فأمسى فنام حرم عليه الطعام، والشراب، والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي ﷺ ذات ليلة، وقد سهر عنده فوجد امرأته قد نامت، فأرادها فقالت: إني قد نمت، قال: ما نمت ثم وقع بها، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك، فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾(البقرة، الآية: ١٨٧)[2].

وعن البراء رضي الله عنه: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله

---

(١) صحيح البخاري ١٩١٥.

(٢) مسند أحمد ١٥٧٩٥ وهو حسن.

وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[1].

وعن عكرمة عن ابن عباس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فكان الناس على عهد النبي ﷺ إذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء وصاموا إلى القابلة فاختان رجل نفسه فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فأراد الله عز وجل أن يجعل ذلك يسرًا لمن بقي، ورخصة ومنفعة فقال سبحانه: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾. وكان هذا مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر[2].

وكل هذه الأسباب سبب في نزول الآية، وهي رحمة بالأمة وتيسير عليها.

زواجه بزينب بنت خزيمة ٣/٩/٥هـ:

تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر، في شهر رمضان في السنة الثالثة من الهجرة، وهي أم المساكين، كنيت بذلك في الجاهلية، لرأفتها بهم ورحمتها وإحسانها إليهم، ولما خطبها رسول الله ﷺ جعلت أمرها إليه، فتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشًا. والنش النصف، وذلك خمسمائة درهم. لأن الأوقية أربعون درهمًا.

وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، فطلقها، فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر شهيدًا، فخلف عليها رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري٤٢٣٨.

(٢) سنن أبي داود ٢٣١٥ وهو صحيح.

وأولم عليها جزورًا فكثر المساكين فتركهم الناس والطعام ثم غدًا الناس على النبي ﷺ وقد خلا لهم وجهه فجعل الرجل يأتي بالهريسة فلم يجتمع لهم إلا الهرائس فدعا النبي ﷺ أن يبارك لهم فيها.

ومكثت عند النبي ﷺ ثمانية أشهر، وماتت في آخر شهر ربيع الآخر من السنة الرابعة من الهجرة، وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها [1].

حوار وتوجيه وتعليم:

عن رجل من بني سلمة يقال له: سليم، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن معاذ بن جبل يأتينا بعدما نام، ونكون في أعمالنا بالنهار، فينادي بالصلاة، فنخرج إليه فيطول علينا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا معاذ بن جبل، لا تكن فتانًا، إما أن تصلي معي، وإما أن تخفف على قومك**»، ثم قال: «**يا سليم، ماذا معك من القرآن**»؟ قال: إني أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ، فقال رسول الله ﷺ: «**وهل تصير دندنتي، ودندنة معاذ إلا أن نسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار**»، ثم قال سليم: «سترون غدًا إذا التقى القوم إن شاء الله»، قال: والناس يتجهزون إلى أحد، فخرج وكان في الشهداء [2].

لطف ورحمة وتعليم وحوار ملؤه المودة والشفقة بالأمة، وتوجيه للأئمة

---

(١) انظر المختصر الكبير في سيرة الرسول (ص: ٩٤)و كتاب أزواج النبي ٢٥٦ (ص: ٤١).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٤/ ٣٠٧) ٢٠٦٩٩ وهو صحيح.

بمراعاة أحوال المأمومين، واللطف بهم فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم.

ولادة الحسن بن علي ﵁ ٣/٩/١٥هـ:

وهو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي.

وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي ﷺ وشبيهه سماه النبي ﷺ الحسن وعق عنه يوم سابعه وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة.

عن علي بن أبي طالب قال: عق رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال يا فاطمة أحلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة قال فوزنته فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم [١].

وعق النبيّ ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين وأعطى القابلة الفخذ وحلق رأسه وتصدّق بزنة الشعر ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق ثم قال الدم من فعل الجاهلية[٢].

وكانت سلمى مولاة صفية [٣] زوجة أبي رافع، هي قابلة فاطمة – رضي الله عنهن – قالت: قبلت فاطمة بالحسن، فجاء النبي ﷺ فقال: هلمي ابني، فدفعته

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٩٩) ١٥١٩ وحسنه الألباني.

(٢) ذخائر العقبى (ص: ١١٩)و تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ٤١٨).

(٣) أسد الغابة (١/ ١٣٦٧)و الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٦٢) والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة (ص: ٢٢٤) وتخريج الدلالات السمعية من الحرف والصنائع والعمالات (ص: ٧٤٩)..

إليه في خرقة صفراء، فألقاها عنه قائلا: ألم أعهد إليكن أن لا تلفوا مولودًا بخرقة صفراء؟! فلففته بخرقة بيضاء فأخذه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى [١].

وعن أبي رافع قال: رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: **«أذن في أذن الحسن بن علي يوم ولد، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه»** [٣].

وسر التأذين والله أعلم أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه[٤].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: **«أروني ابني ما سميتموه»** قلت: سميته حربًا قال: **«بلى هو حسن»**[٥].

وحنك ﷺ الحسن قالت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يؤتي بالصبيان، فيبرك عليهم ويحنكهم [٦]، فمن باب أولى أن يكون ﷺ برك على الحسن رضي الله عنه.

وأمر النبي ﷺ بختانه يوم السابع عن جابر قال: عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام[٧].

---

(١) شرف المصطفى (٥/ ٣٤٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (ص: ١٢٠) بهجة المحافل وبغية الأماثل (١/ ١٩٥).

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٧٤٩) ٥١٠٥ وسنن الترمذي (٤/ ٩٧) ١٥١٤ وحسنه الألباني.

(٣) شعب الإيمان (١١/ ١٠٦) ٨٢٥٥ وضعفه البيهقي.

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود (٦/ ٢).

(٥) مسند أحمد ٧٦٩ وهو حسن.

(٦) صحيح مسلم ٢٨٦.

(٧) السنن الكبرى للبيهقي. ط المعارف بالهند (٨/ ٣٢٤) ١٨٠١٨.

ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وتوفي بالمدينة سنة تسع وأربعين [١].

وعن أم الفضل قالت: يا رسول الله رأيت كأن عضوًا من أعضائك في بيتي قال: «خيرًا رأيت تلد فاطمة غلامًا فترضعيه بلبن قثم» فولدت الحسن فأرضعته بلبن قثم [٢].

وأتيت به النبي ﷺ يومًا أزوره، فأخذه النبي ﷺ، فوضعه على صدره، فبال على صدره، فأصاب البول إزاره، فزخخت بيدي على كتفيه، فقال: «أوجعت ابني أصلحك الله» أو قال: «رحمك الله». فقلت: أعطني إزارك أغسله، فقال: «**إنما يغسل بول الجارية، ويصب على بول الغلام**» [٣].

وكان يشبه رسول الله ﷺ في صورته عن عقبة بن الحارث أن أبا بكر رضي الله عنه لقي الحسن بن علي رضي الله عنهما فضمه إليه و قال: بأبي شيبة بالنبي ليس بشبية بعلي و علي يضحك [٤].

قال أبو جحيفة: رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه[٥].

---

(١) أسد الغابة (١/ ٢٥٨).

(٢) سنن أخرجه ابن ماجه ٣٩٢٣ وفيه ضعف وقد يشتشكل أن أم الفضل زوجة العباس كانت بمكة مع العباس ولم تهاجر إلا قبل الفتح معه، وقد يجاب عنه أن أم الفضل كانت تأتي المدينة بعد إسلامها وترجع إلى زوجها العباس رضي الله عنهما.

(٣) مسند أحمد٢٦٨٧٨ وهو صحيح.

(٤) المستدرك (٣/ ١٨٤) ٤٧٨٤ قال الحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٥) سنن النسائي الكبرى (٥/ ٤٩) ٨١٦٢.

العشر الأواخر من رمضان:

دخلت العشر الأواخر، وشمر رسول الله ﷺ للعبادة، ولتحري ليلة القدر، وتنافس المسلمون بالأعمال الصالحات، فتلك العشر فرصة للتزود من الأعمال الصالحات.

فقد كان رسول الله ﷺ يخلط العشرين الأول بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شمر وشد المئزر.

عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله [(١)] لقد كان عليه الصلاة والسلام يجد في قيام الليل أنسه وسعادته وقرة عينه، فيبيت راكعًا وساجدًا، ففي تلك الليالي يجد النبي عليه الصلاة والسلام لذة العبادة، فيغتنمها بالدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن.

زكاة الفطر:

فرضت زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، وهي زكاة عن النفس، وليست زكاة عن المال، ولذلك فرض رسول الله ﷺ الطعام، مما يقتاته الناس، وهي شعيرة من الشعائر، التي يظهرها المسلمون، وكانوا يخرجون الزكاة بالصاع النبوي، وكانوا يتناقلونه فيما بينهم، ليكيلوا به الزكاة، فيفرح الفقراء بالطعام، ويغتبط الأغنياء بإخراج الفريضة، وتعظيم الشعيرة.

---

(١) صحيح البخاري ٢٠٢٤ وصحيح مسلم ٢٨٤٤.

المسلمون يتراءون الهلال:

تراءى المسلمون هلال شوال يوم الجمعة ليلة السبت، فرأوا الهلال، فأمر النبي الكريم ﷺ أصحابه بالتهيئو للعيد، وبادروا إلى التكبير في ليلة العيد قال الله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وبات الناس ليتهم ينتظرون يوم العيد.

عيد الفطر يوم السبت ١/٢/٣هـ :

في يوم العيد تهيأ النبي ﷺ واغتسل وتطيب ولبس أحسن لباس، وأفطر على تمرات وترًا امتثالا لأمر الله لعباده في الفطر في هذا اليوم، وخرج إلى المصلى مكبرًا، يفشي السلام، ويعلو محياه البشر والابتسام فهو في فرح وسرور، فلما أتى المصلى، صلى نبي الله ﷺ، بالناس ركعتين بغير أذان ولا إقامة، كبر في الأولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات، ثم خطب الناس بعد الصلاة، ثم أخذ بيد بلال، فانطلق إلى النساء فخطبهن، ثم أمر بلالا بعد ما قفى من عندهن أن يأتيهن فيأمرهن أن يتصدقن [1]"

قريش تستعد لقتال المسلمين والخبر يصل إلى رسول الله ﷺ:

كتب العباس رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يعلمه بذلك مع رجل من بني غفار فقدم عليه وهو بقباء، فقرأه عليه أبي بن كعب، واستكتم أبيًا، ونزل ﷺ على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس فقال: والله إني لأرجو أن يكون خيرًا، فاستكتمه

(١) انظر صحيح البخاري ٩٧٥ ومسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٦٢) ٢١٦٩.

إياه، فلما خرج رسول الله ﷺ من عنده، قالت له امرأته: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال لها: لا أم لك وما أنت وذاك؟

فقالت: قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله ﷺ، فاسترجع وأخذ بيدها ولحق رسول الله ﷺ فأخبره خبرها وقال: يا رسول الله إني خفت أن يفشو الخبر فترى أني أنا المفشي له وقد استكتمتني إياه، فقال له رسول الله ﷺ خلّ عنها(١).

***

(١) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (٢/ ٢٩٦).